

النَّهْجُ الْإِسْلَامِي

تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية



سَمَاحَةُ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى الْحَاجِّ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ تَقِي الْمَدْرَسِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب: النهج الاسلامي - تأملات في مسيرة الحركة الاسلامية.
من محاضرات: سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).
الطبعة: الثانية ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م. (٣٣٥ صفحة). منقّحة.
تحقيق: مركز العصر للثقافة والنشر.
الناشر: دار المحجة البيضاء - لبنان بيروت.

النَّهْجُ الْإِسْلَامِيُّ

تأملات في مسيرة الحركة الإسلامية

سَمَاحَةُ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى الْحَاجِّ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الْمَدَرَسِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

العناوين الرئيسية

الفصل الأول: خصائص الحركة الاسلامية ١٣

- ١- مميزات الحركة الاسلامية ١٥
- ٢- بين الحركة الاسلامية والحركة السياسية ٢٩
- ٣- الايمان بالغيب منطلق الحركة الاسلامية ٣٧
- ٤- حقيقة التوحيد في الحركة السياسية ٤٥
- ٥- مبادئ الحركة الاسلامية من وحي القرآن ٥٧
- ٦- دور الأخلاق في الحركة الاسلامية ٦٥
- ٧- البعد الحضاري للحركة الاسلامية ٧٥

الفصل الثاني: معالم الحركة الاسلامية ٨٥

- ١- معالم في طريق الحركة الاسلامية المعاصرة ٨٧
- ٢- بين الرسالة والسياسة ٩٧
- ٣- بين الهدم والبناء ١١١
- ٤- بين الارادة والهزيمة ١٢١
- ٥- بين التمني والسعي ١٢٧
- ٦- بين الصراع والتنافس ١٣٧
- ٧- بين العنف واللاعنف ١٤٥

الفصل الثالث: مهمة الحركة الاسلامية ١٥٧

- ١ - منطلق التغيير في الحركة الاسلامية ١٥٩
- ٢ - اصلاح الذات منطلق العمل الرسالي ١٦٩
- ٣ - مسؤوليتنا الذاتية في التغيير ١٧٧
- ٤ - الانسان الرسالي وفن العلاقات العامة ١٨٧
- ٥ - الأمة بين القيادة الرسالية والقيادة الجاهلية ١٩٥
- ٦ - الشروط الذاتية والموضوعية للقائد الاسلامي ٢٠٧
- ٧ - الحركة الاسلامية والجهاد ٢١٧
- ٨ - مسؤولية الجماهير تجاه الطليعة ٢٢٧

الفصل الرابع: رسالة الحركة الاسلامية ٢٣٥

- ١ - الرؤية الاسلامية في الصراع ٢٣٧
- ٢ - البُعد الاصلاحى للرسالة الاسلامية ٢٤٧
- ٣ - الحركة الاسلامية في مواجهة سلبيات الواقع ٢٥٥
- ٤ - الحركة الاسلامية والتحديات الحضارية ٢٦٥
- ٥ - لا لشرعية النضال، نعم لمشروعيتها ٢٧٥
- ٦ - الحركة الاسلامية ومؤامرات الأعداء ٢٨٥
- ٧ - الحركة الاسلامية في مواجهة التحديات ٢٩٣
- ٨ - الحركة الاسلامية والضرورة السياسية ٣٠١
- ٩ - من أجل حركة اسلامية عالمية ٣٠٧
- ١٠ - من أجل حكومة الصالحين ٣١٧

المقدمة

عندما تنحرف مسيرة البشرية عن الصراط المستقيم انحرافاً كبيراً تظهر الحاجة الماسة الى عمل كبير، وتغيير جذري، وتطور نوعي هائل لكي تعود الى رشدها.

وما بعثة الانبياء ﷺ إلا لهذا التغيير النوعي الكبير والتطور الهائل، ذلك لأنَّ الانسان لو انحرف عن مسيرته الحقّة، فان من الممكن إعادته الى رشده من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما عندما ينحرف مجتمع بأكمله، فإنَّ بعضه سوف يدعم بعضاً في مسيرة الانحراف. فانحراف المجتمع يختلف عن انحراف شخص واحد، لأنَّ المجتمع يمتلك في داخله ديناميكية معينة؛ ففيه قوة دافعة وضاغطة باتجاه معين، وهذه القوة والديناميكية الاجتماعية الداخلية، وتلك القيم والقوانين والانظمة والعادات السائدة في المجتمع المنحرف، كلها تدعم مسيرة الانحراف، بدلاً من أن ترفد مسيرة الصلاح والاستقامة. وحينئذ لا يمكن إعادة هذا المجتمع الى المسار الصحيح عبر شخص واحد يدعو الى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، بل إنَّ القضية ستكون حينئذ بحاجة

الى عمل كبير، وجهود جبارة، واستمرارية في الجهاد.

وعلى هذا، سواء واجهت المشاكل أم لم تواجهها، وكان هناك من يكذبك أم لم يكن، وسواء ضاق صدرك أم لم يضق، وهددك الموت أم لم يهددك، فانما يتطلب الأمر منك أن تجاهد، وأن تستمر في جهادك في سبيل الله. وهذه هي حركة الانبياء التي تظهر في حالة من الركود والانحراف، وتراكم الخبائث في المجتمعات. إنها تظهر كما يظهر نور الشمس في وسط الظلام فلا يدعه ينتشر ولو في زاوية صغيرة.

وإننا بحاجة الى مثل هذه الحركة التغييرية؛ فالأوضاع السائدة والاساليب الارهابية والشيطانية التي يستخدمها الطغاة، كل ذلك لا يسمح لنا بان نقوم بحركة سطحية بسيطة تتمثل في إلقاء الخطب، وكتابة الكتب والمنشورات، وعقد المؤتمرات وما الى ذلك، بل اننا بحاجة الى نهضة تغييرية شاملة تبدأ من انفسنا، وتنتهي الى كل الامة لكي نستطيع أن نغير الأوضاع القائمة.

اننا بحاجة الى تطور نوعي، وحركة حضارية. وبكلمة واحدة؛ نحن بحاجة الى أن نهتدي بهدى الانبياء، وننظر الى الاساليب التي استخدموها، ونعي استقامتهم وتحدياتهم، ثم نتبع سيرتهم هذه لكي نستطيع أن نغير الوضع القائم الذي تعيش الامة مأساته، وإلا فان الليل سيستمر، والارهاب يدوم، والمشاكل تزداد وتتفاقم.

وليس ثمة شك أننا إذا بقينا متشبثين بمفاهيمنا السابقة، واعرفنا وتقاليدنا دون أن نعمل على تغييرها في سبيل مواجهة الظروف الجديدة، فان

ذلك يعني انتهاءنا ودمارنا. ومشكلتنا اننا لم ندرك حقيقة أن تطوراً هائلاً قد حدث في أساليب أعدائنا، فلا بد أن يحدث في المقابل تطور جذري وشامل في اساليبنا لمواجهة ذلك التطور.

إنَّ هناك في الغرب المئات من مراكز الأبحاث والدراسات التي تعكف على دراسة الحركات الاسلامية العالمية، وهذه الدراسات كلها تجد طريقها - في نهاية المطاف - الى غرف وكالات المخابرات العالمية، وبالتالي فانها تتحول الى توجيهات قمعية للحركات الإسلامية الأصيلة بيد الانظمة العميلة.

وعليه فاننا بحاجة الى حركة نوعية تؤدي مهامها الرسالية على أحسن وجه، حتى تعيد للمسلمين عزتهم، وتنقذ الامة مما يحرق بها من ويلات ومآسي.

ولأجل تحقيق ذلك بادر القسم الثقافي في مكتب سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله، مساهمة منه في دعم مسيرة الحركة الاسلامية في إعداد هذا الكتاب: (النهج الاسلامي - تأملات في مسيرة الحركة الاسلامية) الذي يشمل عرضاً شاملاً لافكار ورؤى سماحة المرجع المدرسي حفظه الله في خصوص الحركة الاسلامية. راجين من الله العلي العظيم أن ينفع به العاملين في سبيله، والله من وراء القصد.

مكتب سماحة المرجع الديني آية الله العظمى المدرسي

٣ / ربيع الثاني / ١٤١٥ هـ

خصائص الحركة الاسلامية

- ١- مميزات الحركة الاسلامية
- ٢- بين الحركة الاسلامية والحركة السياسية
- ٣- الايمان بالغيب منطلق الحركة الاسلامية
- ٤- كيف نحقق واقع التوحيد في الحركة السياسية
- ٥- مبادئ الحركة الاسلامية من وحي القرآن
- ٦- دور الأخلاق في الحركة الاسلامية
- ٧- البعد الحضاري للحركة الاسلامية

مميّزات الحركة الاسلامية

هناك ميزات عديدة تميّز الحركات الرسالية عن الحركات السياسية، فتلك الحركات التي تتبع نهج الانبياء والائمة والصديقين، وتحمل رسالات السماء هدفاً، وشرائع الله منهاجاً، تختلف اختلافاً جوهرياً عن الحركات السياسية التي قد تستهدف بعض الغايات النبيلة ولكنها لا تروم تحقيق كل الغايات النبيلة، وقد تتبع منهاج سليمة ولكنها تخلطها بمناهج شيطانية خاطئة.

ونحن الذين نرجو الله عز وجل أن يجعلنا من المنتمين الى رسالاته، والعاملين في سبيل شرائعه وأحكامه، لا بد أن نكون حذرين ويقظين وواعين وعارفين بما يميّز توجهاتنا عن سائر التوجهات، فعلينا أن لا ننخدع بالتوجهات السياسية السائدة، وأن لا نقع في اخطائها، وأن لا ننسى رسالتنا ونحن نخوض الصراع المرير مع اعداء الرسالة، ولا يغيب عن بالنا ربّنا تعالى ورضوانه وجنانه ونحن نُبتلى بامتحان عسير في سبيله، وأن لا نقف في منتصف الطريق، ولا نفقد صبرنا، ومعدن استقامتنا.

مميزات الحركات الرسالية

من أجل كل ذلك لا بد أن نكون يقظين، وأن نتساءل المرة بعد الاخرى عن مميزات الحركة الرسالية؛ فما هي مميزات حركات الانبياء ﷺ، وكيف عاشوا، وتحركوا، وواجهوا المشاكل والصعاب؟ وهكذا الحال بالنسبة الى الائمة ﷺ، فحياتهم هي أكثر أهمية وأعظم شأنًا من اقوالهم، لأنّ الاقوال قد يشترك في بعضها الآخرون، فهناك الكثير ممن يصعدون المنابر ويوصون الناس بالتقوى ولكن القليل منهم يثبت في المواقف الصعبة، وهناك الكثير من الناس يأمرّون بالصدق، والوفاء، والصبر ولكنهم لا يطبقون على انفسهم تلك المواعظ والنصائح.

وهكذا فإن حياة الائمة ﷺ مهمة، خصوصاً اذا درسنا حياتهم بصورة عامة، وجعلناها في اطار عام، وحولناها الى مثال يُحتذى به، وجعلناها تنبض بالحيوية والفاعلية، فنحن في بعض الاحيان قد نستمتع الى قصة عن شخص ما، كأن يكون هذا الشخص حكيماً، أو ولياً من اولياء الله، أو سياسياً كبيراً، ثم نستوحي من هذه القصة عبرة قد نتقبلها أو لا نتقبلها.

ضرورة دراسة سيرة القدوات

ولكننا في بعض الاحيان قد ندرس سيرة رجل نعتبره قدوة وإماماً معصوماً واجب طاعته، ونعتبر أنفسنا تجاهه تابعين ومقلدين؛ إنّ الامر يختلف هنا، فالقصة هي مشهد صغير من حياة شخص، في حين أنّ السيرة هي كل

حياته، وفيما يتعلق بالقصة فإن لك الحق في أن تتبعها أو لا تتبعها، ولكن ليس لك الحق في أن تترك سيرة نبيك ﷺ وأئمتك عليهم السلام.

فالسيرة يجب أن نضعها كلها في حسابنا من ألفها الى يائها، فندرس حياة النبي الاعظم ﷺ بحيث تتجسد أمامنا صورته في كل لحظة، وعند كل موقف، وفي كل حركاتنا وسكناتنا، وفي هذا الصدد يصف الامام علي عليه السلام اتباعه لرسول الله ﷺ بقوله: «وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْدَاءِ بِهِ»^(١)، فهو عليه السلام كان قد جعل من سيرة رسول الله ﷺ مثلاً لحركاته، فكان يتبع هذه السيرة خطوة بخطوة.

إِنَّ هُنَاكَ مَسَافَةً شَاسِعَةً بَيْنَ التَّمَنِّيَّاتِ،
وَبَيْنَ التَّطَلُّعَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ فَالتَّمَنِّيَّاتُ هِيَ مَجْرَدُ أَحْلَامٍ
فِي حِينَ أَنْ التَّطَلُّعَ هُوَ عَمَلٌ وَسَعْيٌ
وَإِصْرَارٌ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الْهَدَفِ،
فَتَغْيِيرُ الْذَاتِ لَيْسَ تَمَنِّيًّا بَلْ هُوَ هَدَفٌ عَظِيمٌ

من هنا علينا في كل منعطف وموقف وصراع أن نتبع النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، وأن نضع سيرتهم نصب أعيننا، وأن نتعرف على هذه السيرة في جميع تفاصيلها؛ فماذا نعرف عن أحد، وخير، وفتح مكة، وأخلاق النبي ﷺ

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، ص ٣٠٠.

وحياته؟

إنَّ قراءة هذه السيرة المباركة بحاجة الى دقة وتمعن بحيث تتحول هذه السيرة الى شاخص أمام أعيننا، وفي هذه الحالة فقط يمكننا أن نجسّد سيرة النبي ﷺ في سلوكنا بشكل تلقائي، وبدون اي تكلف.

وعلى سبيل المثال؛ ماذا نعرف عن فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه الصديقة الطاهرة المعصومة من الزل، والمفطومة عن الخطل التي قال عنها النبي ﷺ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَذَاهَا فَقَدْ أَذَانِي، وَمَنْ أَذَانِي فَقَدْ أَذَى اللَّهِ»^(١)، وفي حديث آخر: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَذَاهَا فَقَدْ أَذَانِي، وَمَنْ سَرَّهَا فَقَدْ سَرَّنِي، وَمَنْ غَاظَهَا فَقَدْ غَاظَنِي»^(٢)، ترى ماذا نعرف عن هذه الشخصية العظيمة، وماذا نعرف عن اقوالها وخطبها، وخصوصاً خطبتها بعد وفاة الرسول ﷺ، وخطبتها في نساء الانصار؟

الانسان الرسالي يتشبه بالانبياء والائمة

إنَّ ما يميّز الحركة الرسالية أنَّ الفرد فيها يتشبه بالنبين، والائمة، والصديقين، فتصاغ شخصيته من جديد، فاذا مشى حكت لك مشيته مشية رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام، واذا تكلم فان كلماته ومعاني حديثه تحكي لك عن كلمات الائمة، فاذا به يلفظ نوراً، ويخرج من فمه دستور الحياة، واذا

١ - بحار الانوار، ج ٤٣، ص ١٧١، رواية ١١.

٢ - الآمال [للصديق]، ١٠٤.

اتخذ موقفاً إنعكس في موقفه هذا موقف الانبياء ﷺ، وهذه هي القضية الجوهرية.

إنَّ الانسان الشيعي لا يسمى شيعياً لأنه من حزب الائمة ﷺ، أو لأنه محب لهم، فعندما يمدح النبي ﷺ اتباع الإمام علي عليه السلام فانه لا يقول عنهم انهم محبوه بل شيعته، فالشيعي هو من يشايح وليس من يبايع فقط؛ أي انه يتبعه خطوة بخطوة.

وبالاضافة الى ذلك فان الحركة الرسالية المباركة تتميز بانها تنطلق من تفكير جذري في الحياة، فتغير الظاهر لا يجدي إلا فائدة ظاهرة، أما التغيير الجذري فسيؤتي فائدة حقيقية في الأعماق، فمن المستحيل أن تتوقع فائدة حقيقية ثم تكفي بتغير ظاهره، والإمام الصادق عليه السلام يقول في هذا المجال: «إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وَلِكُلِّ صَوَابٍ نُورًا»^(١).

صفات عباد الرحمان

وهكذا فإنَّ الانسان الرسالي يتساءل مع نفسه دائماً: هل تغيَّرتُ فعلاً؟ وهل كان تغيَّري عميقاً أم سطحياً؟

إنَّ تغيير القلب ليس بالعمل الهين البسيط، وليس من السهولة أن يغيَّر الانسان عاداته وسلوكياته واهدافه، فعلى سبيل المثال: هل باستطاعتنا تطبيق مفهوم الآية التالية على سلوكنا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

١ - الغيبة [للنعماني]، ص ١٤١.

هَوْنًا^(١)، فهل يستطيع أحدنا أن يمشي على الارض دون أن يكون ثقيلاً على الآخرين؟

إنَّ بعض الناس يمشون على الارض محمّلين الآخرين اثقالهم، فترى أحدهم يأتي الى بيته ليثير ضجة حول أكله وفراشه، فيكون ثقيلاً على زوجته، ويفرض نفسه فرضاً على أولاده وكأنه طاغوتهم، فهو يريد دائماً أن يثبت وجوده!

إنَّ اشاعة الفاحشة والسلبيات،
وايجاد الحواجز السميكة بين قلوب المؤمنين
تُعتبر كلها من الممارسات المحرمة.
فمن الحرام عليَّ أن اتجسس على أخي المؤمن،
وأفتش عن عيوبه، وأنشر سلبياته في كل مكان

أمّا عباد الرحمن فليس لهم هذا الثقل، بل هم خفيفون، فاذا دخل أحدهم مجلساً فانه لا يفكر أين يجلس، فقد جاء في الحديث عن الرسول ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ مَجْلِسًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ مَا انْتَهَى مَجْلِسُهُ»^(٢).

وروي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ الرَّجَالُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣)، في حين أنَّ المؤمن لا يفتش عن الالقاب، والحقوق، بل

١ - سورة الفرقان، آية ٦٣.

٢ - مكارم الاخلاق، ص ٢٦.

٣ - مكارم الأخلاق، ص ٢٥.

يبادر الى اداء الواجبات الملقاة على عاتقه.

ثم يضيف تعالى في وصف الرساليين في نفس الآية قائلاً: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، فهم يجيبون لوم الجاهلين واتهاماتهم بالسلام، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^(١)، فالذين يريدون أن يكونوا رجالاً رساليين هل فكروا أن يبيتوا ولو ليلة واحدة سُجَّدًا وقِيَامًا لله رب العالمين؟

وهناك أمثلة أخرى سنذكرها في السطور التالية لكي ندرك أن هناك مسافة شاسعة بين التمنيات، وبين التطلعات الحقيقية؛ فالتمنيات هي مجرد أحلام في حين أن التطلع هو عمل وسعي وإصرار من أجل تحقيق الهدف، فتغيير الذات ليس تمنياً بل هو هدف عظيم.

وهنا لا بد من القول: إنَّ هناك منطقتان؛ منطق القوة، ومنطق الحق. أو بتعبير آخر: قوة المنطق، ومنطق القوة، وعلى الانسان المؤمن أن يحدد مع أي منطق هو، نحن - على سبيل المثال - نقول للغربيين: إنَّ علاقتكم بالمحرومين علاقة شاذة لأنكم تريدون أن تفرضوا علينا منطق القوة، وهذا الكلام صحيح، ولكنني يجب أن أحذر في نفس الوقت من أن أفرض منطق القوة على زوجتي أو اولادي، أو كل من هو تحت يدي، وإذا كنت قوياً أفرض منطق القوة على من هو اضعف مني، في حين ان الله جل وعلا يكذبني من فوق عرشه، فكأنه يقول لي إنَّ كلامك ضد المستكبرين هو كلام خاو فارغ ليس فيه محتوى، لانك لا تؤمن بالحق، بل تؤمن بنفسك، فكلامك لا ينسجم

١- سورة الفرقان، آية ٦٤.

مع عملك، وإلا فلماذا تجري وراء القوة، ولماذا يأكل القوي منكم الضعيف؟

لنحذر منطق القوة

ترى لماذا لم تستطع حكومات البلدان الاسلامية أن تهزم اسرائيل؟
الجواب: لان منطقها مع شعبها هو منطق اسرائيل معها؛ أي منطق القوة،
وبالطبع فان هذه الحكومات فاشلة في الصراع مع اسرائيل، وإلا فإين منطق
الحق؟

إنّ علينا أولاً أن نقول بالحق مع بعضنا، ثم نطالب بالحق مع العدو.

إنّ هذا الكلام ليس صحيحاً بمقياسه الواسع فحسب، بل هو صحيح
بالنسبة إلينا ايضاً، فبمجرد أن يصبح الواحد منا اقوى من الآخر وأغنى منه،
يثور في نفسه الطغيان. فالى متى نبقى هكذا، والى متى نبقى نريد أن نحقق
الطموحات بالكلمات والتمنيات؟

إنّ الرجال يُفتنون بالرئاسة والامارة، إذ «الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ»^(١)،
فعندما يصبح أحداً رئيساً تجتمع ما ترى الطغيان ينمو عنده، في حين انه لا
يملك في الحقيقة شيئاً، فعلياً أن نغيّر هذه المعادلة، فالانسان المؤمن يميل مع
الحق اينما كان كما يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢). فهو يشهد ولو على نفسه.

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، قصار الحكم، رقم ٤٤٩، ص ٥٥٤.

٢ - سورة النساء، آية ١٣٥.

إنَّ العلاقات داخل التجمع، وعلاقات التجمع مع المحيط، وعلاقات هذا التجمع مع ذلك، كل هذه العلاقات اذا كانت اسلامية بهذا المفهوم، فان هذا التجمع هو الذي سيكون الغالب، أما اذا كانت العلاقات مبنية على أساس القوة، واذا كان القوي يأكل الضعيف، فان قوى الإستكبار ستأكلنا جميعاً لانها هي الاقوى.

عن هذا المنطق يحدثنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(١).

أي انه كان بإمكان الله سبحانه أن يجعل جميع البشر في مستوى واحد كما جعل الطيور والاسماك، ولكن الانسان يختلف عن سائر الكائنات لانه يمتلك الفكر، وله قدرة الاجتهاد والاستنباط، ولذلك فقد خلق الله تعالى كل انسان مختلفاً عن الانسان الآخر، والسبب في ذلك يبينه القرآن الكريم في قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

فلا تحاول أن تهزم الطرف الآخر، بل حاول أن تستبق الخيرات، وأن تعمل المزيد منها.

البناء افضل وسيلة للهدم

وفي الحقيقة فاني أستوحي من هذه الآية ما يخالف المقولة الشائعة في العلم العسكري القائلة: «الهجوم افضل وسيلة للدفاع» بل اقول: «الدفاع افضل وسيلة للهجوم»، يقولون: إنَّ الهدم أفضل وسيلة للبناء، وانا اقول: إنَّ البناء افضل وسيلة للهدم، فنحن لماذا نهدم بالاساس؟

القرآن الكريم يقول في هذا المجال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١)، ويقول: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾^(٢).

إنَّ المنطق القائم على الهدم، وازالة الطرف الآخر، والتنافس في امور الدنيا، هذا المنطق منهزم فاشل؛ فالله عزَّ وجل يقول لنبية الاكرم ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، فليحاول الواحد منا أن يوسَّع قلبه، بحيث يجعله يسع الجميع، ويجب حتى اعداءه.

فقد كان الإمام علي عليه السلام في صفين يبكي على أعدائه الذين انحرفوا عن الصراط السوي، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء كان مهتماً بهداية الذين احتشدوا لقتاله، فكيف لا تسع قلوبنا المؤمنين، ولا نريد لهم الخير، ونحسد لهم، ونحقد عليهم؟

اننا عندما لا نضمّر الحب لآخواننا المؤمنين فهذا يعني اننا لا نحب الله،

١- سورة الاعراف، آية ٥٦.

٢- سورة هود، آية ٨٨.

٣- سورة الانبياء، آية ١٠٧.

فالقلب الذي يحب الله عزَّ وجل لا يمكن أن يكره مؤمناً، فكيف نؤمن بالله ونكره عبده الصالح؟

فلندع قلوبنا تحب الآخرين، ولنطهر هذه القلوب من اضغانها وسلبياتها ورذائلها.

إن معنى الوحدة أن ندعو الله سبحانه
أن لا يجعل في قلوبنا ولو غلاً بسيطاً للذين آمنوا،
لكي نصبح اخواناً على سرر متقابلين، فنحن يجب أن نجعل
حضارة الجنة في الدنيا، فمن كان في الدنيا بحيث أراد الله
فان هذه الدنيا ستصبح بمثابة جنة له

إنَّ اشاعة الفاحشة والسلبيات، وإيجاد الحواجز السميكة بين قلوب المؤمنين تُعتبر كلها من الممارسات المحرمة. فمن الحرام عليَّ أن اتجسس على أخي المؤمن، وأفتش عن عيوبه، وأنشر سلبياته في كل مكان.

إنَّ لنا كامل الحرية في أن نقول ما نؤمن به، ونتنقد الاطراف الاخرى بكل صراحة وأمانة وإيجابية، ولكن ليست لنا الحرية في أن نحيك المؤامرات، ونتجسس على بعضنا، ونغتَاب الآخرين، ونشيع الفاحشة، واذا ما فعلنا ذلك فإنَّ هذا يعني أن قلوبنا مريضة، لأنَّ القلب القائم على الحب لا تجد فيه مكاناً للكره والحسد والحقد والغيبة.

الوحدة في القلب أولاً

إن الوحدة هي مقياس لنمو الامة وحضارتها، فإن «يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ» كما في الحديث المنسوب الى رسول الله ﷺ^(١)، فلنجعل أيدينا في أيدي بعضنا البعض لكي يضع الله جل وعلا يده في أيدينا، ومع ذلك فان هذه الوحدة ليست عملية سهلة، فالمؤتمرات والاجتماعات والتحالفات لا يمكن أن تحققها، بل الوحدة في القلب والروح، وهي حب واخلاص قبل كل شيء، وأن تدعو لاختوتك المؤمنين بقلب مخلص قائلاً: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وهكذا فان معنى الوحدة أن ندعو الله سبحانه أن لا يجعل في قلوبنا ولو غلاً بسيطاً للذين آمنوا، لكي نصبح اخواناً على سرر متقابلين، فنحن يجب أن نجعل حضارة الجنة في الدنيا، فمن كان في الدنيا بحيث اراد الله فان هذه الدنيا ستصبح بمثابة جنة له، أما أن اكون في الدنيا مع اخواني في حالة غل، واختلاف، وصراع، ثم ارغب أن اكون في الجنة مع اخواني على سرر متقابلين فان أمنيّتي هذه لا يمكن ان تتحقق لاني لم احققها في الدنيا.

وهكذا فان الحركة الاسلامية يجب عليها أن تتبع الخطوات التالية:

أولاً: أن تتبع سيرة النبي الاعظم محمد ﷺ، وسيرة أهل البيت عليهم السلام

١- كنز العمال، ج٧، ص٥٥٨.

٢- سورة الحشر، آية ١٠.

إتباع الفصيل لأمره، ومثل هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا بفهم هذه السيرة واستيعابها، ثم تجسيدها وبلورتها في حياتنا.

ثانياً: يعتبر الهدف عند أتباع الحركة الإسلامية هدفاً جذرياً، وهذا الجذر يبدأ من انفسهم.

ثالثاً: إن منطق القوة مرفوض عندهم؛ فالمنطق للحق، والمقياس عندهم الحق، وهم يطالبون هذا الحق لانهم على حق ويعملون بالحق قبل الآخرين.

واخيراً فانهم يجعلون الوحدة التي تنبع من القلب المؤمن الذي يسع عباد الله جميعاً مقياس تحركهم، ومقياس إصلاحهم لأنفسهم، وإصلاح مَنْ حولهم، لكي يستطيعوا بذلك بناء حركة رسالية الهية متميزة تعتمد القيم الروحية والدينية أساساً لتحركها في أوساط المجتمع، ولكي تتميز هذه الحركة عن الحركات السياسية التي تستهدف تحقيق الاهداف السياسية والمادية البحتة التي لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالاهداف الالهية التي رسمها الله سبحانه وتعالى للحركات العاملة على تحقيق اهداف الرسالات السماوية.

وعلينا أن لا ننسى في هذا المجال أن الصبر، والصمود، والثبات، والاستقامة هي ادواتنا لتحقيق تلك الاهداف، سواء في مواجهتنا مع الاعداء على ساحة المعركة، أو مع أنفسنا التي هي بحاجة الى تطهير وتركيز أكثر من غيرها لأنها تمثل الاساس الاول لعملية التغيير.

بين الحركة الاسلامية والحركة السياسية

يوجد فرق كبير بين الحركات الرسالية والحركات السياسية؛ فالحركات الرسالية هي حركات حضارية تسعى من أجل اقتلاع جذور الباطل، وتثبيت دعائم الحق.

والحركة الرسالية من مزاياها انها تواجه المشاكل القائمة برمتها ومن الجذور، وهذه الميزة تجعلها حركة خارجة عن المعادلات، كما تجعل مواقفها مواقف مبدئية لا تتسم بالانهازامية أو المصلحية، في حين أنَّ الحركات السياسية نراها على العكس من ذلك تماماً، فهي - أولاً - تسعى من أجل ترميم بعض النواقص الظاهرية في حين تترك المشاكل الحقيقية. وهي - ثانياً - تستهدف الوصول الى السلطة عبر أية معادلة ممكنة.

ثم إنَّ مواقف الحركات السياسية تتأثر بالرياح الموسمية التي تهب على عالم السياسة، فاذا اتجهت هذه الرياح شرقاً مالت هذه الحركات نحو الشرق،

واذا كانت وجهة الرياح غربية، مالت الى الغرب.

وبالاضافة الى ذلك فإن هذه الحركات (غير الرسالية) تخضع للمعادلات السياسية القائمة في بلدانها وفي العالم بصورة عامة، والنتيجة التي لا بد أن نتوقعها من هذه الحركات هي أن مشاكلها ستبقى قائمة، وانها لا تستطيع أن تحقق اهدافها. ولتوضيح هذه الحقيقة نضرب فيما يلي مثلاً من واقعنا المعاش؛ ولنأخذ على سبيل المثال مواقف الحزب الشيوعي العراقي، فمنذ بداية تاريخ العراق الحديث؛ أي منذ عام ١٩٥٨ حيث تغير نظام الحكم في العراق من نظام ملكي الى جمهوري، رأينا أن مواقف هذا الحزب تأثرت ايجاباً وسلباً عبر معادلتين ومحورين متفاعلين هما: المحور الداخلي، والمحور الخارجي.

فعلى الصعيد الداخلي رأينا كيف أن الشيوعيين تحالفوا بالامس مع الحزب الفلاني، وكيف انهم عدلوا بعد ذلك عن موقفهم هذا ليتحالفوا مع حزب آخر وليدخلوا معه في جبهة (موحدة)، وعلى الصعيد الخارجي نرى أن قادة هذا الحزب يستلهمون مواقفهم واتجاهاتهم من الأحزاب الشيوعية - الأم في الخارج.

هدف الحركات السياسية

إن هذا الاسلوب الذي تتبعه هذه الحركات السياسية انما هو لانها تستهدف الوصول الى سدة الحكم، وهذا الهدف هو الذي يجعل هذه الحركات تتسم بهذا الطابع الانتهازي والمصلحي، في حين ان الحركات الرسالية تتسم

بالمواقف الرسالية غير المساومة. وعلى سبيل المثال فان الحركة الرسالية عندما دعت جماهير الامة الاسلامية للالتفاف حول الثورة الاسلامية في ايران فانها دعته دون أن يكون لها ارتباط مصلحي بهذه الجماهير، فهذه الثورة كانت في يوم من الايام غير منتصرة، وكان يُخشى عليها أن تنتهي بسبب أو بآخر، ومع ذلك فان الحركة الرسالية أعلنت تأييدها لها من موقع المسؤولية يوم كانت تلك الثورة ضعيفة ومقهورة.

إن الحركة الاسلامية حينما تطلق شعار (الوحدة) فان هذه الوحدة هي الاخرى لا تمثل شعاراً مصلحياً تطرحه من أجل كسب النفوذ، بل لا بد أن تعمل من أجل تكريسها من خلال التضحية في سبيل تحقيقه، فالوحدة هي واجب ومسؤولية لا بد لكل واحد منا أن يعمل من اجلها

الدوافع الالهية للحركات الرسالية

وهكذا فان التأييد هو للمبدأ، ولفقيه تجسّد فيه هذا المبدأ، وقاد تلك الثورة، وخبرته الامة خلال سنين طويلة، فالتأييد يبقى لانه مبدئي، ونابع من واجب لا من حق، فليس هناك حق اولى من حق الله تعالى على الانسان. وهنا تفرق مواقف الحركة الرسالية عن مواقف الحركة السياسية، فعندما تكون مواقفك من دولة ما أو نظام أو ثورة أو شخص نابعة من

ايمانك بالمبدأ فانك سوف لا تفكر في حسابات القوة أو الضعف، أما اذا كانت مواقفك صادرة من مصالحك ومشاعرك وعواطفك فان تأييدك سوف يتغير قوة وضعفاً.

والحركة الرسالية عندما تحمل شعار الأُمّية الاسلامية، فان هذا الشعار لا ترفعه للاستهلاك المحلي، أو من أجل جذب انتباه الآخرين اليها، بل إنّ الشعار يحملها مسؤولية العمل من أجل المستضعفين في كل مكان قبل أن يعطيها حقاً، بل يفرض عليها واجباً، فعندما ندّعي الأُمّية الاسلامية فان هذا الادّعاء يستوجب منا أن نستقيم على أساسه، أي أن نبقي نتحدى كل الامواج العاتية التي تخلقها قوى الاستكبار العالمي.

كما ان الحركة الاسلامية حينما تطلق شعار (الوحدة) فان هذه الوحدة هي الاخرى لا تمثل شعاراً مصلحياً تطرحه من أجل كسب النفوذ، بل لا بد أن تعمل من أجل تكريسه من خلال التضحية في سبيل تحقيقه، فالوحدة هي واجب ومسؤولية لا بد لكل واحد منا أن يعمل من اجلها.

ضرورة الثبات في الساحة السياسية

وللاسف فان هناك البعض من المنتمين الى الحركات الرسالية قد يشتهه عليهم الامر؛ فهم قد ينطلقون من منطلق رسالي وايماني، ولكنهم عندما يدخلون الساحة السياسية فإنّ اوساخها وسلبياتها سرعان ما تلوث نفوسهم وتشوش رؤاهم، وتجعلهم لا يميزون بين المواقف المبدئية والمواقف السياسية،

فاذا بهم يميلون مع كل ريح؛ وبالطبع فاني لا اقصد هنا أن هذه الرياح هي رياح غربية أو شرقية، فقد تكون هناك رياح أخف منها وطأ، ولكن المهم في ذلك أن الانسان الذي يطأطى رأسه اليوم أمام قوة بشرية صغيرة، لا بد أن يركع غداً لقوة أعتى وأكبر.

إنَّ الانسان الذي يشعر بالضعف أمام القوي الصغير فانه سيشعر غداً بهذا الضعف أمام المستكبر والمحتل والمستغل، فاذا كان موقفك من ظاهرة ما موقفاً مبدئياً، واذا كنت صاحب الحق، فلماذا الضعف؟

إحمل رسالتك، وقل كلمتك، واعمل من أجل أهدافك دون أن تخشى في الله لومة لائم، والله سبحانه وتعالى سينصرك كما وعدنا بذلك قائلاً: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

إنَّ الانسان المؤمن يخطط، وينظم حياته، ويسعى ويتحرك، ولكنه لا يفكر في النتائج تفكيراً ساذجاً، لأنَّ مثل هذا التفكير قد يدفع الانسان الى تغيير مواقفه وتحركاته حسب الاحداث اليومية، ولذلك فان الحركة الرسالية لا تخضع للمعادلات السياسية، فالذي يخضع اليوم لمعادلة صغيرة قد يخضع غداً لمعادلة أكبر، وقد يخضع غداً لمعادلة الدول الكبرى.

والغرب عندما يسمي اليوم الحركات الرسالية بـ(الحركات الاصولية) فانه يعترف أنها تطلب التغيير الجذري، فهو يخشى من هذه الحركات لانها لا تخضع للمعادلات، في حين إنَّ الحركات السياسية الاخرى سرعان ما تفتح

١ - سورة محمد، آية ٧.

الطريق للنفوذ الاستعماري عندما تصل الى الحكم لأنها تدور منذ البدء في فلك المعادلات السياسية.

إنَّ الانسان المؤمن يخطط،
وينظم حياته، ويسعى ويتحرك،
ولكنه لا يفكر في النتائج تفكيراً ساذجاً،
لأنَّ مثل هذا التفكير قد يدفع الانسان الى تغيير مواقفه
وتحركاته حسب الاحداث اليومية

لنحذر المواقف السياسية المرتجلة

وفي هذا المجال لا بد أن تحذر الحركات الاسلامية من المواقف السياسية المرتجلة، ومن التنافس الساذج، فالحركة الرسالية تبحث دائماً عن العمق، وتحاول دائماً أن تغير بشكل جذري الثقافة والاخلاق والعلاقات، وهذا التغيير لا يمكن أن يحصل إلا بعمل جدي، ولذلك نرى أن الانسان الذي يحمل راية الحركة الرسالية قد يقضي عمره كله قبل أن يرى اهدافه قد تحققت أمامه، لانه يعلم أن هذه الاهداف عظيمة جداً ولا يمكن تحقيقها بين عشية وضحاها.

والروايات الشريفة تؤكد في هذا المجال قائلة: «إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ اِمْتَحَنَ

اللَّهُ قَلْبُهُ لِلْإِيمَانِ»^(١)، ولذلك نرى أنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام عندما حملوا راية الدفاع عن المستضعفين، ولواء العدالة الاجتماعية والحرية، وعندما أخذوا على عاتقهم تبليغ رسالات الله تعالى الى البشرية فانهم عانوا في سبيل ذلك السجون، وضحوا بأنفسهم في سبيل رسالتهم.

إنَّ هؤلاء هم القدوة الصالحة لنا، والمثل الاعلى؛ فالأئمة عليهم السلام لم يكونوا قدوات لمن كان في عصرهم فحسب، ولا لمجموعة بسيطة من الموالين فقط، بل كانوا سراجاً للامة كلها، ومصابيح الدجى، وقادة للعالمين، ونحن مهما حاولنا لن نستطيع أن نوفي حقهم ونؤديه على الوجه الاكمل، فمن خلال حركتهم المباركة تكوَّنت الحركات الرسالية، وبواسطة إتباع منهجهم عليهم السلام أصبحت هذه الحركات أقوى وأكثر اقتداراً من أن تتأثر بالمعادلات السياسية وتخضع لها، وهذه هي نقطة افتراق الحركات الالهية عن الحركات السياسية المادية.

الايمان بالغيب منطلق الحركة الاسلامية

إنَّ الحركة الاسلامية قائمة على اساس الايمان بالغيب، وهذا الاساس الذي تقوم عليه الحركة الاسلامية ليس من أجل أنَّ هذه الحركة لا يمكن أن تتصر من دونه، بل لأنَّ الغيب يمثل حقيقة قائمة إنَّ لم نؤمن بها ايماناً حقيقياً فسوف نصطدم بها دون أن نكون قد سلَّحنا انفسنا بسلاح يقينا من تبعات الكفر بها.

إنَّ النبي الاعظم ﷺ هو أول من بلَّغ الرسالة، فقد جاء في الحديث أنَّه لما نزل قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا، فقال: «يَا صَبَاحَاه» - وكان هذا النداء ينادي به العرب كلما داهمهم خطر عظيم - فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ - معتقدين أنَّ محمداً الصادق الامين قد جاء لهم بخبر عدو يريد أن يقتحمهم - قال: «أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُضْبِحُكُمْ أَوْ مُمْسِيَكُمْ مَا كُنتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟» قالوا: بلى.

قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فقال أبو لهب: تَبَّ لَكَ أَلْهَذَا دَعَوْتَنَا؟ فنزلت سورة تبت يدا أبي لهب^(١).

تري لماذا نحن نصدق الانسان الذي يدخل علينا ونحن جالسون - مثلاً - في قاعة ويعلن لنا أَنَّ هناك قبلة موقوتة في القاعة التي نجلس فيها، لماذا نصدِّقه بطريقة عفوية، ولا نصدِّق القرآن الكريم وهو كتاب الله، رب السماوات والارض وخالقنا ورازقنا، والذي اليه مرجعنا ومعادنا، وهو يحذرنا من عذاب الاخرة؟!!

تري هل نحن نعتقد ان القبلة الموضوعية داخل القاعة أقوى وأشد عذاباً من نار جهنم؟

لقد جاء في الحديث الشريف: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ أُطْفِئَتْ سَبْعِينَ مَرَّةً بِالْمَاءِ ثُمَّ التَّهَبَّتْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ آدَمِيُّ أَنْ يُطِيقَهَا»^(٢).

فماذا يعني أَنَّ النار قد أطفئت سبعين مرة؟ وماذا يعني الحديث الاخر المروي عن رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ حَلَقَةً وَاحِدَةً مِنَ السَّلْسِلَةِ الَّتِي طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَضِعَتْ عَلَى الدُّنْيَا لَذَابَتْ الدُّنْيَا مِنْ حَرِّهَا»^(٣).

عندما اكتشف البشر اليوم القبلة الهيدورجينية التي تستطيع أن تحيل مدناً

١ - مناقب آل ابي طالب، ج ١، ص ٤٦.

٢ - بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨٨.

٣ - بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨٠.

كاملة بما فيها من عمارات ومنشآت وسكان خلال مدة لا تتجاوز (١ على ١٦) من الثانية الى مجرد سحابة من الدخان، فانه بدأ يصدق هذه الاحاديث التي قيلت منذ اربعة عشر قرناً قبل أن يبلغ العلم هذا المبلغ من التطور.

إنَّ نار جهنم هي أشدُّ حرّاً وافناءً من القنابل الهيدروجينية والنووية، ولكن المشكلة لا تكمن هنا، فهذه القنابل عندما تتفجر في مكان ما، فان الناس الموجودين في هذا المكان سينعدمون خلال لحظات ثم ينتهي الامر، أمّا في نار جهنم فانه ليس هناك اي احتمال لخروج الداخلين فيها، فهم مخلّدون كما يشير الى ذلك الحوار بين اهل النار ومالك خازن جهنم الذي يرويه لنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾^(١).

ينبغي أن نخاف الله تعالى ونرجوه؛
فلا نخافه خوفاً يقطع أملنا في رحمته،
ولا نرجوه رجاء يؤدي بنا الى الأمن من مكره،
ومن ثم الكف عن العمل الصالح لنكتشف في لحظة
من اللحظات أننا - لا سمح الله - من وقود جهنم

وعلى هذا، فان علينا - نحن البشر - أن نضع هذا الاحتمال نصب أعيننا وهو أننا قد ندخل نار جهنم - والعياذ بالله - . وفي هذا المجال يُروى عن الحارث بن المغيرة أو أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصية

لقمان؟ قال: «كَانَ فِيهَا الْأَعَاجِبُ، وَكَانَ أَعْجَبَ مَا كَانَ فِيهَا أَنْ قَالَ لِابْنِهِ: خَفِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِيفَةً لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ، وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ».

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ نُورَانِ: نُورٌ خِيفَةٍ وَنُورٌ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا»^(١).

وهكذا ينبغي أن نخاف الله تعالى ونرجوه؛ فلا نخافه خوفاً يقطع أملنا في رحمته، ولا نرجوه رجاء يؤدي بنا إلى الأمن من مكره، ومن ثم الكف عن العمل الصالح لنكتشف في لحظة من اللحظات أننا - لا سمح الله - من وقود جهنم.

الدنيا ليست نهاية المطاف

وهكذا فإن من الخطأ الفظيع أن نتصور أن الدنيا هي نهاية المطاف بالنسبة إلى الإنسان، فالإنسان قبل عالم الدنيا كان يعيش في عالم الاصلاح؛ حيث كان ينتقل من صلب إلى صلب كما تؤكد ذلك الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة.

وقد اكتشف العلم الحديث أن هذا الإنسان كان في يوم من الايام جينة صغيرة لا تستطيع العين المجردة أن تراها إلا عبر المجاهر، وقبل أن يكون

١ - الكافي، ج ٢، ص ٦٧.

جينة كان في عالم الذر، وقبل ذلك في عالم الارواح، هذا من جهة الماضي. أمّا من جهة المستقبل فانه سيعيش طويلاً في القبر الذي سيكون إمّا روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

وعندما يخرج من القبر سيقف خمسين الف سنة للحساب في المحكمة الالهية، وبعد ذلك يصل الى المنزل الاخير، والمستقر النهائي حيث يعيش فيه خالداً، إمّا في الجنان فلا يرى فيها مكروهاً، ولا يحس بألم ليجتمع مع الشهداء والصديقين والذين أنعم الله تعالى عليهم، وإما أن يعيش مخلداً في نار سَجَرها خالقها لغضبه.

ولذلك فإنّ الانسان المؤمن يعيش في الدنيا سعيداً حتى لو سُجِنَ وعُذِّبَ وأُحْرِقَ جسده، وقُطِّعَت اعضاءه، لأنّ هذه الشدائد التي يمر بها ستتحول بالتالي الى نعيم بالنسبة اليه، في حين أنّ الانسان الكافر والمجرم سيكون على العكس من ذلك تماماً.

الحركة الالهية باقية رغم الطغاة

إنّ الحركة الالهية التي ابتدأت مع آدم عليه السلام، واستمرت مع كل الانبياء والمرسلين، وتجددت على يد خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ليست نبتة ضعيفة تستطيع الرياح أن تقتلعها. يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

١ - سورة الصف، آية ٨.

إنَّ الحكام الطغاة يريدون أن يزيلوا ايمان شعوبنا المسلمة بالقرآن عبر اساليبهم المناهضة للاسلام، ولكننا نعتقد اعتقاداً راسخاً بالاية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

فالله عز وجل الذي أنزل هذا القرآن هو الذي يحفظه، ونحن بدورنا يجب أن نعمل من أجل الآخرة، ومن أجل أن تنتهي حياتنا بشرف الشهادة، فان لم تنته حياتنا بهذا الشرف الرفيع فلنكن - على الاقل - ممن قال الله سبحانه في حقهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

لقد ذكر الله تعالى الانسان في القرآن، وأنذره بالرسول
والانبياء، ولكنه كان غافلاً، فأغمض عينيه عن الحق،
أما في يوم القيامة فستُرفع عنه جميع الحجب، حتى يصبح
بصره قوياً كالحديد، فيرى الحقائق كلها مجسدة أمامه
بوضوح، وحينئذ لا سبيل له لانكارها

فلنحاول أن نختم عاقبتنا بخير، ولا نكن ممن قال عنهم تعالى عندما يأتيهم الموت: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٣).

إنَّ الموت آتٍ، سواء اراد الانسان أم أبى، فلا أحد يستطيع أن يتجنبه

١- سورة الحجر، آية ٩.

٢- سورة آل عمران، آية ١٠٢.

٣- سورة ق، آية ١٩.

أبداً، ولو كان هناك أحدٌ بإمكانه ذلك لكان النبي سليمان عليه السلام أولى من غيره بذلك؛ فقد كان نبياً، وكان ملكاً، وسُخِّرَتْ له الطير والرياح والجبال والجن، وأخضعت له الطبيعة إخضاعاً، وعُلِّمَ منطق الطير، وأوتي من كل شيء، ومع كل ذلك لم يستطع أن يدفع الموت عن نفسه، فمات وهو متكئ على عصاه! ^(١).

ثلاث مراحل أمام الإنسان

إنَّ أمام الإنسان ثلاث لحظات صعبة عسيرة لا بد أن يمرَّ بها:

الاولى: لحظة الولادة وقد تجاوزناها والله الحمد، فالعلماء والاطباء يقولون في هذا المجال: إنَّ الطفل من الممكن أن يولد في أية لحظة مشوهاً أو يموت أساساً.

والثانية: لحظة الموت.

والثالثة: لحظة الخروج من القبر يوم القيامة، حيث لا يدري الإنسان حينئذ أين يذهب، وكيف سيكون مصيره؛ فهل سيتوجه الى الجنة أم يُساق الى النار؟

ويصوِّر لنا القرآن الكريم هذا المشهد الرهيب في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ^(٢).

فكل نفس تأتي يوم القيامة يكون وراءها واحد، وأمامها واحد، فهناك

١- انظر: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٣٦، ح ١.

٢- سورة ق، الآيتان ٢٠-٢١.

اثنان من الملائكة يقتادان الانسان؛ أحدهما يسوقه، والآخر يشهد عليه قائلاً: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(١).

يوم زوال الحجب

لقد ذكر الله تعالى الانسان في القرآن، وأنذره بالرسل والانبياء، ولكنه كان غافلاً، فأغمض عينيه عن الحق، أما في يوم القيامة فستُرفع عنه جميع الحجب، سواء الطبيعية منها، أو تلك التي وضعها على بصيرته من خلال ذنوبه ومعاصيه وأعماله السيئة، حتى يصبح بصره قوياً كالحديد، فيرى الحقائق كلها مجسدة أمامه بوضوح، وحينئذ لا سبيل له لانكارها كما يقول تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾^(٢).

ونحن هنا نسأل الله عز وجل أن يجعل عاقبة أمرنا خيراً، وأن يزيد إيماننا بالغيب وبالآخرة، لكي لا نبتي بهذا المصير الذي حذرنا منه القرآن الكريم.

١- سورة ق، آية ٢٢.

٢- سورة ق، الآيات ٢٣-٢٦.

حقيقة التوحيد في الحركة السياسية

كثيراً ما يتشدد الانسان بالايان ويدّعيه، فهو يرى انه مؤمن بالله، ولكن الله عزّ وجل في الحقيقة ليس إلا مجرد أوهام تدور في مخيلته، وتصرفات تعيشها نفسه، أما الحقيقة فتبقى بعيدة وقصية عنه.

والآيات القرآنية - التي ستتلو بعضها - تؤكد على هذه الظاهرة، وهكذا فاننا نعبد لفظ (الله) ونعبد تلك الصور التي نتوهمها في مخيلتنا دون أن نعبد الله الحق الذي خلق السماوات والارض بالحق، والذي خلقنا وأحسن خلقنا، وقدر لنا اقواتنا وهدانا اليها، الله الذي بيده امرنا واليه مصيرنا ومنه مبدؤنا واليه منتهانا.

اين نحن من حقيقة التوحيد؟

ترى هل نحن نؤمن بهذه الحقيقة؟

إنَّ القرآن الكريم يصرح في هذا المجال قائلاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾؛ وبعبارة اخرى: إِنَّ الذين يزعمون أنهم مؤمنون بالله ثم لا تحشع قلوبهم لذكر الله تعالى فانهم في ضلال بعيد، يصفهم القرآن الكريم في قوله: ﴿كَبَّاسِطٌ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٢).

إن قليلاً من تصوّر مخلوقات الله تعالى وعظمتها ودقتها يكفي لأن يعتقد الانسان انه بعيد كل البعد عن الحقيقة، وأن إيمانه هو مجرد لقلقة لسان، بل إن عليه أن يرتبط بمخلوقات الله، وبما خلق من عجائب في هذا الكون.

ترى هل الانسان ينطق بكلمة (الله)، وهو يعني بها: رب هذه الكواكب والشمس والمنظومة، ورب المجرات والعالمين؟ وهل يقولها بصدق ام يرددها ترديداً ألياً؟ ومتى نثبت هل إن هذه الكلمة هي حقيقة أم مجرد لفظة تلوكتها افواهنا؟

الايمان لا بد أن تكون له آثار

إن كل ذلك يظهر جلياً عندما يأتي يوم التجربة والامتحان، فالايان بالله تعالى لا بد أن يكون له أثر، وقد روي في هذا المجال عن النبي الاعظم ﷺ قوله: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِّ حَقِيقَةٍ وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورًا» (٣)، فأين نور الايمان؟

١- سورة الانفال، آية ٢.

٢- سورة الرعد، آية ١٤.

٣- بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٤٣.

أنا أدّعي أنّ الوقت نهار ولكن لا أجد الشمس ولا أجد نورها، وأدّعي وجود شمس الايمان في قلبي ولكن لا ينعكس هذا الايمان في تصوراتي وتحركاتي وسلوكياتي وآرائي.

من الجهة التاريخية نرى أنّ الرسائل واحدة،
وأنّ الرسل يدعون الى مبادئ واحدة،
ومن جهة الواقع والمصلحة نرى
أنه لا يوجد اختلاف في المصالح لانها جميعاً داخلية في
اطار التقوى والايمان بالله

ومن عجائب القرآن انه يهدينا دائماً وأبداً الى خلفية الاحداث، والى
العلل والجذور والاصول ولا يكتفي بالحديث عن الفروع، وهو يربط بينها
ربطاً عجيباً كما نرى ذلك في الآيات القرآنية التالية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ *
قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

توحيد الله وتوحيد الصفوف

إن هذه الايات الكريمة تربط بين الحديث عن اولئك الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، واولئك الذين ابتلى الله تعالى بعضهم ببعض، فجعل بعضهم فتنة لبعض، وبين الحديث عن هذه الحقيقة، وبين الحديث عن الله والايان به، وأن الصلاة والنسك والمحيا والممات لله رب العالمين.

وإني أرجو من القارئ الكريم أن يتدبر في هذه الكلمات؛ إن القرآن الكريم يصرح بأن المختلفين في أمر دينهم ليس النبي ﷺ منهم في شيء، ونحن سنبين فيما يلي العلاقة بين بداية الآية ووسطها؛ أي إن اولئك الذين اتخذوا من الدين مذاهب مختلفة لا تربطك بهم أية علاقة بل إن أمرهم الى الله، وعندما ينزل الرسول عنهم، وعندما لا تكون هناك علاقة بينهم وبينه، فهل هذا يعني أن العلاقة بينهم وبين الله سبحانه ستكون معدومة؟

كلا بالطبع لأنه سيحاسبهم، ولكنه لا يحاسبهم بظلم بل بأرفع مستويات الرحمة والرأفة؛ فالحسنة يضاعفها، في حين أن السيئة لا تقابل إلا بمثلها.

الرسول بريء من المتفرقين

تري لماذا تنعدم علاقة النبي ﷺ باولئك الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟

الجواب على هذا السؤال يقدمه القرآن الكريم نفسه فيقول: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، لأنَّ الاسلام صراط مستقيم بعيد عن الشرك والاهواء والمذاهب، ذلك لأنَّ المبدأ الذي يذوب فيه المؤمنون هو مبدأ واحد منذ ابراهيم الخليل عليه السلام وحتى نبينا محمد ﷺ.

ومن الجهة التاريخية نرى أنَّ الرسالات واحدة، وأنَّ الرسل يدعون الى مبادئ واحدة، ومن جهة الواقع والمصلحة نرى أنه لا يوجد اختلاف في المصالح لانها جميعاً داخلية في اطار التقوى والايان بالله.

فانظروا الى معجزة القرآن الكريم وهو يربط بين فكرتين؛ فهو يبيِّن أنَّ الاختلافات التي تظهر في الامم إمَّا أنَّ تستمد جذورها من التاريخ، وإمَّا من الواقع الحاضر ومصالحه ومفاسده وأهواء الناس، فالقرآن الكريم يقرر أنَّ التاريخ واحد، وأنَّ المصالح يجب أن تذوب اليوم كلها في بوتقة الاسلام والتوحيد.

ثم يستأنف السياق الكريم قائلاً: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، فالذي خلق المجرات، وخلق الارض والسماء والشمس والقمر والنجوم هو أحق بالعبادة لا الارباب المختلفون.

وخلاصة القول إنَّ الانسان لا بد أن يقف في نهاية الخط للحساب، ويعلم أن تزوير الحقائق التاريخية والموضوعية باهوائه لن ينفعه شيئاً يوم يقف

١- سورة الانعام، آية ١٦١.

٢- سورة الانعام، آية ١٦٤.

في محكمة الله العادلة ليحاسب حساباً شديداً.

ثم يقول تعالى بعد ذلك: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

فنحن إن رأينا التفاضل بين الناس، والاختلاف في المظاهر الطبيعية، وفي الآداب والتقاليد، فانما هو امتحان الناس بعضهم ببعض؛ إمتحان الفقير بالغني، والغني بالفقير، وامتحان الجاهل بالعالم، والعالم بالجاهل، واختبار المستضعف بالمستكبر، والمستكبر بالمستضعف.

إِنَّ من الخطأ أَنْ نعيش هذه الاعمار الطويلة ونَدعي الاسلام،
ولكننا عندما نواجه ملك الموت نكتشف في تلك اللحظة
اننا لم نكن مسلمين حقاً، ثم نبقي في العذاب الى الابد،
واذا كان الامر كذلك فما الفائدة من المجيء الى هذه الدنيا،
وما جدوى الجهود التي بذلناها؟

والانسان المسلم لا يمكن أن يتورط في هذه الاختلافات فلا يقول: أنا من قوم، وهذا المسلم من قوم آخر، أو أنا من بلد وأنت من بلد آخر، وأنا من مذهب يختلف عن مذهبك، لأنَّ المسلم يعود في التأريخ الى ملة إبراهيم، وفي الواقع الحاضر يذوّب كل شخصيته وميزاته واخلاقه في بوتقة الاسلام.

١ - سورة الانعام، آية ١٦٥.

الاهتمام بقضايا المسلمين أساس الوحدة

إنَّ الاحاديث النبوية تستمد من الايات الكريمة روحها، وتلقاها علينا ببيان نبوي مبين، فالنبي ﷺ يقول: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»^(١)، ترى لماذا؟

الملاحظ في الحديث الشريف أنَّ النبي ﷺ لم يقل: من أصبح ولم يعمل لأُمور المسلمين، بل قال: من أصبح ولم يهتم بأُمور المسلمين، لان الانسان الذي تتحدد إهتماماته ونظراته الى الحياة عبر منظار قومي عنصري، أو اقليمي مذهبي طائفي، أو أي منظار آخر، فإنَّ هذا الانسان يكون قد ابتعد في الحقيقة عن منظار التوحيد الالهي، وعن ملة ابراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

إنَّ النظرة التوحيدية تقضي أن يرتبط الانسان بمخلوقات هذا الكون عبر الله عز وجل، فكيف بالانسان وهو نظيري، بل كيف بالمسلم وهو أخي؟ إننا لا نستطيع أن نصل الى اهدافنا ما دمنا ننطلق من منطلقات خاطئة لا تنتهي بنا إلا الى نتائج مغلوطة، فالطريق الخاطئ لا يزيد الانسان إلا ابتعاداً عن اهدافه، والتحركات التي تتم من خلال الاطر الضيقة المفرغة من المحتوى الالهي والخارجة عن اطار التوحيد لا يمكن أن توصلنا الى اهدافنا.

إنَّ من الخطأ أن نعيش هذه الاعمار الطويلة ونُدعي الاسلام، ولكننا

١ - الكافي، ج ٣، ص ٤١٧.

٢ - سورة الانعام، آية ١٦٢.

عندما نواجه ملك الموت نكتشف في تلك اللحظة اننا لم نكن مسلمين حقاً، ثم نبقى في العذاب الى الابد، واذا كان الامر كذلك فما الفائدة من المجيء الى هذه الدنيا، وما جدوى الجهود التي بذلناها؟ اننا في هذه الحالة سنخسر الدنيا والاخرة وهذا هو الخسران المبين.

وفي آية أخرى يحدد الله تعالى شأنه مرة أخرى هذا الهدف عندما يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١)، والملاحظ أن القرآن الكريم لا يقول: (لتعاونوا) بل يقول: (لتعارفوا)، فان لم تكن هناك معرفة متبادلة فهل يمكن أن تكون هناك حالة التعاون البناء؟

وبناء على ذلك فان علينا أن نهتم بأمور اخواننا المسلمين في العالم، وأن نتعارف معهم، ففي بعض البلاد الافريقية - على سبيل المثال - نرى الناس يموتون جوعاً، وفي اثيوبيا - بالذات - المهجر الاول للمسلمين نرى الاطفال يموتون من الجوع، وفي بلاد أخرى تجري مذابح منظمة ضد المسلمين، وفي اندونيسيا تجري عملية التنصير بشكل واسع وغريب حيث تستغل ارساليات التبشير جهل الناس وفقرهم ليحملوا اليهم الانجيل مع الخبز، وربما وصل عدد المنتصرين الى اكثر من نصف مليون انسان رغم أن أرض هذا البلد هي من اكثر الاراضي في العالم خيرات وبركات.

وفي سنغافورة تصل نسبة المسلمين الى ١٧٪ في حين ان نسبتهم كانت اكثر من ٥٠٪ وذلك نتيجة للغزو الصيني المنظم، أمّا في الفيليبين فحدث

١ - سورة الحجرات، آية ١٣.

ولا حرج عن اوضاع المسلمين المزرية حيث تجري على قدم وساق عمليات التصفية الدموية اليومية للمسلمين، وهكذا الأمر في كثير من بلاد المسلمين أو التي تقطنها مجموعات كبيرة من المسلمين.

وازاء هذه الاوضاع ترانا لا نتحرك، ونلوذ بالصمت، فهل نحن مسلمون حقاً؟ لو أنَّ النظرة التوحيدية العالمية كانت سائدة بيننا لما تجاهلنا تلك الاحداث، ولما اعرناها اذنأ صماء.

المؤامرات الاستكبارية تفرق المسلمين

إنَّ وسائل الاعلام المضللة تحاول أن تنشر بين المسلمين روح اللامبالاة بما يجري في بلدانهم، فيقولون مثلاً: إنَّ القضية الفلانية قد حدثت في مصر، فلماذا تتدخل انت أيها العراقي، إنَّ مصر للمصريين والعراق للعراقيين؛ وهنا تكمن المشكلة الحقيقية، إذ علينا أن نبادر الى فهم الحقيقة، وأن نضع كل حقيقة في إطارها المناسب من خلال البصائر القرآنية التي اوتيناها، وندرك أنَّ القضية هي قضية التوحيد، وأنَّ الله جل وعلا عندما خلق الانسان فانه لم يخلقه مصرياً أو عراقياً أو ايرانياً أو تركيا أو باكستانياً، بل خلقه إنساناً، وخلق هذا الانسان من تراب، فالجميع من آدم وآدم من تراب، وكلنا من هذه الارض والى الارض نعود. وهذه النظرة التوحيدية تجعلنا نفهم الحقائق بعمق، فلو كان - على سبيل المثال - الشعب المصري يهتم بالشعب الارثري لما رزحوا تحت نير طاغوتهم، ولو كان الشعب العراقي يهتم بالشعب المصري

لما بقي هو الآخر تحت حكم الطاغوت، ولو جاهدت جموع المسلمين المصريين دفاعاً عن اخوانهم في افغانستان، والنيجيريين في لبنان، والاندونيسيين في العراق لما كان بإمكان الطغاة في الارض ان يتحكموا بمصائرنا.

التوحيد يجب ان ينطلق من النفس

في القرآن الكريم آيات معدودة تحدثنا عن دور المستكبرين في إذلال المستضعفين كآية التي تقول: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١)، والآية التي تقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾^(٢)، أمّا الغالبية العظمى من الآيات القرآنية فانها عندما تفسر الانتكاسات والهزائم والمصائب والمشاكل والويلات التي تنزل على الانسان فانها تربطها بعمل الانسان نفسه، وبما كان يكسب ويظلم، كما يشير الى ذلك عز وجل في قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣).

كما أن القرآن الكريم يحدثنا عن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤). كذلك تجد في القرآن الكريم من بدايته الى نهايته عشرات بل

١- سورة النمل، آية ٣٤.

٢- سورة القصص، آية ٤.

٣- سورة البقرة، آية ٢٨١.

٤- سورة الرعد، آية ١١.

مئات الآيات التي تؤكد على حقيقة أنَّ الانسان مسؤول، وأنَّ ثقافته ورؤيته مسؤولتان.

وأنا هنا اوجه خطابي بالذات الى المؤسسات الدينية، فلو تحولت هذه المؤسسات باتجاه قيادة الساحة فانها ستكون أقدر على إدارتها كما كانت المؤسسة الدينية في ايران متمثلة في الحوزات العلمية عندما فجّرت الثورة الإسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني (رض)، وتكللت جهودها بالانتصار.

إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعِينِ الْمَظْلُومِينَ الَّذِينَ يَرْزَحُونَ
تَحْتَ ظِلْمِ الطَّغَاةِ، وَأَنْ نَتَعَاوَنَ وَنَتْلَاحِمَ وَنَخْطُطَ
لِإِزَالَةِ الْإِنْظِمَةِ الطَّاغَوْتِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ الدَّوَّوبِ الْجَادِ،
وَلْنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَكُونُ فِي عَوْنِنَا
مَا دَامَتْ نَوَايِينَا خَالِصَةً لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ

وبالطبع فانني لا أدعو هنا الشباب المؤمنين المثقفين أن يتركوا الجامعات ويتحولوا الى علماء دين، ويقودوا الجماهير من منطلق ديني، ولكن عليهم أن يبذلوا جهودهم من أجل اصلاح الاوضاع في بلدانهم، والقضاء على المظاهر الشاذة والمنحرفة فيها.

لندع الشعارات جانباً

وعلى الانسان أن لا يكتفي بترديد الشعارات دون أن يتوغل في العمل

الحقيقي، بل علينا أن نكون معارضة حقيقية، ونصب إهتمامنا على اقتلاع جذور الانظمة الجاهلية، وإعادة حكم الاسلام، وأن لا نخفي وراء الشعارات لكي نغطي على سلياتنا ومشاكلنا. صحيح إن المؤتمرات والاجتماعات مفيدة ولكنها لا تكفي لوحدها، فلا يكفي أن نتحدث عن المآسي بالعبارات الرنانة، بل إن العمل الذي ينفعنا الان هو اصلاح ذات البين الذي هو أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإعادة الوحدة الى مختلف فصائل الحركة الاسلامية من خلال برامج موضوعة بدقة، ومستلهمة من تجارب التاريخ.

إن علينا أن نعين المظلومين الذين يرزحون تحت ظلم الطغاة، وأن نتعاون ونتلاحم ونخطط لازالة الانظمة الطاغوتية من خلال العمل الدؤوب الجاد، ولا بأس بالطبع أن نطرح الشعارات في عملنا شريطة أن تكون واجهة وعنواناً لجهود حقيقية من شأنها أن تؤدي في أسرع وقت ممكن الى تغيير اوضاعنا نحو الافضل، سواء على صعيد اوضاعنا الداخلية كحركات اسلامية، أو على صعيد الاوضاع الخارجية المتعلقة بالمجتمعات التي نعيش بينها، والانظمة التي تحكمنا، ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى سيكون في عوننا ما دامت نوايانا خالصة لوجهه الكريم.

مبادئ الحركة الإسلامية من وحي القرآن

من الضرورات الأساسية التي لا بد للحركات الإسلامية ان تنتبه اليها، وتسعى من أجل تحقيقها، ضرورة الوعي الصحيح للمفاهيم القرآنية من جهة، ولتطورات الحياة الراهنة من جهة أخرى.

انواع المفاهيم القرآنية

والمفاهيم القرآنية على نوعين؛ منها ما يعبر عنها القرآن الكريم بـ (الحدود)؛ أي تلك القوانين والأنظمة التي بينها القرآن الكريم، وفصلتها سنة الرسول ﷺ وأوضحها الأئمة الأطهار عليهم السلام ضمن نصوص معينة، مثل الصلاة التي يقول عنها الخالق عز وجل بشكل مجمل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١)، ثم بينت السنة النبوية الشريفة، وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام الكيفية التفصيلية لهذه الصلاة، فعلى كل إنسان مسلم ان يؤدي

١ - سورة النساء، آية ١٠٣.

الصلاة صباح مساء قبل طلوع الشمس وبعد غروبها، وعند الزوال بصورة معينة، وفي اتجاه معين وحسب شروط محددة.

وهناك نوع آخر من المفاهيم القرآنية وهي (القيم). فحدود الصلاة - مثلاً - هي ركعاتها وشروطها ومقدماتها واركائها واحكام الشك والخلل فيها، وهذه كلها هي حدود الصلاة، في حين إنَّ من قيم الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأنها معراج المؤمن، وعدم جوازها في مكان مغصوب وفي ثوب مغصوب، أو بعد وضوء بقاء غير مباح، ومن قيم الصلاة أيضاً أن تكون النظافة هي السائدة في الانسان، لأنَّ الذي يصلي خمس مرات كل يوم لا بد ان يكون جسمه نظيفاً عند الصلاة، وثوبه نظيفاً، وكذلك الحال بالنسبة الى محل صلاته وسجوده.

وعلى هذا فان هناك قيماً تملئها الصلاة، وتستوجبها في الانسان المصلي من مثل قيمة النظافة - كما ذكرنا - وقيمة احترام حقوق الآخرين، وقيمة تحويل الصلاة الى رادع عن الذنوب، حسب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، وقيمة تحويل الصلاة الى معراج للروح الى الله.

القيم غير الحدود

إنَّ هذه القيم هي غير تلك الحدود، وهذه القيم تنطوي عليها جميع

١ - سورة العنكبوت، آية ٤٥.

العبادات كالحج، والزكاة، والصيام. وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبين لنا سنن الله تعالى في الحياة، وتبين لنا القيم والمفاهيم الحضارية، من مثل قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، وهذا مفهوم من نوع القيم؛ أي من نوع السنن الإلهية، والقوانين الكونية التي لا بد أن نستنبطها من القرآن الكريم؛ فما أحدث العباد ذنباً إلاّ وابتلوا ببلاء جديد، فاذا كثر الزنا كثر موت الفجأة، واذا كثر الفواحش كثر الزلازل، وهكذا...

إِنَّ الْقُرْآنَ يَدْعُونَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ،
وعدم الاتكال على أية قوة أخرى،
وواجبنا إزاء القرآن ليس مجرد أَنْ نقرأ بعض آياته ونرتلها
أو نتدبر في بعض كلماته، ان القرآن هو كتاب الحياة،
كتاب يريد أَنْ ينقذ العالم من مشاكله المزمنة

العالم الغربي وأزمة القيم

ونحن الآن نقرأ في التقارير الإعلامية أن الآلاف من البشر يموتون هنا وهناك بسبب ما يسمى بمرض الايدز، أي فقدان المناعة في الجسم، وقد انتشر هذا المرض في امريكا واوروبا بالذات، ففي هاتين القارتين يوجد قسم من المسرفين في الفواحش ابتلوا بهذا المرض الذي يؤدي الى أن يفقد الجسم

١- سورة الانفال، آية ٥٣.

لمناعته بحيث إنَّ أيَّ ميكروب أو فيروس يؤثر على الجسم بشكل مباشر حتى يقضي عليه خلال فترة قصيرة.

وتشير التقارير في هذا المجال الى أنَّ هذا المرض قد تسرب الى وسط افريقيا وخصوصاً بين الشاذين جنسياً، والممارسين للفواحش والردائل الاخرى.

وهكذا فان العافية هي نعمة إلهية عظيمة، ولكن اذا تغيرت السنَّة الالهية فإنَّ هذه النعمة ستتحوّل الى نقمة، وهذا مفهوم حضاري وقيمة الهية كونية لا بد أن نفهمها من القرآن الكريم، ففي ثنايا الآيات القرآنية عشرات بل مئات السنن، فالملاحظ أنَّ القرآن الكريم قليلاً ما يحدثنا عن الحدود، إنما التركيز على بيان القيم والسنن.

إنَّ الذي ينفعنا من هذه السنن اننا لو استوعبناها ووعيناها وعياً كافياً فسوف يكون بإمكاننا تحويلها الى برنامج عملي نستطيع من خلاله أن نتغلب على مشاكلنا، والصعوبات التي تواجهنا، ونتغلب - بالتالي - على اعدائنا.

وعلى سبيل المثال فان القرآن الكريم يقول: ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ﴾^(١)، وهذه سنة الهية ومفهوم قرآني لوضع استراتيجية في مجال الحرب للانسان؛ فاذا واجهنا العدو، فلا يكن هدفنا مجرد ضرب هذا العدو لأنَّ هذا الهدف بسيط، فلا بد أن يكون لدينا طموح اعلى وهو أن نضرب هذا العدو ضربة قاصمة تجعل الاعداء الآخرين يأخذون

درساً رادعاً فلا تحدثهم انفسهم بالهجوم علينا مرة اخرى.

الحركة الإسلامية وواجب استنباط القيم

لا بد للحركة الإسلامية من أن تستنبط من القرآن الكريم هذه القيم الحضارية في جميع المجالات، وان لا تصب اهتمامها على الحدود والأحكام الظاهرية فحسب بالرغم من أهميتها، بل عليها ان تتعمق في المفاهيم والمبادئ والافكار التي توضح لنا القوانين الكونية، فمن خلال هذه القوانين نستطيع ان نتصر في الحياة.

وللاسف فاننا لم نستطع ان نستوحي بعد من القرآن الكريم هذه المبادئ الحضارية الواضحة، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١)، أ فليست هذه الآية الكريمة تبين مبدأ حضارياً هو ضرورة توحيد الصفوف، فلماذا هذه الاختلافات بيننا رغم أن هناك عشرات الآيات في القرآن الكريم تعالج مشكلة الاختلاف في الامة، وكيفية القضاء عليها كقوله عز من قائل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، فأين اعتصامنا بهذا الحبل؟

إن القرآن يدعونا في آيات كثيرة الى التوكل على الله، وعدم الاتكال على اية قوة اخرى، فالله عز وجل هو الذي يبلور فينا الاستقلال، ويفجر طاقاتنا.

١ - سورة الانبياء، آية ٩٢.

٢ - سورة آل عمران، آية ١٠٣.

القرآن كتاب حياة

إنَّ الحركة الاسلامية لو استوحت هذه القيم والمبادئ من القرآن الكريم لاستطاعت ان تثبت للعالم جدارتها بقيادته، فواجبنا ازاء القرآن ليس مجرد أن نقرأ بعض آياته ونرتلها أو نتدبر في بعض كلماته، ان القرآن هو كتاب الحياة، كتاب يريد أن ينقذ العالم من مشاكله المزمنة؛ من سباق التسلح، ومن الفقر والجوع، فالعالم ينفق الآن اكثر من الف مليار دولار سنوياً على التسلح في حين أنَّ هناك ستمائة مليون انسان يعانون من الجوع، فهناك بعض البلدان الافريقية لا يكفي انتاجها السنوي ودخلها القومي لتسديد فوائد ديونها، كما ان هناك بعض الدول في العالم الثالث يبلغ حجم ديونها الخارجية اكثر من مائة مليار دولار.

إِنَّ الكثير من البسطاء قتلوا انفسهم بايديهم،
ووقعوا على حكم إعدامهم بسبب جهلهم،
ونحن ما نزال جاهلين للقرآن الكريم، فلنعد الى انفسنا،
ولننظر الى ما قَدَّمنا، فإلله تعالى لا يمكن أن يظلمنا،
بل نحن الذين نظلم انفسنا

وفي القرآن وحده علاج هذه المشاكل، وعلى الحركة الاسلامية أن تستنبط هذا العلاج، وتستوحي تلك المبادئ ثم تعرضها على العالم، لكي يؤمن بمصداقية هذه الحركة. ومن جهة أخرى فان على الحركات الاسلامية

أن تعرف العالم المحيط بها لكي تستطيع أن تقاوم التخرصات والاراجيف الموجهة ضدها، فعليها أن تتعرف على شبكات الاعلام في العالم واهدافها و استراتيجياتها.

وعلى سبيل المثال فان هدف الاعلام الاستكباري كان يدور حول فصل الحركة الاسلامية العالمية عن بعضها البعض، فكانوا يضربون على هذا الوتر بصورة مستمرة، وقد كان يؤيدهم في ذلك اولئك الذين لا يمتلكون رؤية واضحة للمستقبل ممن كان يخشى الاعلام الاجنبي، ويرى أن علينا أن نتفوق، ونجلس في بيوتنا، ولا نشارك مشاركة ايجابية فعالة في قضايا المسلمين.

إنّ مثل هؤلاء لم يفهموا استراتيجية أعدائهم فوقعوا في حبالها، وكانت النتيجة أن انفصلت بعض الحركات الاسلامية عن بعضها، في حين أنّها لو كانت قد دارت في محور واحد لخشيها الاستكبار، ولكن كبرياءنا وجهلنا وادعاءاتنا الفارغة من جهة، وخطط الاستعمار من جهة أخرى ادّيا بنا الى أن نتمزق، ونقع في الدوامة التي اراد لنا الاستكبار أن نقع فيها.

بين القرآن وواقع الحياة

إنّ علينا أن نفهم في هذا المجال واقعين: واقع القرآن والمبادئ والقيم القرآنية من جهة، وواقع الحياة التي نعيشها من جهة أخرى.

وفي مجال فهم الواقع نتساءل: ما هي استراتيجية الدول الكبرى وشبكات

الاعلام في العالم؟ وما هي خطط الانظمة؟

إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْبُسْطَاءِ قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، وَوَقَعُوا عَلَى حَكْمِ إِعْدَامِهِمْ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ، وَنَحْنُ مَا نَزَالُ جَاهِلِينَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَقُولُ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

فلنعد الى انفسنا، ولننظر الى ما قدّمنا، فالله تعالى لا يمكن أن يظلمنا، بل نحن الذين نظلم انفسنا كما يقول عز وجل: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٢).

فالقضية - إذن - واضحة، فالعباد هم الذين يكفرون، والله يأخذهم بذنوبهم، والله شديد العقاب؛ فهو تعالى ينعم علينا بالنعم ولكننا إذا كفرنا بهذه النعم فإن الخالق عز وجل سوف يسلبها منا كما أكد على ذلك قائلاً: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

١ - سورة آل عمران، آية ١٨٢.

٢ - سورة الانفال، آية ٥٢.

٣ - سورة الانفال، آية ٥٣.

دور الأخلاق في الحركة الإسلامية

عندما نستمع الى الانباء الواردة من آفاق الارض واكنافها تعتلج في صدورنا أحاسيس مختلفة من الغضب، وحالة الاندفاع الثوري، والانتفاضة الايمانية، وتثور في اذهاننا تساؤلات مختلفة: ترى لماذا قُدر لنا أن نكون هكذا، ولماذا تجري في بلداننا بين فترة واخرى اضطرابات ومشاكل يحركها الطغاة لكبح جماح المسلمين وقمعهم؟.

هذه التساؤلات وغيرها تعتبر بالنسبة الى بعضنا سيّاطاً تلهب ظهورهم ونفوسهم، وتبحث عن جواب بإلحاح.

وهنا تترأى للانسان المتأمل سلسلة عوامل تبدو وكأنها أسباب متداخلة ومندرجة في الوضع الذي نعيشه، كأن نقول مثلاً: إن أمتنا متخلفة، وشعوبنا متفرقة، وكلمتنا ليست واحدة، واهدافنا غير واضحة، وستراتيجياتنا غامضة، والنتيجة هي كما نرى.

لماذا نحن أمة متخلفة؟

وازاء هذه الاوضاع لا يدع الانسان العاقل الحكيم أفكاره تتردى في وحل الامنيات والاحلام، بل يحاول أن يضبطها بمنهجية صارمة، ويسعى لأن يفهم لماذا نحن أمة متخلفة، ولماذا أصبحنا متفرقين، ولماذا يلوذ بعض العلماء بالسكوت، ولماذا لا يتحرك مثقفونا؟

وهنا تأتي سلسلة الاجابات المتدرجة:

فنحن أمة متخلفة لأن روحنا جاهلية، ولأننا لم نقتبس من روح القرآن الهدى.

ونحن أمة متفرقة لاننا لم نعتصم بحبل الله. والذين لا ينطقون من العلماء والمثقفين إنما يعود السبب إلى إشكال منهجي عندهم.

وهكذا تتسلسل الاجابات الموضوعية الصحيحة لتشير هي الاخرى التساؤل الالهم والاكثر خطورة: ترى ما هو العمل وكيف نغير هذا الواقع؟ ويبقى هذا السؤال قائماً في اذهاننا ما دام هذا الواقع قائماً وما دام الاصلاح لم يتم.

ويبدو أن بعض الجواب على هذا التساؤل يتجسّد في أن تنطلق المجموعة المؤمنة الواعية المؤلفة من الاشخاص الذين عانوا من المأساة وآلامها، والذين ينشدون التغيير ويريدون الاصلاح، ولم تتشوش رؤيتهم وتدنّس فطرتهم، أن

تنطلق وتتحرك هذه المجموعة في ساحة العمل التغييري الجذري، وحينئذ نطلق على هذا التحرك إسم الحركة، أو المنظمة، أو الحزب.

عندما يكون التجمع الرسالي متحداً قلباً وقالباً،
وعندما يطبّق روح الاسلام وبصائره، وعندما يمارس
الفرائض العبادية لكي تنهيه عن الفحشاء والمنكر،
ويأخذ من شعائر الاسلام وتعاليمه الهدف والروح، فحينئذ
فإنّ التفرقة سوف لا تجد لها طريقاً الى هذه الحركات

والمهم في هذا المجال هو الجوهر لا الاسم، وجوهر القضية هو التجمع والتعاون والعمل، ولكن قد يتبادر الى الالذهان هنا السؤال التالي: لماذا لم تستطع الكثير من التجمعات أن تقوم بدورها؟ الجواب واضح وهو أنّ الكثير من هذه الحركات التي جاءت لتعالج الوضع الفاسد ابتليت بآثار وافرازات هذا الوضع. فعندما نقول: إنّ أمتنا متخلفة، فإنّ الحركات هي جزء لا يتجزأ من هذه الامة، ونفس الشيء يمكن ان يقال عن حالة التفرق التي تسود الامة، فالحركات هي جزء من هذه الامة، وبعبارة أخرى فانها تعاني أيضاً من نسبة معينة من التخلف والتمزق.

الاخلاق هي السبيل الى السيطرة على الواقع

ترى ما هو السبيل الى السيطرة على هذا الواقع؟

هنا يأتي الجواب على لسان رسولنا ونبينا الاعظم محمد ﷺ في قوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)، وبعبارة أخرى فان الاخلاق هي الحياة، واذا فقدنا الاخلاق فقدنا الحياة، وخسرنا الرسالة، والتقدم.

فما هي - اذن - الاخلاق، وما هي ابرز الخلقيات الحضارية التي - إذا وُجِدَتْ - تساهم في رفع أمة، أو إذا فُقدَتْ تساهم في تحطيم أمة؟ هذه الاخلاق هي باختصار كالتالي:

الروح لا الظاهر

١ - عندما يكون التجمع الرسالي متحداً قلباً وقالباً، وعندما يطبّق روح الاسلام وبصائره، وعندما يمارس الفرائض العبادية لكي تنهائهم عن الفحشاء والمنكر، ويأخذ من شعائر الاسلام وتعاليمه الهدف والروح، فحينئذ فان التفرقة سوف لا تجد لها طريقاً الى هذه الحركات، وقد اوصانا القرآن الكريم والاحاديث الشريفة بالكثير من هذه التعاليم الاخلاقية كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى ايضاً: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

١ - بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٨٢.

٢ - سورة الانفال، آية ٢٤.

٣ - سورة الحجرات، آية ١٠.

مَيِّتًا فَكَّرْهُتُمُوهُ ﴿١﴾.

وكقول الامام الصادق عليه السلام: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَلَامٍ لَهُ: ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْهُ، وَلَا تَنْظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا» (٢).

واذا ما طبقنا هذه التعاليم الحياتية الحضارية فإن الاستعمار لا يمكن أن يجد منفذاً له بين الحركات ليفرقها، ويبث بينها الاختلافات، فالكلمة الطيبة يجب أن تنمو في هذه التجمعات كما قال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٣)، ولا بد أن تموت الكلمة الخبيثة، ولا تذاع الفاحشة، وأن لا تكون في داخل النفس وعمق أعماق الضمير أي في النية شجرة الفساد.

إن التجمع الايماني يجب أن لا يذكر احداً بسوء، وأن يقتل الشيطان والخبث الذاتيين اللذين يدفعانك الى أن تقول في الناس، أو تستمع الى من يقول فيهم، في حين أن حب الاصلاح الذي اودعه الله تعالى في كل قلب يدفعك دائماً الى أن تمدح الناس، ويكون لسانك طيباً، واذا ما وجد الانسان المؤمن هذا التجمع فإن عليه أن ينضم اليه متى كان، وهذه هي علامات الايمان.

١- سورة الحجرات، آية ١٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٣٦٢.

٣- سورة فاطر، آية ١٠.

إنَّ هذا اللسان الصغير يحصد الاعمال الخيرة كلها ليرميها في نار جهنم، فعلموا انفسكم قبل أن تعلموا الناس، وكونوا دعاة الى الله عزَّ وجل بغير ألسنتكم، فالدعوة لوحدها لا تنفع، فالحياة في الوحدة، والوحدة في الحب، والحب يرفض الغيبة، والتهمة، والتجسس، وسوء الظن، ويرفض الفساد بين الناس، والنميمة وجميع الصفات الاخلاقية السيئة.

إن عملتَ عملاً ما فلا تقل أنا الذي عملته، فما قيمتك انت،
وما قيمتنا نحن إزاء الله الذي صنع كل شيء،
بل قل: إنَّ الله هو الذي وفقني الى القيام بذلك العمل،
وإنني أرجو أن يتقبله مني،
وعلى هذا فإنَّ على الانسان أن يكتم عمله الصالح

الحذر من التعصب والفئوية

٢- إذا تعصبتَ لأخيك المؤمن، ومدحته بما ليس فيه، وادّعت أنه أفضل من غيره لمجرد أنه ينتمي الى فئتك، فإنَّ هذه العصبية تتنافى مع الحضارة والدين والحياة؛ وللاسف فإنَّ هناك البعض ممن يرى العالم من منظاره، فاذا بهم يمتلكون الخطيب الافضل، والعالم الافضل، والكاتب، والمدرس، والتاجر، والعامل الأفضل، دون أن يبقوا اي فضل وميزة لغيرهم، وكأنهم هم يعيشون في هذا العالم لوحدهم.

ونحن نوجّه حديثنا الى مثل هؤلاء قائلين: هل تريدون أن تقاوموا

الحكومات المستكبرة لو حدكم؟ وهل تريدون أن يعتزل الآخرون الجهاد والعمل لتنفردوا انتم بالساحة؟ إنَّ العصبية ليست من الإسلام في شيء، فنحن ينبغي بدلاً من ذلك أن نرفع قيمة العلم والعمل الصالح، والمجتمع الذي يرفع قيمة هاتين المفردتين فانه سوف يتنافس عليهما، ومن المعلوم إنَّ المجتمع الذي يتنافس على العمل الصالح والعلم هو أكثر تقدماً وأولى بالانتصار من المجتمع الذي يبحث عن العصبية والتحزب.

وهكذا فإنَّ علينا أن نبحث عن الأسباب الحقيقية لتخلفنا، ولما ظهر الفساد فينا، فالإنسان المؤمن لا يجوز له أن يمدح من لا يستحق المدح، أو يذم من لا يستحق الذم، وحرام عليه أن يتشبث بالعصبية فيجمع حوله كل من لا كفاءة له، أليس من الخيانة أن تقلد إنساناً غير كفوء منصب القيادة العسكرية في موقع حساس، فتتسبب بذلك في هزيمة جيوش الإسلام؟ وإنَّ كانت هذه خيانة، فانها خيانة أيضاً أن نجعل - على سبيل المثال - طبيباً غير كفوء رئيس مستشفى لمجرد أنه ينتمي الى مجموعتنا، أو أن نجعل رجلاً غير كفوء إدارياً، نجعله مدير مدرسة لأنه يمدحنا.

وبالطبع فانه لا بأس أن ينتمي الواحد منا الى حزب اسلامي؛ فالله تعالى يحب النظام والتنظيم، والعمل بالتعاون، ولكن اذا دعاك هذا التحزب الى أن ترفع مَنْ وضعه الله، وتضع مَنْ رفعه الله، فهذه من العصبية التي ليست من الدين.

ولا شك في أنَّ حبَّ الإنسان لقومه وأصدقائه، والقيام بخدمتهم،

والإحسان اليهم ليس من العصبية البغيضة، إنما العصبية المرفوضة هي ما يصفه الإمام علي بن الحسين عليه السلام حينما سُئِلَ عن العصبية، فأجاب عليه السلام: «الْعَصَبِيَّةُ - الَّتِي يَأْتُمُّ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا - أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»^(١).

وعلى هذا لا بد أن نركي تحركاتنا وتجمعاتنا من هذه الصفات الرذيلة، ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى ينصر عباده الذين يبادرون الى نصرته: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٢)، ونصرنا الله يتمثل في تطبيق اوامره، وتعاليم القرآن على أنفسنا، وحينئذ سيمنحنا الله عز وجل الحياة، ويعطينا النصر والقوة.

لا .. للفخر والمباهاة

٣- تجنب الفخر والمباهاة، فالتجمع الذي يُبتلى بالانتكاسات والضعف والجن والتقاعس يعوّض عن كل ذلك عادة بالتفاخر على غيره، فاذا به يفتخر بأبائه وقادته ونضاله السابق، ومثل هذا التجمع لا يمكن أن يفلح.

واذا امتلأت نفوسنا بالفرح، واعتقدنا أننا أدينوا الواجب، وأن على الآخرين أن يؤدوا واجبهم، فإن هذا الغرور سوف يسقطنا ويحطمننا، لأن الله تعالى لا يحب من يغتر ويفتخر، وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم عبر وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى

١- الكافي، ج ٣، ص ٧٥٢.

٢- سورة محمد، آية ٧.

مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ^(١).

فلتكن أنفسنا صبورة مستقيمة، ولنترك الانانيات، ولا نتحدَّ الناس، ومعنى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ) أي إنه لا ينصر ولا يوفق، فالذي لا يحبه الله لا يمكن أن يوفقه، فالخلقيات السلبية كالتحدي والتفاخر والتباهي أمام الناس، كل ذلك من المستحيل أن يصنع النصر، بل يجب علينا أن نعمل ونجاهد، وعلى الله التكلان بعد ذلك.

إِنْ عَمِلْتَ عَمَلًا مَّا فَلَا تَقِلُّ أَنَا الَّذِي عَمَلْتَهُ، فَمَا قِيَمَتِكَ أَنْتَ، وَمَا قِيَمَتُنَا نَحْنُ إِذَا عَمِلَ اللَّهُ الَّذِي صَنَعَ كُلَّ شَيْءٍ، بَلْ قُلْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي وَفَّقَنِي إِلَى الْقِيَامِ بِذَلِكَ الْعَمَلِ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَقْبَلَهُ مِنِّي، فَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وعلى هذا فإنَّ على الإنسان أن يكتسب عمله الصالح، ففي الحديث الشريف: «مَنْ كُنُوزَ الْجَنَّةِ الْبِرُّ، وَإِخْفَاءُ الْعَمَلِ»^(٣). وفي حديث آخر: «اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ»^(٤)، فالكتمان قوة، والفخر يفسد قلب الإنسان.

١- سورة لقمان، الآيات ١٧ - ١٩.

٢- سورة المائدة، آية ٢٧.

٣- تحف العقول، ص ٢٠٠.

٤- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص ١١.

وفي النهاية يقول تعالى محذراً من العصبيات والتفاخر بالآباء: ﴿وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

البعد الحضاري للحركة الاسلامية

عندما تعيش أمة من الامم ظروف المحنة والصعاب وتتراكم عليها المآسي وتحيط بها المشاكل، فإنَّ عليها في هذه الحالة أن تستخرج معادنها الخيرة، وتبلى سرائرها الطيبة، وتضع على المحك كل امكاناتها وطاقاتها، بل وعليها أن تراجع نفسها وتاريخها وتعيد النظر في أفكارها ونظرياتها، وحينئذ فإنَّ هذه الامة سوف لا تستطيع أن تتجاوز ظروف المحنة فحسب وإنما ستحوها الى مدرج من مدارج الكمال، ومنطلق من منطلقات التقدم والرقي.

الحقائق الحضارية

وهنا يواجهنا السؤال التالي: لماذا نجد بعض الامم تستفيد من المحن، في حين نجد أمماً أخرى تنهار أمامها؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال لا بد أن نعرف أن هناك حقائق يمكننا

أن نطلق عليها عنوان (الحقائق الحضارية) بسبب طبيعة الدور الذي تلعبه في حياة الامم، وهذه الحقائق تختلف عن القضايا السياسية الطارئة.

والناس - عادة - حينما ينظرون الى الاحداث فانهم لا يرون إلا الظواهر التي ما هي إلا معلومات، ولا يتعمقون في الحقائق التي تمثل العلل، فينظرون الى ظاهر الحياة الدنيا وهم عن واقعها غافلون، وهذا التقييم يكون في الغالب خاطئاً لأن من ينظر الى الظواهر لا يمكن أن يكتشف ما وراءها من حقائق.

وعلى سبيل المثال فإن الكثير من البسطاء توقعوا اثناء الحرب العالمية الثانية إننيار الحلفاء أمام دول المحور، وسيطرة هذه الدول على العالم، وسبب هذا التوقع انهم نظروا الى ظاهر قوة ألمانيا التي كان يقال عنها إنها لا تُقهر بفضل أسلحتها الحديثة، وكفاءة جيشها وانضباطه، ولكنهم في الحقيقة غفلوا عن حقائق أخرى كانت أهم، وكان لها الدور الاكبر في تغيير مسار الحرب فيما بعد، كمكر بريطانيا التي كانت قادرة بدهائها وحيلتها أن تُدخِل امريكا في الحرب، بالرغم من بُعد الاخيرة عنها بآلاف الاميال في الجانب الآخر من المحيط الاطلسي.

إن مثل هؤلاء البسطاء لم يكونوا قد اخذوا بنظر الاعتبار الامكانيات الكامنة في الشعب الامريكي، هذا الشعب الذي كان يبحث عن دور في هذا العالم الواسع، كما أنهم لم ينظروا الى الطاقات الكامنة للشعب الروسي وقدرته على الصمود أمام الغزو الاجنبي، ولذلك كانت توقعاتهم خاطئة، فانتهى

الامر بألمانيا ودول المحور أن تنهزم أمام الحلفاء.

وهكذا فإنَّ قدرة الشعب على الصمود أمام المشاكل، وعناده في مواجهة التحديات، والامكانيات الكامنة فيه، والثقافة المهيمنة عليه، وطبيعة القيادة التي توجهه.. كل ذلك هو مقياس إنتصار الشعوب أو هزيمتها، وهذه الحقائق لا تلاحظ عادة، ولذلك يخطأ المحللون في تقييم نتائج الحروب.

لو كانت ثقافة الامة هي ثقافة التحدي والهجوم والمبادرة،
ثقافة تزوّدها بالايجابية والتفاؤل،
وتمنحها الوحدة والتعاون، فإنّ هذه الامة
سوف لا تزداد مع مرور الزمن سوى اقتداراً وقوة،
ولا يمكن لأيّة محنة أن تهزمها

الشعوب رهن ثقافتها

ومن هنا فإنَّ وراء ما يُسمّى بـ(القضايا السياسية) الظاهرية (حقائق حضارية) كامنة، ونحن إذا أردنا أن نكون حكماء فلا بد لنا من أن نتوغل في عمق هذه الحقائق، لا لكي نفهمها فحسب، وانما من أجل أن نسخر الحياة لأهدافنا المشروعة.

وللأسف فاننا عندما تلفنا امواج الاخبار السياسية والاقتصادية، ونعيش في دوامة الاحداث اليومية، فاننا نغفل عن حقائق الامور، وهذه

هي مشكلة الانسان. والسبب الحقيقي للغفلة هو نوع الثقافة المهيمنة على الشعوب؛ فلو كانت ثقافة الامة هي ثقافة التحدي والهجوم والمبادرة، ثقافة تزودها بالاجابية والتفاؤل، وتمنحها الوحدة والتعاون، فإن هذه الامة سوف لا تزدد مع مرور الزمن سوى اقتداراً وقوة، ولا يمكن لأيّة محنة أن تهزمها.

أما إذا كانت الثقافة السائدة هي ثقافة التبرير، وإلقاء المسؤولية على الآخرين والتملص منها، ثقافة السلبية والتشاؤم، فإن مصير هذه الامة سوف لا يكون إلا الهزائم المتتالية.

وهنا يأتي البعض من ضعف الايمان ليبرر واقعه الانهزامي قائلاً: إن الهزائم كانت دائماً من نصيب المؤمنين، وهو يستشهد على كلامه هذا بحياة الرسالين عبر التاريخ، فلا يأخذ منها إلا جانب التشريد والقتل والتضحية، متناسياً أن انتشار الدين إنما كان بسبب تلك الدماء الزاكية، وهو لا ينظر الى الانتصارات التي يحدثنا عنها القرآن الكريم مثل انتصار آدم على ابليس، وانتصار ابراهيم على نمرود، وموسى على فرعون، وبالتالي انتصار نبينا الاعظم محمد ﷺ على كفار قريش.

إن هؤلاء جميعاً قد نصرهم الله تعالى، وقد كانوا قدوات الايمان والصلاح، فكيف لا ينصرهم الخالق عز وجل وهو القائل في كتابه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١)، ترى ماذا تعني هذه الاية، هل تعني أن على الانسان أن يمارس العبادات ثم يهزم؟

اهداف حضارية

إنَّ الثقافة السلبية هي ثقافة التفرقة، ثقافة توجيه أسلحتنا الى أنفسنا بدلاً من تصويبها نحو أعدائنا، وهنا يبرز دور الحركات الإسلامية؛ فهي حركات رسالية حضارية قبل أن تكون سياسية، وهي تسعى لتغيير ما في داخل الانسان، والمتمثل في ثقافته، وإنَّ هدفها ليس الوصول الى الحكم، وحتى لو ارادت تحقيق هذا الهدف فانها إنما تريده من أجل اهدافها الحضارية، فما فائدة حكمها لو بقيت الثقافة الجماهيرية ثقافة سلبية تدعو الى الاختلاف، والانطواء، والانزمام أمام المشاكل.

وفي ظني فإنَّ الكثير من الناس سعوا الى النصر بنيات صالحة، ولكنهم عندما رأوا أنَّ الحكم يعني تحدي المشاكل فانهم سرعان ما انهاروا، خصوصاً عندما اكتشفوا أنَّ الثقافة السلبية هي المسيطرة على مجتمعاتهم. ومن هنا فان وجود الحاكم الصالح من دون تهيؤ الارضية التي من شأنه أن يعتمد عليها في تطبيق مناهجه ورؤاه لا يجدي نفعاً، لانه - في حالة الحكم - سوف لا يكون دوره اكثر من أن يؤيد سلبيات الآخرين، ويكون مظلة لها.

وهكذا لا بد من أن نصوغ المنهج والثقافة السليمة، والانسان والامة الملتزمين، وعلينا أن لا ننسى تمهيد الارضية اللازمة اولاً، وفي هذه الحالة فاننا حتى لو لم نحكم بل تصدَّى للمسؤولية حكام آخرون فانهم سيحكمون في الاتجاه الصحيح، لأنَّ الظروف حينئذ ستكون صالحة، والمؤسسات سائرة في الاتجاه الصحيح.

الثقافة الايجابية تثمر النتائج الطيبة

وعلى الحركات الاسلامية أن تعلم أن الاسس التي تضعها اليوم في تعاملها مع بعض، ومع الحياة، وفي تربية الكوادر والجهاهير، وبث الثقافة الايجابية المتفائلة في الامة، هي التي ستثمر النتائج الطيبة في المستقبل، فالاسس إذا كانت سليمة فإن حكم الحركات الاسلامية - هو الآخر - سيكون سليماً، أما إذا كانت هذه الاسس مغلوطة فاننا سوف لا نستطيع غداً أن نؤسس جهاز حكم قائم على المبادئ الاسلامية وإن كان على رأس هذا النظام رجل صالح، فمجرد صلاح القيادة أو مجموعة من المسؤولين لا يعني بالضرورة صلاح المسيرة إن لم يكن هناك تغيير جذري في المجتمع وثقافته ومؤسساته.

إن المبادرات الشخصية، والاندفاع الذاتي لكل واحد منا هو الذي يساهم في تطوير الحركة الاسلامية، فكل فرد في هذه الحركة اذا اندفع ذاتياً، وحرك نفسه، وفجر طاقاته، فإن النصر سيتحقق لا محالة، وهذه الحالة السلوكية هي التي تجعل الحركة الاسلامية حركة حضارية

ولذلك فإن على الحركات الاسلامية أن تثبت أنها البديل الافضل بين سائر بدائل النظام الحاكم، فإن لم تثبت هذه الحركات قدرتها على تجاوز سلبيات الامة، وعلى خلق الواقع الجديد المتطور، فإن أحداً سوف لا يؤمن بها.

سلبيات تواجه الحركة الإسلامية

ومن ضمن السلبيات التي تواجهها الحركات الإسلامية وجود الفوارق العرقية والطائفية، فإن لم تستطع هذه الحركات تجاوز وتذويب هذه الفوارق في بوتقة واحدة فإن الغد سيكون عسيراً جداً.

وبالطبع فإن الاختلاف هو طبيعة الحياة، فلا يوجد هناك أحدٌ بإمكانه أن يدّعي أنه لا يعمل إلا مع أمثاله ونظرائه، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا كما يقول في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١)، فنحن إن لم نفتح قلوبنا اليوم لغيرنا من الاخوة المؤمنين الذين يشتركون معنا في المآسي، والظروف المتأزمة فاننا سوف لا نستطيع غداً قيادة مجتمعاتنا.

إن الوحدة في المآسي هي وحدة عظيمة، وآصرة قوية يجب على الحركات الإسلامية أن تستثمرها، وتوظفها لصالح القضية المصرية التي تعيشها الحركات الإسلامية في جهادها ضد أنظمة الحكم الفاسدة، فنحن اليوم يجب أن نتجاوز إشكالياتنا لكي نستطيع مواجهة الصعوبات بقلب واحد، ويد واحدة، فإن لم نتفق اليوم مع قلة المشاكل، فكيف سنتوحد غداً عندما تتنامى وتتعاظم هذه المشاكل؟

إن علينا أن نقيّم الاحداث، وهذا التقييم هو الذي ينبغي أن يكون

١- سورة الحجرات، آية ١٣.

رائدنا في التوصل الى تحليلات سياسية ناضجة وحكيمة، وعلينا أن نعلم إنَّ القضية هي قضية تغيير حقيقي، ولعل الواحد منا يتصور خطأ أنَّ القضية ليست مرتبطة بافراد الحركة الاسلامية بل هذه الجهة أو تلك التي يجب أن تدعمني وتنصري وتوفر لي الامكانيات لكي اتحرك، في حين أن هذا التصور هو نوع من التبرير والثقافة السلبية التي إبتليت بها امتنا.

وهكذا فإنَّ على المنتمين للحركة الاسلامية أن يعتمدوا على الله عزَّ وجل وتفجير طاقاتهم، لأنَّ الخالق تعالى لم يجعل الانسان محكوماً بارادة إنسان آخر، فقد أعطاه حريته في الدنيا، وضمن وكفل له هذه الحرية، ولذلك فإنَّ بإمكاننا أن نتحرك.

ليبادر كل واحد منا الى التطوير

إنَّ المبادرات الشخصية، والاندفاع الذاتي لكل واحد منا هو الذي يساهم في تطوير الحركة الاسلامية، فكل فرد في هذه الحركة اذا اندفع ذاتياً، وحرك نفسه، وفجّر طاقاته، فإنَّ النصر سيتحقق لا محالة، وهذه الحالة السلوكية هي التي تجعل الحركة الاسلامية حركة حضارية، فمن الممكن لانسانٍ واحد من أبناء الحركة الاسلامية أن يبادر الى عمل أو مشروع أو يطور فكرة في اي مجال ليغيّر بذلك وجه التاريخ.

إنَّ الله عز وجل عندما بيّن لنا في سورة الاحزاب نتائج الحرب فانه اشار الى اماتته التي القاها على عاتق الانسان قائلاً: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١﴾، فكل واحد منا يحمل رسالةً ومسؤوليةً، ولا بد أن
يؤدي دوره، وهذا هو الطريق الصحيح لتحقيق المكاسب الحضارية للامة.

الفصل الثاني

معالم الحركة الاسلامية

- ١- معالم في طريق الحركة الاسلامية المعاصرة
- ٢- بين الرسالة والسياسة
- ٣- بين الهدم والبناء
- ٤- بين الارادة والهزيمة
- ٥- بين التمني والسعي
- ٦- بين الصراع والتنافس
- ٧- بين العنف والا عنف

معالم في طريق الحركة الاسلامية المعاصرة

لا ريب إنَّ انتصار الحركة الاسلامية لا يمكن أن يكون إلا وليد جهود كبيرة بقدر هذا الانتصار، والاهداف السامية التي تتطلع الحركة الاسلامية نحو تحقيقها.

ومن أبرز هذه الاهداف عمارة الارض، واقامة العدل، ونشر الفضيلة، والعروج بالانسان في مدارج الكمال، واشاعة السلام في جميع ربوع الارض، وهذه الاهداف الكبرى لا يمكن تحقيقها إلا عبر جهود جبارة، وتضحيات كبيرة، ولذلك فإنَّ الحركة الاسلامية لا يمكن أن تصل الى هذه الاهداف السامية من دون تعب، وتضحية، ومخاض عسير لسببين هما:

الاول: لأنَّ الله تعالى خلق السماوات والارض بالحق، وأنَّ سنة الحق هذه هي التي تحكم السماوات والارض، وهي التي تقضي بأنَّ لا يكون للانسان إلا ما سعى، وأنَّ الدنيا ما هي إلا دار ابتلاء، والابتلاء هو استخراج كل ما

يملكه الانسان من قوى وطاقات، وهذا لا يمكن إلا من خلال التحديات، والصراع المرير، فالله جل وعلا لا يمكن أن ينصر عباده المؤمنين من دون أن يدفعوا الثمن الكافي، وهذا الثمن يتجسد في التضحيات والجهود الكبيرة.

الثاني: لأن الحركة التي تنتصر من دون جهود تنهزم في اللحظة الاولى، فالانسان لا يصلب عوده إلا عندما يقاوم، فاذا لم نقاوم التحديات فإن هذا يعني أننا لسنا مستحقين للحياة، ونحن عندما نقول إن الانتصار حتم مقضي للحركة الاسلامية فاننا لا نعني بذلك أن هذا الانتصار سيتحقق من دون جهود وتضحيات، ومن دون أن نرتفع الى مستوى العصر تنظيمياً، ووعياً، وعلمياً، وتقنية، وجهوداً.

الوعي السياسي من شروط الانتصار

وفي غير هذه الحالة فإن هذا يعني أننا نقف بعيداً عن الانتصار، ولقد ذكرتُ أن أحد شروط الانتصار أن يتوفر الوعي لدينا، وأعني به الوعي السياسي من خلال معرفة خطط العدو، ومكره، وكيد، ومن ثم مقاومة هذه الخطط والاساليب من خلال استخدام خطط واساليب افضل نكيد من خلالها لاعدائنا كما يكيدون لنا.

وهذه الحقيقة يؤكدها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُودًا^(١)، ترى كيف يكيد الله عز وجل

١ - سورة الطارق، الآيات ١٥ - ١٧.

لاعداء الرسالة؟

من الممكن أن يكون هذا الكيد من خلال عبادته؛ فالله سبحانه وتعالى ينصر المستضعفين بالمؤمنين، ويهدي هؤلاء المؤمنين بالنبي ﷺ، وهكذا يكيد عز وجل للكافرين من خلال المؤمنين.

كيف يتجلى كيد الاعداء؟

والكيد من قبل الاعداء يتمثل في الخطط التي يرسمونها ضد الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي، بل في كل أرجاء العالم، وفي الحقيقة فإن هذه الخطط هي شرك ومصائد ينصبها الاستكبار لأبناء الحركة الإسلامية.

عندما نقول إنَّ الانتصار حتم مقضي للحركة الإسلامية
فاننا لا نعني بذلك أنَّ هذا الانتصار سيتحقق
من دون جهود وتضحيات،
ومن دون أن نرتفع الى مستوى العصر
تنظيماً، ووعياً، وعلماً، وتقنية، وجهوداً

ونحن نرى أنَّ وسائل الاعلام الناطقة باسم دوائر المخابرات العالمية نراها اليوم تؤكد وبإصرار على فكرة أنَّ الحركات الإسلامية من شأنها أن تثير الفتن والصراعات الطائفية في البلدان التي تظهر فيها؛ وفي تاريخنا الحديث نجد أنَّ الانظمة في العالم الإسلامي قد لعبت هذه اللعبة الجهنمية، فقد ضربت

المسلمين ببعضهم البعض مرة عن طريق الطائفية والمذهبية، واخرى من خلال ضرب المسلمين بالمسيحيين كما فعلوا في لبنان مثلاً أثناء الحرب الأهلية في السبعينات من القرن العشرين، وفي مرات أخرى عمدوا الى ضرب الحركة الاسلامية بالحركة اليسارية لتبقى الحكومات العميلة قائمة، ولتتحالف هذه الحكومات مع بعضها متى شاءت، ومع من شاءت، كما رأينا ذلك في الحركة الاسلامية في اليمن الشمالي وفي بعض البلدان الاخرى في الحقب الماضية.

كيف نواجه كيد الاعداء؟

وفي القرآن الكريم توجيهات قيّمة الى المسلمين وهم يواجهون مخططات الاعداء، حيث يقول ربنا عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(١)، في هذه الاية يؤكد ربنا جل وعلا على ضرورة البدء بقتال من هو أقرب وأكثر خطراً على الحركة الاسلامية.

وهنا يطرح السؤال التالي: ما هي القوة التي من شأنها أن تُقهر الحركة الاسلامية؟

إنَّ هذه القوة ليست الحركة اليسارية ولا الحركة المسيحية، بل هي قوة الطاغوت الذي يمثل الكافر القريب الذي تجب محاربته، وبعد الانتهاء من هذا الطاغوت، وبعد أن يسيطر المؤمنون الصالحون على مقاليد الحكم فلكلِّ حادثٍ حديث.

١ - سورة التوبة، آية ١٢٣.

إنَّ الآيات القرآنية في هذا الصدد تؤكد أنَّ المسلمين لا يعملون في الارض من أجل انفسهم، فالاسلام لا يريد اقامة امبراطورية في الارض في مقابل الامبريالية الغربية. فنحن لا نستهدف اقامة امبراطورية اقتصادية وعسكرية يقودها المسلمون في العالم، بل إنَّ المسلمين يعملون من أجل المستضعفين جميعاً، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين. فلو كان هناك مستضعف في اميركا اللاتينية أو الصين أو قلب افريقيا يُظلم ويُقهر ويُستثمر وتُنهَب حقوقه فإنَّ من واجب المسلمين أن يهرعوا لانقاذه، فكيف بالمستضعف في البلدان الاسلامية، هذا المستضعف الذي يتعرض الى قهر الطاغوت، ويُمْنَع من وصول نور الحقيقة اليه.

من أجل المستضعفين جميعاً

إنَّ الحركة الاسلامية تعمل من أجل هؤلاء جميعاً أيّاً كانت انتماءاتهم الدينية والسياسية، فلو قامت حكومة اسلامية مخلصه في بلد من البلدان الاسلامية فانها سوف لا تنصب المشانق لتصفية المعارضين لها بسبب إنتمائهم الى أفكار واتجاهات دينية أخرى كما هو ديدن الحكومات التي تأتي الى الحكم بقوة السلاح.

وعلى سبيل المثال فلو تشكلت حكومة اسلامية في بلد تقطنه اقلية مسيحية، فإنَّ هذه الحكومة سوف تتعامل مع هؤلاء المسيحيين كما تعاملت الحكومة الاسلامية معهم في عصورها الاولى، فعندما انتشر الاسلام شعرت

هذه الاقليات بالحرية والرفاه، فدخلت الاسلام أفواجاَ عندما رأت التسامح الاسلامي.

إِنَّ هُنَاكَ بَعْثًا إِسْلَامِيًّا أَصِيلًا، وَهَذَا الْبَعْثُ عَمِيقُ الْجُذُورِ
يَتِمَثَّلُ فِي تَحْوِيلِ الْإِسْلَامِ مِنْ قُوَّةٍ غَيْبِيَّةٍ
لَا تَهْتَمُّ بِالسِّيَاسَةِ - كَمَا أَرَادَ لَهَا الطَّغَاةُ أَنْ تَكُونَ -
إِلَى قُوَّةٍ سَمَاوِيَّةٍ تَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْأَرْضِ وَحَيَاةِ النَّاسِ،
وَتَسْتَهْدَفُ إِقَامَةَ حُكْمِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ

إِنَّ مَقْيَاسَ الْإِسْلَامِ فِي تَقْيِيمِ الْأَشْخَاصِ هُوَ مَا يَصْدُرُ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأَشْخَاصِ مِنْ عَدْلٍ أَوْ ظُلْمٍ، فَالْمَسِيحِيُّ الْمُسْتَكْبِرُ الَّذِي يَظْلِمُ إِخْوَتَهُ
الْمَسِيحِيِّينَ يَجِبُ أَنْ يُنْبَذَ وَيُرْفُضَ، كَمَا أَنَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَظْلِمُ الْمُسْلِمِينَ يَجِبُ أَنْ
يُطْرَدَ أَيْضًا، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ التَّالِيَةِ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْأَصِيلَةَ
فِي الْإِسْلَامِ خَيْرَ بَيَانٍ، حَيْثُ قَالَ: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا
وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

إنَّ هذه الآيات تقرّر وبوضوح أنَّ جهادنا ليس من أجل أن نحكم وقد بعنا أنفسنا للخالق تعالى، فنحن نريد أجره عزّ وجل لا أجر السلاطين، فما هي قيمة السلطة في مقابل الجهود الجبارة التي تبذلها الحركة الإسلامية في العالم؟

إنَّ المؤمنين لا يريدون أن يستبدلوا طاغوتاً بآخر، ولا حكومة دكتاتورية بأخرى، ولا إرهاباً بإرهاب، بل يريدون إقامة حكم الله تعالى لا غير.

ومن هنا فاني اوجه ندائي الى جميع ابناء الحركة الإسلامية في العالم بأن يحملوا الشعارات اللازمة لإسقاط وابطال المؤامرات المعادية، وأن يبادروا الى تجريد العدو من السلاح ثم محاربته به، فالحركة الإسلامية في العالم هي من أجل كل المستضعفين بغض النظر عن انتماءاتهم.

الحركة الإسلامية حركة جماهيرية

إنَّ الحركة الإسلامية تأتي لتحرك الاغلبية الساحقة حتى تلك العجوز التي لا تكاد تتحرك، فتتكئ على عصاها، وتشترك في المظاهرات كما حدث في ايام الثورة الإسلامية في ايران؛ فقد اشترك في هذه الثورة جميع فئات الشعب اعتباراً من الشاب المحتمس، والبنات، والأم التي تحمل رضيعها، والموظف، والتاجر، والفلاح.

وهذا ما يحدث الان في كثير من البلدان الإسلامية، ففي شعائر صلاة الجمعة التي تُقام في هذا البلد الإسلامي أو ذاك نرى المدير العام، والضابط

في الجيش، والشاب، والعجوز، والرجل، والمرأة جنباً الى جنب في مهرجان عبادي - سياسي منقطع النظير.

إن دخول الامة في الساحة السياسية يمثل سر الانتصار، فمهما تكون الحكومة قوية فهي لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من أبناء الشعب، فاذا ما دخل الشعب كله في ساحة العمل والمواجهة فماذا يمكن أن تفعله نسبة ١٪؟

البعث الاسلامي الاصيل

إن هناك بعثاً اسلامياً اصيلاً، وهذا البعث عميق الجذور يتمثل في تحويل الاسلام من قوة غيبية لا تهتم بالسياسة - كما اراد لها الطغاة أن تكون - الى قوة سماوية تهتم بأمور الارض و حياة الناس، وتستهدف اقامة حكم الله في الارض.

إن القضية الان ليست قضية فئة تحاول ربط التحرك والانبعاث الاسلامي بحزب أو طائفة أو جماعة، فالجماعات والاحزاب والمنظمات الاسلامية - إن صدقت وكانت اسلامية حقاً - وأنا أرجو أن تكون كذلك - فانها لا بد أن تتبع مصالح الامة وتنزل عند ارادة الجماهير الاسلامية الواسعة.

لا يخفى إن السلطات الجاهلية تحاول أن تغطي على هذا الانبعاث من خلال محاولة إفساد أبناء الشعب بالاموال، واغرائهم بالمرتبات الضخمة، ولكن متى باعت شعوبنا دينها بالمال، ومتى باع رسالي قضيته بقطعة أرض، أو زيادة في راتبه؟ بل وما هي قيمة الاموال؟ انهم يسرقون المليارات ثم يعطون

بعض الفتات، وإنَّ شعوبنا المسلمة لا يمكن أن تتخضع بهذه المخططات والمكائد.

إنَّ الحكومات العميلة تسعى لإخفاء كل ذلك عن أعين الناس من خلال السيطرة على وسائل الاعلام، وتحاول أن توحى أنَّ المنطقة هي جزيرة الثبات والاستقرار، ولكن الانبعاث الاسلامي لا بد منه. فالانسان المسلم في المنطقة دخل الساحة مرة أخرى ليصنع حاضره ومستقبله، ولذلك فانه قادر على الفعل وتقرير المصير، فليس هناك على وجه الارض من هو اقوى من مظلوم يطالب بحقه متوكلاً على الله عز وجل، وليس في كل بقاع الارض وآفاقها أضعف من ظالم يُقهر هذا الانسان.

إنَّ شعوبنا مظلومة ومستغلَّة وقد بدأت الآن تطالب بحقها، وإنني أنصح الانظمة أن ترحل سريعاً، فساعة الترحيل ستكون أصعب بكثير من ساعة الرحيل، ولكن الشيطان يمنيهم بالاماني، ويوحى لهم انه هو وجنوده نصيرهم، وحاميهم، فالقوى الاستكبارية تبعث الان بكل مستشاريها في المنطقة لتثبَّت قلوب اوليائها من الشياطين الصغار، حتى اذا جاءت ساعة الحسم تركتهم وخذلتهم بحجة انهم يرأسون حكومات ضعيفة وغير مستقرة. وقد اثبت التاريخ ان قوة الشعوب لا تكمن في اسلحتها، بل بايمانها، واصرارها على تحقيق اهدافها، والاستقامة على خطها، وعلى هذا فسوف تبقى الشعوب تتطلع فجر النصر الكبير بإذن الله تعالى.

بين الرسالة والسياسة

من المعلوم إنَّ الهدف الاول والاسمى من بعث الرسالات الالهية هو هداية الانسان، واخراجه من ظلمات الجهل والهوى الى نور العلم والتقوى، بالرغم من وجود هدف آخر له يتمثل في تحكيم سلطان الله تعالى في الارض، وهو الهدف الذي اشار اليه ربنا عزَّ وجل في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

هداية الانسان الهدف الاول

ومع ذلك فإنَّ هذا الهدف يأتي في الدرجة الثانية، ذلك لأنَّ الهدف الاول والاعظم هو هداية الانسان، وإعداده للدخول في جنات عدن، وتحقيق هذا الهدف تتحقق سائر الاهداف والغايات، فبعد أن يهتدي الناس الى رسالات الله، ويخرجون من سجون الهوى والجهل الى رحاب العلم، تبدأ المساعي لإقامة حكم الله في الارض.

١ - سورة النساء، آية ٦٤.

وحسب هذا الترتيب المتقدم ينبغي دراسة الرسائل الالهية جميعاً
وخصوصاً تاريخ رسالة النبي محمد بن عبد الله ﷺ.

وعلى هذا الاساس فقد تجاوب النبي ﷺ بادئ ذي بدء مع بني امية،
واقطاب المعارضة من قريش، لكي يهيء الشروط الموضوعية التي تمهد لنشر
رسالة الله عز وجل، ولكي تخضع كافة القوى السياسية الحاكمة في الجزيرة
العربية بصورة مؤقتة، ولا تقف هذه القوى حجر عثرة امام انتشار نور
الاسلام وهداية البشر، ثم اوكل هذه المسؤولية الى أهل البيت عليه السلام من خلال
التأكيد على دورهم في أحاديث جمعة.

وفي طليعة هذه الاحاديث حديث الغدير الذي يعتبر اطاراً عاماً لكل
الاحاديث في هذا الصدد، حيث قال ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ
مَوْلَاهُ»^(١)، مما يدل على أَنَّ مسؤولية الائمة المعصومين عليه السلام هي ترسيخ دعائم
الاسلام في المجتمع، وبعد أن كانت مسؤولية النبي الاعظم ﷺ نشر
الاسلام، وترسيخ قواعده، واقامة حكم الله، تبدأ بعد ذلك مسيرة التربية
والتعليم والتزكية من قبل الائمة عليه السلام من خلال محاربة النفاق، ومقارعة
الشجرة الملعونة التي يذكرها الله تعالى في القرآن، ومواجهة الشبكة المترامية
الاطراف المتجذرة في أرض الجزيرة العربية والتي كوَّنتها القوى المختلفة من
مثل بني امية ومن يتحالف معهم.

لقد واجه أئمة آل بيت رسول الله ﷺ كل هذه الانشدادات الجاهلية

بأدوار مختلفة، فلم يكن من العبد أن تنزل آية إكمال الدين بعد غدير خم، حيث جاءت تأكيداً لهذه الفكرة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

الدور الاول والاهم لكل الرسل
والانبياء والأئمة والصالحين
هو تبليغ رسالات الله عز وجل
وعدم الخلط بين انفسهم وبين هذه الرسالات
رغم أنهم جسّدوها

كيف قام الامام علي عليه السلام بدوره؟

وبناء على ذلك فإنَّ مَنْ يعتقد بفشل حكم الامام علي عليه السلام بعد أن استغرق خمس سنوات، عليه أن يتذكر إنَّ هذا الامام كان يؤدي دوراً رسالياً هاماً في المجتمع الاسلامي تتمثل فيه رسالات الله جميعاً، حيث جاءت رسالة الاسلام مهيمنة ومكمّلة لسائر رسالات الله في الارض، كما عليه أن يتذكر الروايات المستفيضة التي وردت في فضائله عليه السلام، وحاشا لله وحاشا لرسوله أن يثبتا كل هذه الفضائل عبثاً.

لقد قام الامام علي عليه السلام بدوره كاملاً، والقضية الرئيسية التي ينبغي أن نأخذها بنظر الاعتبار هنا، أن دوره عليه السلام لم يكن دائماً يتمثل في التربع على

١ - سورة المائدة، آية ٣.

كرسي الحكم، لأن الدور الذي يؤديه كمبلغ رسالة يختلف عن دور الحاكم؛ فالدور الاول والاهم لكل الرسل والانبياء والأئمة والصالحين هو تبليغ رسالات الله عز وجل وعدم الخلط بين انفسهم وبين هذه الرسالات رغم أنهم جسّدوها.

وعندما وجد امير المؤمنين مصلحة الرسالات الالهية والامة الاسلامية في ابتعاده عن مقاليد السلطة فعل ذلك، ولو انه تشبث بكرسي الحكم، وحمل الناس على طاعته بالسيف بعد رسول الله ﷺ عبر المطالبة بالحكم من خلال استخدام العنف والقوة، لاقتنع الناس بأن الامام علي عليه السلام ما هو إلا طالب حكم وسلطان، ولذلك رأى عليه السلام أن يتنحى عن الحكم لأن الامة لم تكن قد نضجت بعد، فاختار أن يؤدي دوره الرسالي وهو خارج الحكم.

وقد بقي الامام عليه السلام على هذه الحالة حتى تكاثف طلب الجماهير لنمط الحكم الذي كان يؤمن به عليه السلام، وقد جاء هذا الطلب من اصحاب رسول الله ﷺ انفسهم، من الذين كانوا يرون انفسهم أنداداً للامام بل واحق منه بالخلافة.

الامام علي عليه السلام ربان سفينة الامة

ومع ذلك فعندما عصفت رياح الفتن بالمسلمين بعد مقتل الخليفة الثالث، وكادت سفينة الامة أن تغرق في بحر الفتن، أدرك جل اصحاب النبي ﷺ أن ربان هذه السفينة الذي يستطيع إنقاذها هو الامام علي عليه السلام، ولذلك وجدنا

إنَّ أكثر من ألفي شخص من الاصحاب انضوا تحت لواء الامام علي عليه السلام يدافعون عن رسالات الله ضد بني امية، وقد كان من بينهم تسعة وسبعون صحابياً اشتركوا في معركة بدر، وسبعمئة حضروا في بيعة الشجرة.

وهكذا فإنَّ أكثر اصحاب النبي ﷺ بادروا الى الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما أحسَّوا أنَّ الشجرة الملعونة في القرآن والتي قاومت الرسالة منذ اول يوم، قد انبعثت لتقاوم الرسالة من جديد، وهم لم يفعلوا ذلك دفاعاً عن شخص الامام بل عن حرمة الاسلام، فانبروا للدفاع بكل قوة عندما اكتشفوا أنَّ الامام لا يعمل لطلب الحكم بل انه هو الذي قدَّم أجلَّ خدمة للمسلمين عندما فضح الشجرة الملعونة.

دور الامام الحسن عليه السلام

ونفس هذا النهج الذي اعتمده امير المؤمنين عليه السلام، طبقه الامام الحسن عليه السلام؛ حيث نرى انه عليه السلام هادن معاوية بشرط إعادة الحكم مستقبلاً الى الخلفاء الشرعيين، رغم انه عليه السلام كان يعلم أنَّ معاوية انسان خائن، ولكنه كان يريد أن يكشف للمسلمين حقيقة أنَّ جهازاً كجهاز معاوية لا يمكن أن يحكم باسم الاسلام، ولو حارب الامام الحسن عليه السلام معاوية لتصور الجاهلون أنَّ الامام عليه السلام طالب سلطان كما هو حال معاوية، وبتعبير آخر؛ يحارب من أجل الحكم لا من أجل الرسالة، في حين أنَّ الحكم ليس إلا وسيلة لتحقيق هدف اسمي.

دور الامام الحسين عليه السلام

أمّا الامام الحسين عليه السلام فقد مكث في مكة المكرمة عدة أشهر، ولم يتوجه الى العراق إلّا بعد وصول رسائل من قبل إثني عشر ألف من رجال الكوفة كان من بينهم الكثير من قيادات الجيش الكوفي، لأنّ الكوفة كانت حامية للجيش، والجيش الكوفي كان احد جيشين في البلاد الاسلامية، كما كان اكثر جنود هذا الجيش من اليمن والجزيرة العربية بالاضافة الى عدد قليل من أهل العراق.

إنَّ المراد من متابعة الظالمين والطغاة هو حالة الاسترسال
واللا مبالة وعدم اتخاذ الموقف المقاوم لخط الظلم، وعندما
نكرر المقاطع الخاصة بادانة المتابعة - في زيارة عاشوراء -
فان هذا يعني وجوب أن نرفض السكوت واللا مبالة
واللا مسؤولية، ونجسّد في انفسنا روح المسؤولية

وانتظر الامام الحسين عليه السلام فترة حتى نضجت فكرة الدفاع عن رسالة الاسلام، وحينئذ قدم عليه السلام الى العراق وهو يعلم أنّ مصيره الشهادة، وقد صرح بذلك في اول خطبة له في مكة المكرمة عندما قال: «خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخْطً الْقَلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهْنِي إِلَى أَسْلَافِي اسْتِيقَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخَيْرَ لِي مَضْرَعٌ أَنَا لِأَقِيهِ، كَأَنِّي وَأَوْصَالِي يَتَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفُلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ»^(١).

١ - مثير الأحران، ص ٤١.

وهكذا توجه عليه السلام الى العراق لأنه صاحب رسالة، وهذه الرسالة لن تتحقق إلا بإقامة دمه، وشهادة اخوته وابنائهم واولاد اخيه وخيرة اصحابه ممن بقي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بالإضافة الى سبي نسائه.

بين الحركة الرسالية والحركة السياسية

ومن هنا فقد اختلفت معالم الحركة الرسالية عن الحركة السياسية، فمن غير المعقول أن يؤسس طالب السياسة ستراتييجيته على أساس الشهادة، في حين نجد صاحب الرسالة يمشي الى الموت بخطى ثابتة، ويجعل الشهادة غاية مسيرته إن لم يفلح في نصر دين الله.

وهكذا فقد ظل الامام الحسين عليه السلام مصباحاً للهدى، وسفينة للنجاة، ومن هنا كان من الواجب علينا أن نخلد ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام لانه صاحب رسالة لا صاحب ملك، ولانه إنسان ثائر إستشهد وتحول الى مسيرة رسالية، ومن أهم مسؤولياتنا تجاهه عليه السلام تعميق الولاء لنهجه وخطه، ولذلك فاني أوصي الاخوة الرساليين بقراءة زيارة عاشوراء التي تعتبر منهج حياة، حيث تشتمل على حكمة لو تحولت الى برنامج عملي في حياة المؤمنين لأصبحت الأمة قادرة على تحدي كل المشاكل والصعاب وبناء كيانها الحضاري المنشود، وهي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»^(١).

١ - كامل الزيارات، النص، ص ١٧٨ .

فنحن نطلب بهذا الدعاء من الله تعالى حياةً على نهج حياة الرسول وآله، كما نطلب أن نموت كما ماتوا، فهذه الحياة والمات منهجان للانسان المسلم يركزهما في نفسه عند قراءة زيارة عاشوراء.

وبالاضافة الى ذلك فان هذه الزيارة تتضمن مقطعاً آخر يؤكد هذه الفكرة وهو: «اللَّهُمَّ الْعَنِ الْعَصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ، وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً»^(١)، وهناك أيضاً فقرة أخرى تقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ، عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكَ»^(٢).

إن في الامر بتكرار هذه المقاطع دلالة على حاجتنا كل يوم الى تعميق الولاء لخط أهل البيت عليهم السلام، والذي يعني بديهاً تعميق الرفض في النفس لخط الطغيان والظلم، والرفض هذا لا يكون للحاكم فقط وانما لمن يشايعه ويبايعه ويتابعه.

وفي ظني أن المراد من (المتابعة) حالة الاسترسال واللا مبالة وعدم اتخاذ الموقف المقاوم لخط الظلم، وعندما نكرر المقاطع الخاصة بادانة المتابعة فان هذا يعني وجوب أن نرفض السكوت واللا مبالة واللا مسؤولية، ونجسد في انفسنا روح المسؤولية، بل ونرفض اللا مسؤولين الذين يقولون: «ما لنا والدخول بين السلاطين»، ويتذرعون بمثل هذه المقولة الشيطانية التي تبث في

١ - مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج ٢، ص ٧٧٦.

٢ - مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج ٢، ص ٧٧٦.

الامة روح الانهزام والتراجع حتى لو كان مبدؤهم الذي يدعون اعتناقه هو مبدأ الثورة والرفض.

وللاطلاع فإنَّ الكثير من الذين حاربوا الامام الحسين عليه السلام في كربلاء هم من الذين كانوا - في الظاهر - يوالون الامام علياً عليه السلام، ولذلك خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «يا شيعة آل ابي سفيان» نافياً انتماءهم الحقيقي الى خط أهل البيت، وقد كان عمر بن سعد من أقارب الامام الحسين عليه السلام والمحسوب على الخط الهاشمي وواحداً منهم، فعندما سأله الإمام الحسين عليه السلام عن السبب الذي جعله يقاتله؟ أجاب: بأنه يفعل ذلك خوفاً من بني امية من البطش به وبعائلته!، وهكذا فإنَّ هناك بعض الناس يحاربون الاسلام، وينخرطون في جيوش الظالمين لمحاربة المسلمين، ويرضخون لقرار الحكام خوفاً منهم ومن سطوتهم.

ثمار ثورة الحسين عليه السلام

وعندما قُتل ابو عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء ارتفعت الغشاوة عن قلوب المسلمين واخذوا يلومون انفسهم قائلين: نحن الذين دعونا لننصره، ثم اذا بنا نقتله ظمآن على ضفاف شط الفرات!

ونحن نجد بوضوح هذا الندم بعد دخول زينب الكبرى عليها السلام الكوفة، حيث راح الكوفيون يبكون ويتحبون، وبعد ان رأت زينب منهم ذلك أخذت تقررهم وتؤنبهم على أنكم أنتم الذين قتلتم ابا عبد الله بضعفكم وخيانتكم

وعدم شعوركم بالمسؤولية في الحياة! حيث قالت: «أَتَبْكُون وَتَتَّحِبُونَ؟ إِي وَاللَّهِ فَأَبْكُوا كَثِيرًا وَأَضْحَكُوا قَلِيلًا فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا» ثم قالت: «وَيْلَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَتَذُرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَرَيْتُمْ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟ وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟ وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ أَنْتَهَكْتُمْ؟»^(١).

إن شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء هي وسيلة لهداية الناس، ووفقاً لما قاله النبي ﷺ عن سبطه الشهيد: «إِنَّهُ - لَمَكْتُوبٌ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - مِصْبَاحٌ هُدًى وَسَفِينَةٌ نَجَاةٌ»^(٢)، فهو عليه السلام يمثل انعطافاً خطيراً في الاتجاه الى رسالة الاسلام، ومن مواقفه المبدئية نستشف الفرق الهائل بين صاحب الرسالة الذي يتنازل عن كرسي الحكم ويعرض نفسه للشهادة مضحياً بها في سبيل بقاء الرسالة، وبين طالب السلطان.

وفي الحقيقة فان هذا هو الفارق الرئيسي بين الحركات الاسلامية والحركات السياسية غير الدينية؛ فالمنتمي الى الحركة الاسلامية الرسالية يبحث دوماً عن الرسالة، ويدور معها حيثما دارت، ولا يفكر مطلقاً في أن يحصل على مناصب لنفسه، ولذلك نجد أن أبناء الحركة الاسلامية قد يدخلون في احزاب أو تنظيمات اسلامية مختلفة ولكنهم يرفضون التحزب على حساب قيمهم ودينهم ورسالتهم، فلا يكونون - كما قال عنهم تعالى -: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٣).

١ - اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٨٧.

٢ - عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٦٠.

٣ - سورة الروم، آية ٣٢.

بل يكونون: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)؛ أي إنَّ المحور هو العودة الى الله، فكلما أبعدتهم الالهواء عن محور التوحيد جذبتهم المعرفة اليه مرة أخرى فيعودون اليه، وينطلقون منه.

الفتوحات الإسلامية كانت رحمة للشعوب

ترى هل كانت فتوحات المسلمين للعالم غزواً أم استعماراً أم احتلالاً عسكرياً؟

من المظاهر الأساسية لقانون المساواة في الاسلام
ضرورة انصواء جميع الاتجاهات والتجمعات في المجتمع
تحت ولاية الفقيه التي تعني
ولاية الأجدد والاكفاء والاعلم من أبناء الامة
واقدرهم على تطبيق الإسلام

إنَّ هذه الفتوحات والانتصارات كانت رحمة للناس، لأنَّ المسلمين اذا دخلوا بلداً ساووا بين انفسهم وبين اهل ذلك البلد، ولم يجبروهم على الدخول في الدين الاسلامي، وكانوا يهتمون بتطبيق مبدأ المساواة بين الناس إذا أسلموا.

أما إذا لم ينتمِ اهل البلاد المفتوحة الى الاسلام فقد كانوا يحصلون على

١- سورة الروم، آية ٣١.

حقوق متساوية تقريباً مع حقوق المسلمين، وبسبب هذه المعاملة السخاء الحسنة لم يجد الناس في الفتوحات الاسلامية احتلالاً أو إستعماراً، بل انهم دخلوا في الاسلام، حتى إنَّ البعض منهم كانوا ينضمون الى الجيش الاسلامي. ولولا قانون المساواة الذي شرَّعه الاسلام لما دخل الناس في دين الله افواجاً، ولما دافعوا عنه، بل إنَّ المسلمين لو كانوا استخدموا اسلوب سل السيوف وقطع الرقاب لاشتدت الحروب بينهم وبين القبائل والبلدان الاخرى، ولصعب انتشار الاسلام في البلدان المفتوحة.

ولاية الفقيه تجسيد لقانون المساواة

ومن المظاهر الاساسية لقانون المساواة في الاسلام ضرورة انضواء جميع الاتجاهات والتجمعات في المجتمع تحت ولاية الفقيه التي تعني ولاية الأجر والاكفاء والاعلم من أبناء الامة واقدريهم على تطبيق الإسلام. والشخص الذي تتوفر فيه هذه الصفات يكون جديراً بحكم المسلمين وإمامتهم أيّاً كان انتماءه القومي، كما أنَّ ولاية الفقيه تعني أيضاً العالمية الاسلامية؛ فالحزب هو حزب الله، والبشر هم عباد الله، ولا قيمة للون أو العنصر.

وهكذا لا بد أن نكون حملة رسالةٍ ندور معها حيثما دارت، ونفصلها عن أهواء أنفسنا، ونجعل المقياس حسب العطاء للقضية، واننا مسؤولون عن كل ما يجري في ساحات المواجهة، وسوف يحاسبنا الله حساباً عسيراً إن لم نكن في أشدّ حالات الوعي والتقوى، وهذه التقوى لا بد أن تكون في أعلى

درجاتها عند من يعمل في مضمار السياسة، كما يؤكد على ذلك قول الامام الحسن العسكري عليه السلام: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ: صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا عَلَى هَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلَّدُوهُ»^(١).

وعلى هذا فان درجة التقوى عند السياسي المسلم يجب أن تكون عظيمة، وقريبة من تقوى الصديقين، لانه سيتحمل أمانة الامة الإسلامية برمتها، ولنقتد في هذا المجال بالامام الحسين عليه السلام الذي ضحّى بكل غال ونفيس في كربلاء حتى بسمعته بعد ان اتهموه بانه من الخوارج، وحين سببت نساؤه، وانتهكت حرماته، ولكنه قَبَلَ كل ذلك برحابة صدر قائلاً: «الْعَارُ أَوْلَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ»^(٢).

١- بحار الأنوار، ج ٢، ص ٨٨.

٢- بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٩٢.

بين الهدم والبناء

من المعلوم إنَّ كل ثورة تقوم على ركنين، وتتحرك عبر بُعدين؛ بُعد الهدم، وبُعد البناء والتنظيم.

فقبل أن تنتصر الثورات تكون جهودها منصبة على البُعد الاول، وبعد انتصارها تتجه نحو تعبئة طاقاتها من أجل البناء، في الوقت الذي لا تنسى فيه دور الهدم لمخلفات النظام الفاسد.

وفي ثورات شعوبنا قد نرى تقلصاً في أحد البُعدين، الامر الذي يؤدي الى توقف هذه الثورات، وحدوث اختلال في معادلاتها، وعلى سبيل المثال فان بعض هذه الثورات تتجه الى البناء دون الهدم حتى قبل الانتصار، فيتصور أن مجرد الدعوة الى الله تعالى، والقيام باصلاحات جزئية كبناء مسجد هنا، ودار للايتام أو مستوصف هناك، أو انشاء مؤسسة لنشر الكتب وما الى ذلك تكفي وحدها للقيام بمهام الرسالة الالهية، فتصاب بذلك بآفة السطحية التي تعني محاولة القيام باصلاحات فوقية دون التفكير الجدي في القيام باصلاح

جذري، واقتلاع جذور الفساد.

وفي المقابل قد تتجه بعض الثورات عند شعوبنا اتجاهاً آخر قبل انتصارها ألا وهو ترك البناء، والغاء دوره اساساً، وتركيز الاهتمام بالهدم، كأن تكثر الثورة من بعض ممارسات الجهاد السلبي كنشر المنشورات، والقيام بالاعمال التخريبية ضد مؤسسات الفساد، وبث الدعايات المضادة للسلطة دون أن تفكر في بناء خلايا حصينة لا يستطيع العدو النفوذ فيها، ودون أن تصب اهتمامها على بناء التشكيلة الرسالية المتكاملة التي تتوزع بين خلاياها مهام القيام بالانشطة المختلفة للعمل التغيير.

وللاسف فان الكثير من الحركات لا تقوم بمثل هذه الاعمال الايجابية، بل تركز اهتمامها على عمليات الهدم فقط، ونشر الدعايات المضادة للسلطة بين الجماهير، في حين أن هذه الجماهير بحاجة الى من يوجهها، وينشر الوعي بين صفوفها، فان لم تجد مثل هذه الانشطة عند الحركات فانها ترى نفسها مضطرة للبقاء مع السلطة.

ولذلك فان مثل هذه الحركات محكومة دوماً بالفشل، لانها تفكر بالهدم فقط دون البناء، ولذلك فاننا بحاجة قبل الانتصار الى كيان ثقافي متكامل؛ اي مجموعة متكاملة من المثقفين في جميع المجالات الفكرية، يمارسون عملية تثقيف وتوعية الجماهير من خلال الكتب، والمنشورات، والدراسات، والمجلات الدورية، وكافة وسائل النشر والتواصل والإعلام.

الحاجة الى شبكة تنظيمية متكاملة

وبالاضافة الى ذلك فإنَّ الحركة التغييرية بحاجة الى شبكة تنظيمية متكاملة؛ أي من الضروري تشكيل مجموعات همها الشاغل بناء العناصر، وتزويد الحركة بالمجموعات والعناصر الجديدة القادرة على أن تحل محل العناصر الاخرى التي تضطر الحركة الى التضحية بها، وإلاَّ فإنَّ هذه الحركة سوف يكون مصيرها الموت بفعل الزمن إن لم يكن بفعل الاعداء. فكل عنصر معرض لعوامل فقدان المختلفة من مثل المرض، والشيخوخة، والاعتقال، والاغتيال، بل ان بعض العناصر قد يصيبها الانتكاس النفسي، وعدم القدرة على متابعة مسيرة العمل الرسالي، وهنا تجد الحركة نفسها مضطرةً لكي تملأ الفراغ الذي خلفته العناصر المفقودة بكوادر جديدة.

إنَّ الحركة بحاجة الى جهاز مالي متمكن
ينمو متزامناً مع نمو سائر الاجهزة؛
فالحركة التي تنمو ثقافياً، وتنظيمياً،
ولكنها لا تنمو اقتصادياً ومالياً،
محكوم عليها بالجمود ثم الانتهاء

ونحن عندما نقول: إنَّ كل حركة بحاجة الى شبكة تنظيمية متكاملة فاننا نقصد أيضاً ضرورة أن تكون الخلايا منفصلة عن بعضها البعض، خاصة في البلاد المحكومة بأجهزة المخابرات وسلطات القمع والإرهاب الحكومي،

بحيث لو استطاع العدو كشف بعضها فانه سوف لا يستطيع كشف الخلايا الاخرى، وكم من مرة رأينا أنَّ السلطات الطاغوتية كانت تكتشف خيوطاً في التنظيم الداخلي للحركات الاسلامية، ثم تتسلل عبر هذه الخيوط حتى تصل الى مختلف جوانب الشبكة التنظيمية، ثم تراقب الموقف بهدوء في انتظار ساعة الصفر التي تقضي فيها على الحركة كلها بحيث لا تبقي منها خلية واحدة.

ومن أجل تلافي نقطة الضعف هذه، فإنَّ من المفروض بالحركة أن تجعل نفسها قادرة على النمو المتجدد كلما تعرضت الى ضربات من قبل السلطات الطاغوتية.

ومن الدلالات الاخرى لمفهوم (الشبكة التنظيمية المتكاملة) ضرورة وجود المفكرين، والمنظرين، والمخططين الذين يفكرون في ايصال رسالتهم الى كافة شرائح المجتمع وقطاعاته، دون أن يقصروا اهتمامهم على شريحة دون اخرى، أو على قطاع دون آخر، بل على الحركة الاسلامية أن تنشر رسالتها بين كافة فئات المجتمع؛ الطلاب بمختلف مراحلهم الدراسية، العمال، الفلاحين، المهنيين، رجال الدين، والموظفين وغيرهم.

كما أنَّ الحركة بحاجة الى جهاز مالي متمكن ينمو متزامناً مع نمو سائر الاجهزة؛ فالحركة التي تنمو ثقافياً، وتنظيمياً، ولكنها لا تنمو اقتصادياً ومالياً، محكوم عليها بالجمود ثم الانتهاء، فالحركات التي لا تمتلك جهازاً مالياً قوياً تجد نفسها مضطرة الى التقلص، وبالتالي الاستسلام للموت.

ومن الضرورات الاخرى اللازم توافرها في الشبكة التنظيمية وجود

جهاز امني لها تستطيع من خلاله مراقبة الاعداء، والتسلل في خطوطهم، والتعرف على نواياهم ومخططاتهم؛ فان كانت الحركة تمتلك ولو رجلاً واحداً في الجهاز الامني للاعداء، فان هذا العنصر الواحد سيستطيع المحافظة على مائة عنصر من عناصر الحركة الإسلامية العاملة في الساحة.

وباختصار فان الحركة تشبه الى حد كبير الحكومة المتكاملة، لانها تريد أن تحل محل السلطة القائمة، فيجب - اذن - أن تمتلك ما تمتلكه السلطة من مختلف الاجهزة.

وهكذا فإن من الخطأ الكبير أن تفكر الحركة بالهدم دون البناء، وانا اعتقد أن بعض الحركات الإسلامية في العالم الاسلامي انما انتهت عندما فكرت في بُعد واحد دون ان تصب اهتمامها على الابعاد الاخرى.

ضرورة امتلاك امكانيات الهدم

ومن جانب آخر فان الحركات التي تفكر في البناء دون الهدم، فانها ستفقد في الحقيقة أمضى أسلحتها، فهي أشبه شيء بجيش متكامل يدخل المعركة وهو مجهز بالدبابات، والطائرات، وسلاح المشاة، والهندسة، ولكن الشيء الذي يفتقر اليه هو الذخيرة، ومن الطبيعي أن هذا الجيش محكوم عليه بالفشل والهزيمة في المعركة.

وهكذا فان الحركة التي لا تمتلك امكانيات هدم الفساد والظلم، فانها لا تمتلك شيئاً في الحقيقة، لأن السلطة ستكون في هذه الحالة قادرة على تصفية

عناصر هذه الحركة، وفي هذا المجال يؤكد الامام علي عليه السلام في عهده الى مالك الاشر على ضرورة المحافظة على الجند، وعدم التفريط بهم، حتى انه يصفهم بأن: «الْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ»^(١)، فهم كالحصن الشامخ الذي يأوي اليه الانسان.

الحركات التي تحلم بالانتصار دون أن تربي افرادها على خشونة الحياة، والعمل الجدي المتواصل وفي مختلف الابعاد، فانها ستظل عائشة في أحلامها هذه حتى يدركها الموت والانقراض، فإلله تعالى لا يعطي الدنيا لمجموعة من الكسولين الفاشلين في الحياة

التعاون بين الهدم والبناء

وبناء على ذلك فان الحركات الاسلامية لا تستطيع أن تعتمد على جانب واحد، سواء على مستوى القيادة ام القاعدة، بل عليها أن تعتمد على كلا الجانبين اللذين اشرنا اليهما (وهما: الهدم والبناء)، وهنا تكمن الصعوبة، فنحن لا نواجه مجموعة من العناصر البسيطة، بل نواجه تكنولوجيا متكاملة في العالم، ونحن لا نستطيع ان نواجه هذه التكنولوجيا إلا اذا اوصلنا انفسنا الى مستواها.

١ - بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٦٠٣.

وعلى هذا فان التنظيمات الإسلامية اليوم يجب أن تكون اقوى من تنظيمات الامس، وأن تستفيد من اخطاء التنظيمات السابقة، وأن تكون قوية بحيث يستطيع الواحد منها أن يقف امام عشرين جندياً، وإلا فان السلطات تكون قوية عادة بحيث إنَّ القليل من جنودها يعتبرون كثيرين باستطاعتهم أن يقضوا على الحركة في حالة افتقارها الى المقومات السابقة.

فباللزام - إذن - أن تتقدم الحركات تقنياً، وتكتيكياً، وتكنولوجياً، فالمعروف عن الحركات التي استطاعت تحقيق الانتصار أنها كانت تشدّد على رجالها في أن يسهروا الليالي في مطالعة الكتب وتنمية قدراتهم الفكرية والثقافية، وفي النهار كان عليهم أن يواصلوا العمل الجادّ لكي يكونوا اقوياء من الناحيتين: الفكرية، والجسدية، ومن الطبيعي إنَّ الفرد الواحد من هذه الحركات كان باستطاعته أن يغلب مائة شخص من السلطات الجائرة.

وهكذا يجب على المنتمين للحركات الإسلامية أن يكونوا متكاملين وقادرين على مقاومة الضغوط، والسيطرة على الحياة في جميع نواحيها، وبذلك يضمنون هزيمة العدو أمامهم، ذلك لأنَّ رجال السلطة انما يعملون من أجل بطونهم وراحتهم، ولذلك فإنَّ من غير الممكن أن يصلوا الى مستوى اولئك الرساليين في درجة المثابرة والتضحية.

الانتصار لا يتحقق بالاحلام والتعاس

أما الحركات التي تحلم بالانتصار دون أن تربي افرادها على خشونة

الحياة، والعمل الجدي المتواصل وفي مختلف الابعاد، فانها ستظل عائشة في أحلامها هذه حتى يدركها الموت والانقراض، فالله تعالى لا يعطي الدنيا لمجموعة من الكسولين الفاشلين في الحياة، فقد أبى الله سبحانه إلا أن يجري الامور بأسبابها الطبيعية، فمن الخطأ الفاحش أن نفكر أن الانتصار قادم بلا ثمن، بل علينا ان نفترض ان الانتصار بعيد، ثم نخطط على هذا المستوى، أخذين بنظر الاعتبار مقولة الامام علي عليه السلام المعروفة: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا»^(١).

وهكذا فان علينا ان نصنع من اللا شيء شيئاً، واذا ما اردنا القيام بالتغيير فعلينا أن نعلم أن التغيير يعني بناءً جديداً، ولا يعني بأي حال من الاحوال أن نخلد الى الراحة في بيتك، ثم نتوقع الانتصار على الظلم والاستكبار.

ان تلك الحركات التي كانت تتصور انها تستطيع تغيير الأوضاع من خلال القيام باصلاحات فوقية، ودون أن يكون لها رصيد من العمل التغيير في الجذري قد اثبتت فشلها.

صفوة القول

وخلاصة القول: إن العمل التغييري يجب أن يعتمد على ركنين اساسيين هما: الهدم، والبناء، وأن تهتم الحركات الإسلامية قبل انتصارها بالركن الاول (أي هدم أسس الفساد والظلم) مع عدم اهمال الثاني (أي بناء أسس المجتمع

١ - وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٧٦.

الصالح). أما بعد مرحلة الانتصار فيجب أن يحدث العكس؛ أي الاهتمام بالبناء مع استمرار عملية الهدم بنسبة أقل منه، لأنّ رواسب الطاغوت تبقى عادة بعد انتصار الحركات التغييرية لفترة طويلة، فلا بد من أن يستمر الهدم، ولكن التوجه الأكبر يجب أن يكون منصباً على عملية البناء.

بين الارادة والهزيمة

حوادث الزمن كالنهر المتدفق يدفع بعضه بعضاً، فلا يمكننا أن نقف عند لحظة زمنية معينة ونتصور أن الاحداث قد اتخذت عندها شكلها النهائي، وأنه لن تأتي وراءها لحظة جديدة تحمل متغيرات جديدة.

إنَّ الحوادث تتسلسل، والزمن يجري، ويبقى الانسان هو الانسان، وقد تكون هناك ظاهرة سياسية، أو إقتصادية، أو إجتماعية، أو عسكرية، أو آية ظاهرة أخرى ذات أثر كبير في المستقبل، إلا أنَّ وجود مثل هذه الظواهر لا يلغي أبداً دور الانسان في إمكانية الاستفادة من العوامل التي تسهم في صنع ظاهرة جديدةٍ تخلق واقعاً مختلفاً كلياً عما سبقه.

ولو كانت هناك ظاهرة كبرى إستطاعت أن تلغي دور الانسان في التاريخ لكانت حادثة الطوفان الشهيرة، وانقراض نسل الكافرين من فوق البسيطة، ولكان ينبغي أن يظل الناس بعد الطوفان مؤمنين، لأنَّ الله عزَّ وجل اغرق في تلك الحادثة كل ذي نفس فوق الارض ولم يبق سوى المؤمنين الذين

انجاهم بالفلك مع نبيه نوح عليه السلام.

ومع ذلك فإن الحياة من بعد الطوفان ظلت كما كانت قبله تدور حول ذات السنن الالهية، وأبرز هذه السنن: سُنَّةُ الابتلاء، ومنح الاختيار للبشر في جو من الحرية والقدرة على الاختيار.

وهكذا فإن حوادث الزمن هي كتيار النهر، فأنت أيها الانسان تستطيع أن تقف في لحظة تاريخية قائلاً: من الان سأغير تيار الزمن من الفساد الى الصلاح، وما دمت قائماً على أمرك وعازماً على أن تصنع شيئاً فانك ستستطيع بإذن الله، لأن الله جل وعلا، وهب لك المشيئة، كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١) ثم جعل الحياة مسخرة لهذه المشيئة، كما يشير الى ذلك الحديث الشريف: «خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ»^(٢).

الارادة هي الجوهرة الاعظم

وقد سخر تعالى للانسان بالاضافة الى الارض التي يعيش عليها كل ما في السماء من أجرام: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْجُودُومُ مَسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾^(٣)، وادع فيه جوهرة هي الاعظم في الكون ألا وهي جوهرة المشيئة؛ اي الارادة، وحرية الاختيار، وجعل العقل مسيطراً عليها،

١- سورة الإنسان، آية ٣٠.

٢- بحار الانوار، ج ٤، ص ١٤٥.

٣- سورة النحل، آية ١٢.

وموجَّهاً لها، يقول تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

وهكذا فانك ايها الانسان قادر على صنع ما تشاء اذا كانت مشيئتك حقيقية وجادة وفي إطار مشيئة الله، فالحياة تبقى جديدة لمن أراد أن يعيشها. وعلى سبيل المثال فان اليهود ظلوا طوال اربعة آلاف عام ينتحبون ويرثون انفسهم ويقولون: لقد انتهينا، فقد ظلمنا وقتلنا وشردنا واضطهدنا، حتى جاء هرتزل وقال: من الان نبدأ لنصنع دولة. فقليل له: لقد مر علينا اربعة آلاف عام ولم نستطع أن نبني لانفسنا كياناً! فقال: هناك آية في قرآن محمد تقول: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾^(٢)، وهذه الآية تعلمني بأننا لو أردنا لاستطعنا.

إنَّ الجهاد اليوم واجب على الجميع كلَّ حسب إمكانياته،
ومن لا يستطيع أن يعمل مباشرة في سبيل الله،
فعليه أن يدعم العاملين في سبيل الله بأية طريقة اخرى،
فكل أرض إسلامية هي اليوم جبهة للعمل
من أجل تغيير الواقع الفاسد الى الأفضل

علينا أن لا نستسلم للهزيمة

ولذلك فنحن كمسلمين لا يجوز لنا أن نتصور أن كل شيء قد انتهى،

١ - سورة الانسان، آية ٣٠.

٢ - سورة الاسراء، آية ٧.

فالآية نزلت فينا قبل أن تنزل في اليهود، وهي تخاطبنا قبل أن تخاطبهم؛ فالحياة جارية كالنهر، وعلينا أن لا نستسلم للهزيمة، فالاستسلام هو مصيبة أكبر من الهزيمة ذاتها، وأعمق اثراً.

فلنصمد ولنعتبر بالمآسي التي تمر بنا، فهي ليست بسيطة، فالذي نبغيه لا يصل إلينا إذا لم نبادر نحن للوصول إليه، فلنحاول أن نبعث أمامنا الاعمال الصالحة ونمهد لحياتنا الآخرة.

وعلى سبيل المثال فان على الانسان أن لا يكتفي بأن يوصي بانفاق امواله في سبيل الله من بعد وفاته، بل عليه أن يبادر في حياته من أجل ان يؤسس مشاريع خيرية تنفع الاسلام والمسلمين كما يشير الى ذلك الحديث الشريف: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثٍ: وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَصَدَقَةٍ جَارِيَةٍ»^(١).

فالاموال تبقى، والورثة سرعان ما يقتسمونها، ثم لا يبقى لذلك المسكين الذي يعاني من عذاب الله سوى الحسرة. واني اوجه خطابي هنا الى اولئك الذين لا يملكون شيئاً كثيراً من اموال الدنيا، فأوصيهم ان يبدؤوا بطريقة جديدة على غرار التعاونيات، والجمعيات الخيرية، والشركات المساهمة كما هي معروفة في عالمنا اليوم، فلنعمل نحن بدورنا من أجل أن نؤسس شركة مساهمة في سبيل الله عز وجل.

فليجتمع بعضنا الى البعض الاخر، ولنجمع اموالنا كل حسب قدرته،

١ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١٢، ص ٢٣٠.

ولنقم بها مشروعاً خيراً نشرف عليه، ونخصص ربحه للأنشطة والأعمال الإسلامية.

ولا ريب إنَّ أهم الأعمال اليوم هو نشر العلم الصحيح، ودعم المسلمين المستضعفين والمجاهدين الذين يعملون من أجل الله سبحانه وتعالى، وهنا أقول لأولئك الذين لا يملكون حتى هذا المقدار من المال الذي يكفي لإنشاء شركة خيرية؛ أسسوا مشروعاً خيراً تعملون فيه يوماً كل أسبوع، أو يومين كل شهر، ثم ابعثوا بربحكم إلى الذين يعملون في سبيل الله.

إنَّ الجهاد اليوم واجب على الجميع كلَّ حسب إمكانياته، ومن لا يستطيع أن يعمل مباشرة في سبيل الله، فعليه أن يدعم العاملين في سبيل الله بأية طريقة أخرى، علماً إنَّ ساحة المواجهة ليست هي تلك الجبهة التي تتساقط فيها القنابل والصواريخ، فكل أرض إسلامية هي اليوم جبهة للعمل من أجل تغيير الواقع الفاسد إلى الأفضل.

ومن الواجب علينا أن ندعم هذه الحركات، إمّا من خلال الانتماء إليها مباشرة، أو من خلال دعمها بما لدينا من إمكانيات، وإذا ما استطعنا أن نضمن إستقلال الحركات الرسالية والتحررية واستقامتها، فإننا سنضمن عدم تكرار مآسينا، ومحننا، وإزالة الأسباب والعوامل المؤدية إليها.

بين التمني والسعي

من المسلّم به أنّ القرآن الكريم يمثل بلاغاً الهياً ورسالة ربانية الى البشرية جمعاء، إلا أنّ الطبيعة البشرية أفرزت تيارين متناقضين نشير اليهما فيما يلي:

١ - القلوب المنفتحة على الرسالات الربانية، ويتجسّد إنفتاحها هذا في أنها تستقبل هذه الرسالات إستقبالاً حكيماً ورشيداً.

٢ - القلوب المريضة التي يتجلّى مرضها من خلال مواجهتها للرسالات الالهية بحالة من التحدي والتعجيز.

معاجزة الله انتماء للكفر

والله تعالى يحذر الذين يتحدثون آياته بحالة من (المعاجزة) وكأنهم يريدون تعجيز الله عزّ وجل من خلال مواجهتهم لقوته وقدرته بما لديهم من قوة وقدرة تافهتين، ومصير هؤلاء هو أنّ الله سبحانه يجازيهم يوم القيامة ببئس ما يجازي به عباده، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾.

والمعاجزون هم اولئك الذين يجربون أنفسهم عن فهم آيات الله، وحتى لو فرضنا أنهم قد فهموها فانهم يجادلون فيها، ويصدون الآخرين عنها، ويضعون العراقيل في طريق تطبيق آيات الله تعالى، أو يحدّدونها في أطر ضيقة، وبتعبير آخر؛ فانهم اولئك الذين لا يقفون من آيات الله موقف التسليم والتصديق والاذعان بل يواجهونها بالرفض والمعارضة.

إنَّ كل انسان بإمكانه أن يكون من المختبين الذين يدعون لآيات الله ويستجيبون لأوامره، سواء وافق هذا الاختيار مصالحهم الذاتية ام خالفها، وسواء كان متناغماً مع قناعاتهم وآرائهم الفكرية ام متناقضاً معها.

وكما أنَّ هذا الاختيار بيد الانسان، فإنه من الممكن لهذا الانسان في نفس الوقت أن ينضم الى سلك المعاجزين والمتحدّين لآيات الله، ومهما كان مستوى التحدي صغيراً فإنه يُخرج الانسان من انتماء الايمان ليدخله في انتماء الكفر، والدليل على ذلك ما رواه بريد العجلي، عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: سألته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً، فقال: «مَنْ قَالَ لِلنَّوَةِ: إِنَّهَا حَصَاةٌ، وَلِلْحَصَاةِ: إِنَّهَا نَوَاةٌ، ثُمَّ دَانَ بِهِ»^(٢).

وهكذا فان هناك قسماً من البشر يستمعون الى آيات الله، ويتلون كتابه، وينظرون الى الطبيعة من حولهم، ولكنهم لا يتخذون من هذه الآيات بصائر

١ - سورة الحج، آية ٥١.

٢ - الكافي، ج ٢، ص ٣٩٧.

لقلوبهم، ولا يستفيدون منها في واقعهم العملي. وبعبارة أخرى: فان نور الهداية عندما يسطع على قلوب البعض من الناس فانهم لا يستطيعون تحمل هذا النور الرباني، فيحجبونه عن قلوبهم.

عالمنا عالم السعي والجد

والقرآن الكريم يؤكد للانسان أنَّ العالم الذي يعيش فيه هو عالم الجد والسعي والعمل والعطاء والتضحية والتفكير والوعي، لا عالم اللهو واللعب والامنيات والاحلام، كما يقول تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(١).

إنَّ حالة التمني ناتجة من التخلف وانعدام الوعي،
فالانسان المتقدم الواعي يعرف أنَّ لكل شيء سبباً
إِستناداً الى القرآن الكريم؛
في حين أنَّ الانسان المتخلف يريد أن يحقق كل شيء
بالخرافات والاساطير التي يؤمن بها

فليس للانسان ما يتمنى؛ فلو كان للأمنيّة دور لكان المؤمنون يتخلصون من أعدائهم بمجرد التمني بأن يريحهم الله منهم بصاعقة أو ما أشبهه.

وبالطبع فإنَّ الله قادر على فعل ذلك، إلّا أنَّه وضع سنّة في الحياة تقول:

١- سورة النجم، الآيتان ٢٤ - ٢٥.

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾^(١). وبعبارة اخرى: فإنَّ سعي الانسان ومدى جديته هما الكفيلان بتحقيق ما يريده الانسان، أما التمنيات والاحلام والافكار الخيالية فانها لا تغني شيئاً.

وعندما يحدثنا القرآن الكريم عن أنبياء الله تعالى ورسله، وعن المهتدين الذين هم أولياء الله العظام، فانه يذكرنا بانهم بذلوا جهودهم من أجل تطبيق رسالة الخالق تعالى، فلو أنَّ هذه القمم المضيئة في ليل البشرية عاشت حالة التمني لكان الشيطان لها بالمرصاد، كما يصرح بذلك تعالى قائلاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(٢).

فاذا كانت حالة التمني ممنوعة على الانبياء فكيف بالانسان الضعيف الجاهل؟ فالله عزَّ وجل قد حذرهم من ذلك لانهم لا يستطيعون تنفيذ أحكامه عبر التمني.

التفكير الشيطاني قرين التمني

ومن أكبر المخاطر التي تلاحق الانسان الرسالي في حالة التمني أنَّه قد يصيبه تفكير شيطاني بأن يتساءل قائلاً: أليس الله بقادر على أن ينصر دينه؟ وبما أنَّ هذه القدرة متوفرة فلم - إذن - يعذبنا، ويفرض علينا الهجرة والنضال والتضحية وخوض المشاكل، ولماذا لا يرسل ملائكته لتحقيق

١- سورة النجم، الآيتان ٣٩-٤٠.

٢- سورة الحج، آية ٥٢.

أهداف الرسالة؟

وفي الحقيقة فإنَّ مثل هذا التفكير هو من إلقاءات الشيطان في قلوب المؤمنين، وبالطبع فإنَّ لهذه الإلقاءات مردودات سلبية خطيرة على واقع الأمة لأنها تثبِّط الإنسان عن العمل، وتجعل يده مغلوطة عن السعي، وبالتالي فإنه يرى أنَّ التضحية والجهاد والجد كل ذلك لا يمكن أن يجدي شيئاً، ولأنَّ حالة التمني هذه قد راودت المسلمين فأنهم لم يفكروا أو يخططوا لبدء الهجوم على المستكبرين، فكانت النتيجة أنَّ آلت الأوضاع إلى هذا المستوى من التردي والانحطاط.

إنَّ حالة التمني ناتجة من التخلف وانعدام الوعي، فالإنسان المتقدِّم الواعي يعرف أنَّ لكل شيء سبباً إسناداً إلى القرآن الكريم الذي يقول عن ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾^(١)؛ أي تحرك على ضوء الأسباب والعلل والسنن الإلهية، في حين أنَّ الإنسان المتخلف يريد أن يحقق كل شيء بالخرافات والاساطير التي يؤمن بها.

الآثار السلبية للتمني

وعلى هذا فإنَّ كل عمل يحتاج إلى أسباب يتحقق من خلالها، فالتمني قد يورث لدى الإنسان حالة التواكل، وللاسف فإنَّ أكثر المسلمين نراهم جالسين لا يبدون حراكاً منتظرين أن ينقذ بلادهم الجيش الكذائي، أو الحزب

١- سورة الكهف، آية ٨٩.

الفلاني؛ فهم ينتظرون النتائج دون عمل، في حين أنَّ هذا الموقف مغلوط لأنَّ إبتعاد المسلمين عن العمل وإلقاء المسؤولية على الآخرين هما نوع من التمني، والعيش في الاساطير والاحلام، لأنَّ الواقع يقرر أنَّ الحياة جدية تسير وفق الأسباب والعلل المخصَّصة لها، ولذلك فإنَّ علينا أن نكون جديين، وفي أعلى، مستويات الوعي بأنَّ نعرف ما يجري من حولنا، ثم نبدأ بعد ذلك بالتحرك الجاد والمخلص.

نحن المسلمين بحاجة اليوم
الى الاخذ باستراتيجية هجومية،
ولكننا ولأسباب عديدة تراجعنا عن حالة الهجوم،
فبدأ الاستكبار هجومه المضاد علينا
من خلال استراتيجية استعمارية

الهجوم افضل من الدفاع

ومن السنن الالهية في الحياة أنَّ حالة الهجوم أفضل من حالة الدفاع شريطة أن يكون هذا الهجوم في سبيل الله تعالى، والحالة الهجومية هي من أحد الاسرار المهمة التي كملت وراء انتصارات المسلمين في صدر الاسلام بقيادة النبي ﷺ، فعندما كان النبي ﷺ في المدينة المنورة وتناهى الى مسامعه أنَّ قريشاً تريد محاربته، فما كان منه ﷺ إلا أن جهَّز جيشه متوجهاً الى بدر لمحاربة المشركين، وبالفعل فقد استطاع أن يهزمهم، وقد اشار الى ذلك تعالى

في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾^(١).

وكانت هذه الاستراتيجية من أسباب انتصار الامام علي عليه السلام في الحروب التي خاضها، فالمحللون التاريخيون ينبغي عليهم ان يقفوا طويلاً امام مواقف الامام علي عليه السلام الهجومية المتمثلة في عزله لمعاوية بن ابي سفيان، واعادة الثروات والاقطاعات الى اهلها فور استلامه لمقالييد الخلافة، وبعبارة أخرى فانه عليه السلام اتبع سياسة الهجوم على الحزب الاموي الذي كان قد استبد بالسلطة بعيداً عن مصالح الأمة.

استراتيجية الاستكبار في محاربتنا

ونحن المسلمين بحاجة اليوم الى الاخذ بهذه الاستراتيجية الهجومية، ولأسباب عديدة تراجعنا عن حالة الهجوم، فبدأ الاستكبار هجومه المضاد علينا من خلال استراتيجية استعمارية نستعرض فيما يلي أهم بنودها:

١ - التغطية الاعلامية

فعندما شعر الاستعمار بخطورة التحرك الاسلامي استخدم سياسة الهجوم، ومن أجل تغطية الهجوم المضاد هذا على القوى الاسلامية في العالم أطلق شعار الارهاب ومحاربه، واذا به يربط كل مفردات الاسلام به، فالصلاة أصبحت تصنع ارهابيين، ومن يحمل القرآن يُسمّى إرهابياً، ومن يتحجب من

١- سورة آل عمران، آية ١٢١.

النساء هن إرهابيات، وهكذا قام الاستكبار بتغطية أيديولوجيته الهجومية ضد القوى الاسلامية والتحررية في العالم.

٢- التحالفات

ثم بدأ الاستعمار بعد ذلك بعقد التحالفات بين بلدانه، وعلى سبيل المثال فان اميركا وسائر الدول الغربية أصبحت تسير الان على ضوء مصالح مشتركة متناسية بعض اختلافاتها لمواجهة تصاعد المد الإسلامي.

٣- تغيير الانظمة

ولكي يزداد الضغط على الحركة الاسلامية فلا بد من محاصرتها من قبل الانظمة، وقد فكر الاستكبار تحقيقاً لهذا الهدف بتغيير بعض الانظمة من خلال القيام ببعض الانقلابات العسكرية أو الانقلابات السياسية.

الضغط الاقتصادي

وقد بدأ الاستكبار بممارسة هذا الضغط منذ انتصار الثورة الاسلامية في ايران، فقد شرعت الولايات المتحدة وحليقاتها الاوروبيات بصنع مخازن ضخمة لجمع البترول، وهذه المخازن العملاقة كانت تحمل الوف الملايين من براميل النفط، وعندما حانت ساعة الصفر بدؤوا حربيهم ضد اسعار النفط، ففتحو مخازنهم تلك من أجل اغراق السوق العالمية، وفي هذا المجال ضغطوا على بعض الدول النفطية فاستجابت لضغوطهم ورفعت الانتاج فاذا بهادة

الذهب الاسود التي اودعها الله نعمة للبشر، والتي تشتق منها الكثير من المواد والبضائع، يهبط سعرها الى ابخس الاثمان!

اقامة الانظمة العميلة

ولم يكتف الامريكيون بجميع هذه الاعمال لمحاصرة الحركة الهجومية في الامة بل سعوا الى اقامة امبراطورية تابعة لهم في الشرق الاوسط رأس هرمها اسرائيل، وقاعدتها الدول العربية العميلة، وهذا الكلام ليس رجماً بالغيب، لأنَّ التاريخ الامريكي الاسود يثبت ذلك، فعندما تمردت الولايات المتحدة على السيطرة البريطانية قامت بتصفية العناصر الاصلية في البلاد والمتمثلة بـ(الهنود الحمر)، واستغلوا المناطق الشاسعة من بلاد هؤلاء السكان الاصليين، وكانت مساحة الاراضي تزداد باستمرار، وقد حدث كل ذلك بسبب التوسع الاقليمي، ثم الهيمنة على البلدان الاخرى.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الامريكيون سياسة الهجوم، وهم يتخذون اليوم نفس هذه السياسة، فعندما شعروا بأن الاسلاميين الصادقين بدؤوا حالة الدفاع استمروا في الهجوم واكمل الخطط القديمة، وعلى هذا فان علينا أن نبادر الى انتهاج سياسة الهجوم رغم أنَّ السياسة الهجومية بحاجة الى روح سامية، وتطلع عظيم، وهمة عالية، وشجاعة وروح إقتحامية، ونحن اذا لم نبدأ الهجوم فان الاضرار ستكون اكبر بكثير، فلننتقل الى سوح العمل الرسالي حاملين راية المبادرة والتصدي، ولنعلم ان النصر سيكون من نصيبنا بإذن الله.

بين الصراع والتنافس

في الحياة ظاهرتان؛ ظاهرة الصراع، وظاهرة التنافس. والصراع يدور بين الحق والباطل، والاسلام والجاهلية. والانسان يحاول في الصراع ان يتقدم على عدوه من خلال طريقين؛ طريق بناء الذات، وطريق تحطيم الطرف الآخر.

ففي الصراع يمسك الانسان بإحدى يديه المحراث ليُحيي الارض، أو المطرقة ليصنع الآلة في المصنع ليعمر الحياة، وباليَد الأخرى يعمل من أجل اقتلاع جذور الفساد والتخلف، فاليد الأولى تبني، والثانية تهدم كيان الفساد.

أما في حالة التنافس فان الامر يختلف، فنحن عندما نتنافس مع الآخرين، ونتسابق معهم في الخيرات، فلا بد أن تتركز جهودنا على عمل مهم هو بناء أنفسنا، وإبعاد نقاط الضعف عن كياننا حتى نصبح أكثر تماسكاً وقوة، وإنَّ غريمتنا سيقوم في الطرف المقابل بمثل ما نقوم به، فيتقدم المجتمع برمته.

الرؤية الشاذة الى التنافس

وقد ابتليت الحركات الاسلامية العاملة في الساحة برؤية شاذة الى التنافس في بعض المراحل فحوّلته الى صراع، وتوهّمت أنّ ما تقوم به من أعمال وما تبنته من أساليب في محاربة اعدائها الجاهليين يصلح أن يكون اداة بالنسبة الى المنافسين لها في الساحة من أصدقائها الذين يتحركون في نفس الخط بشكل عام.

ترى لماذا انتهت بعض الحركات الاسلامية الى هذه الحالة، ولماذا لم تستطع ان تفرق بين اصدقائها الذين ينبغي أن تتنافس معهم على الخيرات، وبين اعدائها الذين يجب أن تتصارع معهم؟

للاجابة على هذا السؤال لا بد أن ندرس تأريخ الحركات، ونتعمق في نفسية الامة الاسلامية، وخصوصاً فيما يتعلق بالحالات المتخلفة لدى الامة، وكيف أنّ الحركات الاسلامية لم تستطع أن تتخلص من سلبات الواقع، فوقعت في فخ الدوائر الاستعمارية التي كانت وما تزال تحاول تعميق الصراع والتنافس غير البريء بين الحركات الاسلامية.

إنّ هذه الظواهر يجب أن تُدرس لنعرف لماذا تحولت الحركات في علاقاتها مع بعضها البعض من حالة التنافس الى حالة الصراع، ونحن اليوم نستطيع أن نتحدث عن العلاج لهذه الحالة لعلمنا بأنّ هذه القضية بقيت لحد الان من ضمن القضايا العالقة التي لم تعالج من قبل الحركات الاسلامية، في

حين أننا لو عاجلناها بحكمة واتخذنا ازاءها طريقاً سليماً فاننا حينئذ سنستطيع أن نوظف الكثير من طاقاتنا في عملية البناء والتغيير.

البناء اقوى من الهدم

ترى ما هو علاج هذه الحالة، وما هو السبيل الى تحقيقه؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال لا بد أن نبين حقيقة؛ وهي أن السنن التي اودعها الله تعالى في هذا الكون، والتقدير والتدابير التي احيطت به، كل ذلك يجعل من البناء عملية أسهل واكثر إنماءً من الهدم، لان الباني الواحد يستطيع أن يواجه الف هادم، فالبناء اقوى من الهدم في تركيبة الكون، وفي فطرة الحياة.

عندما تعمل على إنضمام إنسان الى صفوف مجموعتك
المتعاونة في السعي البناء، فانه سوف لا يزيد
من عدد الاشخاص التابعين لك فحسب،
وانما سيضيف وجوده شيئاً آخر الى كيائك
وهو أن باستطاعته أن يأتي بآخرين

وهناك دليان على صحة هذه الظاهرة وهما:

١ - ان الطبيعة نفسها تشترك في عملية البناء، فالبناء هو الحق الذي ينمو، فعندما نبني فاننا نكون قد تحركنا مع مسيرة الحق، لأن الكون كله يبني

معك، فعندما تزرع فان الارض تتقبل البذرة، والرياح تلقحها، والامطار ترويتها، وكل ذلك يشترك في مسيرة البناء.

٢- إنَّ الطبيعة تتحدى الموت، فالذين درسوا علم الاحياء يدركون أنَّ الحياة قد قاومت الجراثيم واستمرت بالرغم من مئات الآلاف من الجراثيم التي اكتُشِفَتْ لحد الان، ومع ذلك فقد بقيت الحياة متناصلة متنامية، والسبب في ذلك أنَّ الحياة تتحدى الموت، فالانسان الواحد إذا بقي فانه يستطيع أن يخلف عشرات الاولاد، بينما عندما يموت الإنسان فانه يموت وحده أما نسله فيبقى.

ضرورة توجيه التنافس

وعندما تعمل على إنضمام إنسان الى صفوف مجموعتك المتعاونة في السعي البناء، فانه سوف لا يزيد من عدد الاشخاص التابعين لك فحسب، وانما سيضيف وجوده شيئاً آخر الى كيانك وهو أنَّ باستطاعته أن يأتي بآخرين. وعلى سبيل المثال؛ اذا كان بيننا وبين شعب آخر صراع لا تنافس، فما هو الموقف الذي نتخذه منهم؟

نستطيع بالطبع أن نحاربهم، ولكننا نستطيع العمل بطريقة أخرى وهي أن نتكاثر ضدهم، ومن خلال اختيارنا لهذا الطريق فاننا سنغلبهم بالتأكيد، في حين أننا إذا حاربناهم فمن الممكن أن نغلبهم أو يغلبونا.

وهكذا فاننا لو وجهنا التنافس بين الحركات الاسلامية هذا التوجيه،

فان كل حركة من هذه الحركات سوف تفكر في أن تقوي ذاتها عند تنافسها مع الحركات الاخرى، وتبني نفسها، وتزيد من عدد المنتمين اليها، ثم لا نلبث أن نرى أن جميع الحركات الاسلامية ستقطع أشواطاً طويلة من التقدم والقوة والرصانة، وبالتالي فاننا سنرى ان الهدف المشترك لكل الحركات الاسلامية قد تحقق عملياً.

أما إذا أرادت كل حركة أن تتوسع على حساب الحركة الاخرى، فماذا ستكون النتيجة؟ من الطبيعي في مثل هذا الجو أن تنشغل هذه الحركات بالتنازع والصراع، وبذلك يكون مصيرها الانقراض.

المجالات الصالحة للتنافس

إن العالم الاسلامي هو عالم واسع، وعدد اللا منتمين فيه يعتبر كبيراً جداً بالنسبة الى عدد المنتمين، وهذا يعني أن الحركات الاسلامية لو توجهت الى حالة التنافس الحر والبناء والعمل الايجابي، فان معنى ذلك أن عدداً هائلاً من المسلمين سينتمون الى هذه الحركات. هذا بالنسبة الى التزايد العددي، وهناك تزايد اخر هو التزايد الكيفي؛ فمجالات العمل الاسلامي واسعة وكبيرة بامكان الحركات الاسلامية أن تدخل فيها.

وعلى سبيل المثال؛ لماذا لا تفكر الحركات الاسلامية في ان تبني كُتُباً ومؤلفين؟ ولماذا بقيت حتى الآن تقف على نتاجات المؤلفين والمفكرين السابقين الذين كتبوا لجيلهم، في حين أن على كل جيل أن يتحمل مسؤوليته

في مجال الإنتاج الثقافي والفكري.

إنَّ هناك الآلاف من القضايا المطروحة التي لا تجد من يكتب عنها،
أفليس هذا مجالاً جيداً للتنافس، أو ليس من الأفضل أن ندخل هذا المجال،
وتوجه كل حركة جانباً من طاقاتها الى التنافس البناء في هذه المجالات بدلاً
من أن تبذر هذه الطاقات في الصراع ضد بعضها البعض؟

إنَّ من المستحيل أن يستطيع أحد إيقاف الانسان
الذي أراد وقرَّر أن يصل الى الهدف،
فديننا مبني على فلسفة الحرية،
والدنيا هي الاختبار والابتلاء،
ولا يتحقق الابتلاء إلا بالحرية

تحقيق شروط الانتصار

إنَّ الحياة مبنية على أسس متينة، ويجب علينا أن لا نتوهم اننا نستطيع
أن نحقق الانتصار فيها من دون أن نوفر في أنفسنا عوامل وشروط هذا
الانتصار، ومن هذه العوامل والشروط معرفة الحياة معرفة عميقة وشاملة
واتخاذ القرار المناسب بالنسبة اليها، ومثل هذا القرار بحاجة الى دراسات،
فلماذا لا تقوم هذه الحركة أو تلك باختراق هذا المجال، وعلى سبيل المثال فإنَّ
هناك مناطق واسعة في العالم تحتاج الى موجهين وكتّاباً وخطباء، فلماذا لا نوجه

طاقاتنا توجيهاً سليماً الى تلك البلدان؟

فلنوجه كل القدرات والطاقات من أجل البناء، ولتتنافس بها، فالحركة التي تستطيع أن تعطي الفكر الأفضل، والخط الاوضح، وتجرب نفسها في السيطرة على مواقع جيدة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وفكرياً، هي التي يجب أن تكون محط إعجاب كل الحركات، لكي يعرف أبناء هذه الحركات أن الصراع ليس بتكثيف التناقضات، وتكرار السلبات، وإشاعة الفواحش، وإنما بالعمل الصالح، فإذا جعلنا التنافس مقياس التقدم فإن الجميع سيتجه نحو العمل الصالح، وبالتالي فإن الأمة كلها ستتقدم، أما إذا جعلنا المقياس الاكثار من السلبات حول الحركات الاخرى فإن هذه الحالة مغلوطة وخطيرة تجب ازالتها.

حرية العمل سنة الله في الحياة

إن من سنن الله تعالى في الحياة أنه جعل الانسان حراً في هذه الدنيا، فليس من حق الانسان الآخر أن يوقف مسيرته، ونحن نقرر هذه الحقيقة على وجه الاطلاق ومن دون استثناء، ونحن عندما نريد أن نحقق أهدافنا، فليس من حق أي من الحركات الإسلامية المنافسة، أو الاعداء المتصارعين معنا، أو العقبات الاجتماعية أو الطبيعية أن تقف أمامنا، وهذه هي وظيفة الاختيار في الدنيا.

ولذلك فإننا نوصي جميع العاملين في الحركات الإسلامية أن لا يخضعوا

لهذه الحالة، ولا يقوموا بعمل قصاصي وانتقامي، ولا يعتدوا اذا ما قامت سائر الحركات أو بعض المندسين بوضع بعض العراقيين أمامهم، فيتحول التنافس بذلك الى صراع.

فلتتابع مسيرتنا، ولنعلم أنَّ من المستحيل أن يستطيع أحد إيقاف الانسان الذي أراد وقرَّر أن يصل الى الهدف، فديننا مبني على فلسفة الحرية، والدنيا هي الاختبار والابتلاء، ولا يتحقق الابتلاء إلا بالحرية، واذا ما أردنا أن نتقدم أبداً، ونحقق اهدافنا، ورأينا أنَّ الآخرين يضعون العقبات والعراقيل أمامنا فعلياً الالتزام بمفردات البرنامج التالي:

- ١ - ان نتعلم كيف نتجاوز العقبات التي ما هي إلا ابتلاءات وامتحانات.
- ٢ - مقاومة مَنْ يضع العراقيين وعدم الخضوع له، ومحاولة إبعاده عن طريقنا باعتباره حجر عثرة شريطة أن لا تتخذ مواقف أكثر سلبية من مواقفه، بل في حدود الحاجة، فرب مظلوم يصبح أكثر ظلماً من الظالم.
- ٣ - لنحاول أن نسجل إنتصاراً استراتيجياً كلما رأينا أحداً يضع العراقيين امامنا، ويحاول إيقاف مسيرتنا التصاعدية، فلنفكر أنَّ المنافس يريد أن يوقفنا، فكيف نستطيع أن نتحرك في طريقنا، ونستطيع أن نحرز مكاسب وانتصارات استراتيجية كبيرة تجعلنا أكثر قوة واقتداراً من أن يستطيع أحد أن يوقف مسيرتنا باتجاه تحقيق الاهداف؟

بين العنف واللاعنف

على الرغم من الاعلام الاستكباري المضلل فان الحقائق تتجلى وتشير الى أنَّ عالمنا يعيش في ظل الرعب، فلو علمت الشعوب ما تحتزنه ترسانات الاسلحة وما تسببه هذه الاسلحة من تدمير فيها لو استخدمت لماتت قلقاً وفزعاً. إنَّ التقديرات الاولى لقوة تدمير الاسلحة الموجودة حالياً تصرّح بأنَّ في استطاعتها قتل البشرية اكثر من خمس عشرة مرة، وانها لو استخدمت فانَّ حالة الارض سوف تتغير، فالموت سوف لا يشمل البشر فحسب، بل إنَّ سائر الاحياء ستقرض ايضاً.

استيقاظ الضمير الانساني

وفي ظل هذا الجو من الرعب والتوتر إستيقظ ضمير البعض، ولم يستطيعوا الاستمرار في هذه المسيرة الجاهلية المتعنتة، فبادروا الى طرح أفكار جديدة لاحتواء الصراعات الدولية. وبالطبع فان هذه الافكار جديدة بالاحترام رغم انها ناقصة، وعاجزة عن استيعاب المشكلة ككل.

فقد اكتشفوا ان استخدام الاسلحة النووية ذات الدمار الشامل يعني انه لا يمكن لأحد من الطرفين أن يربح الحرب، فمن الممكن لاية دولة تتعرض لهجوم نووي أن ترد هذا الهجوم بالمثل، وعلى سبيل المثال فان روسيا لو تعرّضت - مثلاً - لهجوم نووي كاسح من قبل الولايات المتحدة الامريكية فان بإمكانها أن ترد هذا الهجوم بهجوم نووي مقابل، وهذا يعني أن كلاً البلدين، وكلا الشعبين، وربما العالم معهما سيُدمّر جراء هذه الحرب النووية.

فما فائدة حربٍ المنتصر فيها خاسر، والمهاجم منهزم؟ وبالإضافة الى ذلك هناك الميزانيات الهائلة التي لم تؤثر على العالم الثالث فحسب، وانما اثرت أيضاً على عالمهم، فإنّ ميزانيات التسليح الباهظة التي تمتص ثروات الشعوب ليس في روسيا واميركا فحسب وانما في سائر بلدان العالم، تشبه بالوعة ضخمة تبتلع كل الامكانيات التي ينبغي أن تُستخدم في مجالات البناء.

وهذا يعني أن البشرية تعمل ولكن لمصلحة من؟ هل من أجل أن تكون هذه البشرية مرفهة؟ كلا بالطبع، بل لمصلحة الاسلحة المتكدسة في الترسانات التي لو استخدمت فانها ستسبب مأساة عالمية، وان لم تُستخدم كانت عبثاً ولهواً واهداراً للثروات.

وهكذا فقد تراجعت القوى الكبرى في السنين الاخيرة وطرحت فكرة الوفاق، فبعد أن جرّب الاوروبيون في الحرين العالميتين الحروب والصراعات عادوا الان الى بعض رشدهم، وفكروا في أن يلغوا الحدود بينهم، ويوحدوا صفوفهم، فقد ادركوا انهم لو توحدوا فان ما يخسرونه سيكون اقل بكثير

مما يربحونه، وهذا يعني أنَّ العالم بدأ يستيقظ على ما تنطوي عليه الاسلحة المدمرة من مخاطر.

لماذا نحن متخلفون عن مقتضيات العصر؟

هذا بالنسبة الى ما يجري الان في اوروبا، اما فيما يتعلق بما يجري في اوساطنا نحن المسلمين فهناك عدة حقائق تجعلنا متخلفين عن مقتضيات العصر الذي نعيشه، منها:

١ - على الرغم من أنَّ بلداننا تمتلك رؤية حضارية واحدة منشؤها الرسالة الإسلامية، وبصائر الوحي القرآني إلا انها تعيش حالة التمزق والتشرذم والاختلاف بل والحروب الطاحنة.

يُزعم البعض إنَّ الدِّين يدعو الى العنف والتطرف، بل انهم يدَّعون أنَّ التدين يعني أنَّ يتحول الانسان الى رجل عبوس، ويدخل في صراع مع كل المجتمع، في حين أنَّ اخلاق القرآن، واخلاق الرسول، وآداب كل الرسالات الالهية تدعو الانسان الى الحب والايثار والتضحية من أجل الآخرين واحترامهم

إنَّ القوى الإستكبارية في العالم تعيش التناقض، وتمتلك رؤى متناقضة، وآراء متفاوته، ومصالح متضاربة، ولكنهم على الرغم من ذلك اكتشفوا بعد فترة من الصراع الطاحن ان الطريق الذي يسلكونه مغلوط، فاخذوا يفكرون

في الوفاق. أما نحن فعلى الرغم من أننا نتبع قرآناً واحداً، ورسولاً نؤمن به جميعاً ونكنّ له كل الاحترام، وتجمعنا ثقافة واحدة، ومصالح مشتركة إلا أننا نعيش التمزق والاختلاف. افلا يدل ذلك على أننا نعيش خارج اطار العصر، بل إننا نعيش أساساً بعيدين عما يجري في هذا العالم، فالعالم يتجه نحو الوفاق ونحن نتجه نحو المزيد من الصراع والتناحر.

٢- يزعم البعض إن الدين يدعو الى العنف والتطرف، والصراع الداخلي، بل انهم يدّعون أن التدين يعني أن يتحول الانسان الى رجل عبوس، يخالف كل انسان، ويدخل في صراع مع كل المجتمع، في حين أن اخلاق القرآن، و اخلاق الرسول ﷺ، وآداب كل الرسالات الالهية تدعو الانسان الى الحب والايثار والتضحية من أجل الآخرين واحترامهم، وفي هذا المجال يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١). ونحن نعلم أن الذي مكّن النبي ﷺ من اجتذاب المزيد من الناس هو خلقه الكريم، وأفقه الرحب، و صدره الواسع، وذلك الحب العظيم الذي كان ﷺ يكنّه للآخرين.

ان كل ذلك هو الذي جعل الاسلام ينتشر، وسيبقى هذا الاسم وهذا النبراس والمشعل هو الذي يجتذب افواج الناس الى الدين حتى يوم القيامة، إن هذا الخلق الرفيع هو الذي جذب الناس نحو الاسلام. صحيح أن الإنسان قد يحتاج الى ممارسة العنف أحياناً في الحياة، ولكن في وقته المناسب، فكل من العنف والمرونة مفيدان في وقتها، ومضران إذا ما استُخدما في ظروف غير مناسبة.

العنف والمرونة كمقياس لحكمة الانسان

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل هذين الاسلوبين سبباً لتجربة حكمة الانسان، وتقييم قيادته بحيث يعرف متى يقدم غصن الزيتون، ومتى يشهر السلاح. وللأسف فإنَّ هناك من الناس من يزعم أنَّ على الانسان أن يرفع دائماً الراية البيضاء، وراية الاستسلام والتراجع والهزيمة، وعلى النقيض من ذلك فإنَّ هناك من يرى أنَّ على الانسان المؤمن أن يُشهر سلاحه دائماً في وجه الآخرين، في حين أنَّ كلتا هاتين النظرتين مغلوطان.

وحسب فهمي للآيات القرآنية فإنَّ استخدام العنف يكون في ثلاثة مواضع:

ألف: العنف في مقابل العنف؛ أي رد الحجر من حيث يأتي، فالذي لا يفهم إلا لغة القوة فإنَّ مخاطبته تكون بمثل لغته. يقول تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١)، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

باء: استخدام العنف في محاربة أهواء أنفسنا، فأشجع الناس من غلب هواه، وقضى على حالة الضعف ووهن العزيمة فيها، وفي الآيات القرآنية عن النبي نوح عليه السلام نقرأ قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾^(٣)، أي أنَّ

١- سورة البقرة، آية ١٩٤.

٢- سورة البقرة، آية ١٧٩.

٣- سورة القمر، آية ١٠.

هناك راية للظلم ونداء للمظلومية، وفي بعض الاحيان يكون بإمكان الدم المراق ظلماً الانتصار على السيف الظالم، كما حدث بالنسبة الى الامام الحسين عليه السلام عندما تحول دمه المراق في كربلاء الى راية للمجاهدين عبر التاريخ.

وعلى هذا فان على الانسان أن يخالف هواه، فالقضية ليست قضيتي بل هي قضية الاسلام، فاستخدام العنف مع الذات، ومصارعة الهوى، ومخالفة الغضب والشهوة كل ذلك ينبغي أن يكون مقياسنا فيه إلهياً.

علينا عدم استخدام العنف ضد من يخالفنا
في آرائه ووجهات نظره، ولا نعتبره ضدنا لمجرد
أنه لا يتفق معنا في كل آرائنا، فأنا إنسان وهو إنسان،
وأنا أمتلك العقل وهو أيضاً يمتلك العقل،
فلماذا أعتقد إنني على حق وانه على باطل؟

لنحذر الحاقدين والمعقدين

وللاسف فان هناك اناساً يلتحقون ببعض الاتجاهات الاسلامية لاجل حالة حقد، ومرض نفسي يعيشونه، فهم يحقدون على المجتمع وعلى الناس، ومن أجل ذلك ينضمون الى صفوف الاسلاميين من أجل ان يشفوا أحقادهم، ويصبوا جام غضبهم على الآخرين. وعلى الحركات الاسلامية أن تتنبه الى مثل هؤلاء المتطرفين.

وفي سورة الممتحنة نقرأ هذه الآية الكريمة: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
لَا تُسْتَغْفَرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، وقد احتار اغلب
المفسرين في تفسير هذه الآية؛ فلماذا استغفر ابراهيم لأبيه، وكيف يكون عليه السلام
اسوة لنا وقد استغفر لأبيه أزر؟

الجواب: لان ابراهيم لم يكن في حالة صراع مع ابيه، ولذلك فقد دعا
له أن يهديه الله تعالى، فهذا الدعاء كان استغفاراً له، كما أن نبينا الاعظم صلى الله عليه وسلم
كان يدعو لقومه بالهداية قائلاً: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢)؛ اي
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتخذ موقفاً حاقداً أزاء كفار قومه بل كان يدعو لهم بالهداية.
فان كان هناك كفار فإن من مسؤوليتنا هدايتهم لا أن نحقد عليهم
ونكنّ لهم العداوة والبغضاء، وهذا هو خلق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث
نراه يدعو بالهداية لقومه بينما كان الدم ينزف منه بسبب قومه المعاندين، وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم ضُرب بحرية في خده يوم حنين فسقط إلى الأرض، ثم قام وقد
انكسرت رباعيته والدم يسيل على حروجه، فمسح وجهه ثم قال: «اللَّهُمَّ
اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

إنّ هذا القلب الكبير يدعو لاعدائه بالهداية، ويتمنى لو أنهم عادوا عن
غيهم واهتدوا الى طريق الجنة، فرسالة الانبياء والاوصياء والمؤمنين الصادقين
تتمثل في محاولة هداية الناس لا أن يدخلوا معهم في حروب ومعارك طاحنة.

١- سورة الممتحنة، آية ٤.

٢- بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١١٩.

٣- بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ١٧٧.

وهكذا فإنَّ عنفنا موجَّه ضد هوى النفس، وضد الغضب والشهوة، ولمواجهة التيارات الحادة التي تنطلق من غير مقاييس شرعية، ضد اولئك المتعطشين للدماء.

جيم: العنف ضد الطبيعة القاسية؛ فالذي يقتلع الجبال، ويشق الطرق، ويحرث الارض ويستصلحها، ويلين الحديد، انما هو في الحقيقة يستخدم العنف ولكن ضد قساوة الطبيعة، ونحن مكلفون من الناحية الشرعية أن نستغل ونستثمر ما في الارض لانها سُخِّرَتْ لنا؛ ونحن يجب أن نوجَّه عنفنا الى هذه الطبيعة فنغيِّرَها ونبدِّلَها لتكون في خدمة الإنسان.

ونحن عندما نريد أن نكون عنيفين فلنوجَّه عنفنا هذا الى الجبال التي تقف في وجهنا ولا تسمح لنا أن نشق الطرق فنزيلها، أو الى الاراضي الصخرية التي لا تصلح للزراعة فنستصلحها، والى الجهل والفقر فنقضي عليهما.

لقد كان علماؤنا (رض) يتعبون أنفسهم من أجل قهر المشاكل العلمية، وفي بعض الاحيان كان أحدهم يجهد نفسه لشهر بأكمله من أجل أن يحل مشكلة من هذه المشاكل.

إننا لا نستطيع أن نقهر الاستكبار ونهزمه بما يمتلك من أسلحة جبارة إلا إذا عرفنا كيف نتقدم علمياً، ولننظر الى القرآن الكريم الذي يكنُّ أعظم الاحترام للعلماء المتدينين السائرين على الطريق القويم، وهكذا الحال بالنسبة الى الاحاديث النبوية، وروايات أهل البيت عليهم السلام، ذلك لان الله تعالى لا يريد للامة الاسلامية أن تكون أمة جاهلة متخلفة تشتري كل شيء من غيرها ولا

تتمكن حتى من صناعة الابرّة.

ونحن إذا كونا مثل هذا المجتمع الايماني الطاهر المتقدم في جميع المجالات، فإنّ العالم سيتوجه بشكل طبيعي الى الاسلام، وسوف لا تكون هناك حاجة الى دعوته الى الاسلام.

مواضع المرونة واللين

أما مواضع عدم استخدام العنف فهي ثلاثة هي الاخرى:

ألف: علينا عدم إستخدام العنف ضد من يخالفنا في آرائه ووجهات نظره، ولا نعتبره ضدنا لمجرّد أنّه لا يتفق معنا في كل آرائنا.

إنّ مثل هذه السلوكية غير صحيحة، فأنا إنسان وهو إنسان، وأنا أمتلك العقل وهو أيضاً يملك العقل، فلماذا أعتقد إنني على حق وانه على باطل؟ فان كان لدينا مقياس فعلياً أن تأتي بالحجة لا أن نكفر بعضنا بعضاً.

إنّ مثل هذا النوع من العنف مرفوض، فهو الذي سبّب ويسبّب الصراعات الداخلية في المجتمع، وهو الذي أحدث الثغرات الواسعة في جدار الامة فتسلل العدو الى بلادنا من خلالها.

باء: العنف الآخر المرفوض هو الموجه ضد من لا يحمل في وجهنا السلاح، وييدي استعداداه للتحاور والتعاون معنا بأي شكل من الاشكال، وفي هذا المجال يحدثنا القرآن الكريم عن الكفار الذين لم يؤذوا المؤمنين قائلًا:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾^(١)، فالاسلام يدعو الى السلام والامن، فاذا كانت هناك دولة كافرة لم تشن حرباً علينا، ولم تمارس أيّ اعتداء ضدنا، فإن الله تعالى لا يرى بأساً من التعاون معها، بل والبرّ بها ومعاملتها بالعدل.

ثم يستأنف تعالى قائلاً: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)، فالذي يقاتلنا علينا أن نتبرأ منه، لأنّ الولاية بيننا وبينه مقطوعة.

جيم: النوع الثالث المرفوض من العنف هو العنف الفكري، وذلك بأن نتشبت بفكرة معينة مدعين أنّ هذه الفكرة هي الصحيحة وما عداها باطل، وهذا النوع من العنف الفكري مرفوض أيضاً، لأنّه - كما قال الإمام علي عليه السلام -: «مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ اسْتَغْنَىٰ بِعَقْلِهِ زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ»^(٣) وقال أيضاً: «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»^(٤).

وعلى هذا فان الذي يعتقد أنه يفهم أكثر من غيره، فانه في الحقيقة لا يفهم شيئاً، لأنّ الله عزّ وجل أودع في ذهن كل انسان مجموعة من الافكار،

١ - سورة الممتحنة، آية ٨.

٢ - سورة الممتحنة، آية ٩.

٣ - الكافي، ج ٨، ص ١٩.

٤ - نهج البلاغة [صباحي الصالح]، قصار الحكم، رقم ١٦١.

ومن خلال اجتماعنا وتفاعلنا وتشاورنا وتحاورنا مع بعض نستطيع أن نفهم الحقائق، فحقائق العالم لا يمكن أن تُدرك بشكل أحادي، ومن بُعد واحد، فنحن الآن نعيش في زمن نحتاج فيه إلى أن نحدّد مع من نتفاهم، وضد من نعمل، وكيف يجب أن نكون؟

إن الذي يعتقد أنه يفهم أكثر من غيره،
فانه في الحقيقة لا يفهم شيئاً، لأنّ الله عزّ وجل
أودع في ذهن كل انسان مجموعة من الافكار،
ومن خلال اجتماعنا وتفاعلنا وتشاورنا وتحاورنا مع بعض
نستطيع أن نفهم الحقائق

وفي الحقيقة فاننا نعيش في مرحلة جديدة نحتاج فيها إلى أن نكتشف العصر الذي نعيش فيه، ونكتشف روح هذا العصر، وكيف ينبغي أن نعمل فيه، وهل يجب أن نفكر ونخطط بطريقة واحدة، ومنهجية واحدة، ووسيلة واحدة أم لا؟

من المؤكد إنّ علينا أن نغيّر منهجيتنا وطرقنا وأساليبنا، وأنّ تنشّد عيوننا دائماً نحو الهدف ولا تنازل عنه، رغم أنّ بإمكاننا أن نغيّر الطرق والأساليب المؤدية إليه.

الفصل الثالث

مهمة الحركة الاسلامية

- ١- منطلق التغيير في الحركة الاسلامية
- ٢- اصلاح الذات منطلق العمل الرسالي
- ٣- مسؤوليتنا الذاتية في التغيير
- ٤- الانسان الرسالي وفن العلاقات العامة
- ٥- الأمة بين القيادة الرسالية والقيادة الجاهلية
- ٦- الشروط الذاتية والموضوعية للقائد الاسلامي
- ٧- الحركة الاسلامية والجماهير
- ٨- مسؤولية الجماهير تجاه الطليعة

منطلق التغيير في الحركة الاسلامية

تطبيق الاسلام هو السبيل الوحيد الى انقاذ المحرومين والمستضعفين، وعندما يطبَّق قسم من الناس الاسلام على أنفسهم ويتحولون الى شخصيات مؤمنة بالاسلام، ومستوعبة للرسالة حقاً، وينخرطون في تجمع ايماني صادق، ويتحركون انطلاقاً من الاسلام ومن أجل الله تعالى وللاهداف التي رسمها وبيَّنها كتابه الكريم، ففي كل ذلك ضمانه اكيده لانتشار الاسلام في الارض، وتطبيق قواعده.

سبب تخلفنا

ونحن اذا وجدنا حالة التخلف والتقهقر والبؤس والحرمان جاثمة في بلادنا، فان ذلك سببه ما كسبت أيدينا حسبما يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١) فالفساد نتيجة ابتعادنا عن الاسلام،

١- سورة الروم، آية ٤١.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْلُبُ مِنَّا تِلْكَ النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ إِلَّا وَهِيَ نِعْمَةُ الْكَرَامَةِ، وَالْأَمْنِ، وَالرِّفَاهِ.

وبالطبع فإنَّ استمرار هذه الحالة يعني استمرار الحالة التي نتجت منها؛ حالة الحرمان والبؤس والتخلف والقهر، وبالتالي سيطرة المستعمر علينا.

والحل الوحيد لتغيير هذا الواقع هو أن نسلِّك الاتجاه المعاكس، هو تغيير ما فسد من أنفسنا، وربما تكون هذه الفكرة واضحة عند أكثر الواعين والمهتمين بالحركة الاسلامية، ولكن الكثير منا يزعمون أنَّ على الآخرين أن يبدؤوا بأنفسهم فيغيروها أما نحن فقد عمرنا في الاسلام، وانتهى هذا الدور بالنسبة اليها، فقد أصبحنا أذكاء طاهرين لا نحتاج الى اي تغيير، وهنا تكمن الخطورة الحقيقية في فهم الاسلام.

إنَّ الاسلام ليس أداة لتبرير ما هو كائن، بل هو أداة لتحمل المسؤولية، وهو ليس وسيلة للخمول، بل هو عامل مثير للنشاط، فلا بد أن نحمل رايته، ونحن الذين ينبغي أن نحمل هذه الراية، وبالتالي فليس من الصحيح أن نتقاعس في العمل من أجل الاسلام من خلال الاعتماد على الآخرين، وأن نعتبر أنفسنا معصومين من الخطأ.

والآن نطرح هذا التساؤل على أنفسنا: هل نحن الآن في مستوى حمل شرف الدعوة؟ وهل غيّرنا أنفسنا في اتجاه التزكية لكي يغير الله سبحانه وتعالى ما في حياتنا إلى الافضل؟

إنَّ التبرير عملية سهلة، فليس هناك أحدٌ يقول أنا لست انساناً طيباً، فكل الناس يدعون الطيبة والصدق، ولكن مَنْ هو الصادق الحقيقي فيهم؟
إنَّ الصادق هو الذي يَكَيّف نفسه مع القيم والمعايير السليمة.

ان لم تكن التعاليم الالهية هي السائدة
في التجمعات الاسلامية في علاقاتها مع بعض،
وفي علاقاتها الذاتية، وفي طريقة اختيارها للمناهج
والافعال، فان هذه التجمعات سوف لا يكون انتصارها
مطابقاً لمفهوم الانتصار في الاسلام

القرآن هو المقياس الأول

وبالنسبة إلينا - نحن المسلمين - فإنَّ بين أيدينا هذا القرآن: «فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُّشَفَّعٌ، وَمَا حِلُّ مُّصَدِّقٍ، وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ» كما جاء في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم ﷺ^(١)، وفي هذا المجال يروى أنَّ الامام الباقر عليه السلام قال لجابر - في كلام طويل -: «اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كُنْتَ سَالِكاً سَبِيلَهُ، زَاهِداً فِي تَرْهِيْدِهِ، رَاغِباً فِي تَرْغِيْبِهِ، خَائِفاً مِنْ تَخْوِيفِهِ، فَابْتُتْ وَأَبْشُرْ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُبَايِناً لِلْقُرْآنِ فَمَا ذَا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ؟ إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَعْنِيٌّ

بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ لِيَغْلِبَهَا عَلَى هَوَاهَا»^(١).

وهكذا فإن القرآن هو الحكم الفاصل بيننا وبين أهوائنا، فلا بد أن نعود الى هذا القرآن فنقرؤه جيداً، ونتمعن في آياته، ثم نعرض أنفسنا على آياته الكريمة؛ وهذا الأمر يصح أيضاً في مجال النطاق الاجتماعي، والتجمعات المختلفة، فالتجمع ليس إلا شخصية مستوحاة ومنبثقة من مجموعة الأفراد الذين يكونونهم، فهو ليس صنماً أو صورة بعيدة عن الواقع، بل هو نتيجة وخلاصة لسلوكيات الأفراد، فكل فرد ينتمي الى أيّ تجمع فانه لا بد أن يتأثر به، ويعكس واقعه بنسبة معينة عليه.

الانتصار الحقيقي

وعلى هذا فاننا لا نستطيع أن نبرّر تخلينا عن المسؤولية، فنلقي بها على التجمع الذي ننتمي اليه أو نواله، وكذلك فإن القوانين السائدة في التجمعات، والعلاقات التي تربط بين أبناء التجمع الواحد، أو تربط بين هذا التجمع وسائر التجمعات الأخرى، إن لم تكن مستوحاة من الاسلام والقرآن، فإن نجاح التجمع يكون مشكوكاً فيه، وحتى لو نجح هذا التجمع فإن نجاحه قد لا يكون في خط الإسلام، فليس كل إنتصار إنتصاراً حقيقياً، فهناك بعض الإنتصارات هو أسوء من الهزيمة، ذلك لأنّ الإنسان إذا انتصر في الواقع المادي بعد أن يكون قد انهزم في الواقع القيمي والمعنوي، وكانت هزيمته في الجانب المعنوي ثمناً دفعه لانتصاره في الجانب المادي، فإن هذا

١ - تحف العقول، ص ٢٨٤.

الانتصار يعد هزيمة نكراء بالنسبة اليه.

وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «أَشْجَعُ النَّاسِ مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ»^(١)، فليس الشجاع من ينتصر على خصمه في المعركة بقدر ما هو الذي ينتصر على نفسه وهواه، وبالتالي على عدوه الا خطر الذي يحمله بين جنبيه، والذي يدفعه الى أن يتحوّل من انسان خلقه الله في احسن تقويم الى انسان يُرَدُّ الى اسفل سافلين، فان لم تكن التعاليم الالهية هي السائدة في التجمعات الاسلامية في علاقاتها مع بعض، وفي علاقاتها الذاتية، وفي طريقة اختيارها للمناهج والافعال، فان هذه التجمعات سوف لا يكون انتصارها مطابقاً لمفهوم الانتصار في الاسلام.

وقد تسأل: ما هي بصيرة القرآن في مجال التجمعات الاسلامية؟

قبل أن نستوحي الجواب من الايات القرآنية، لا بد أن اقدم هذه الملاحظة، وهي أن التجمع الذي يريد أن يطبق الإسلام غداً لا بد أن يشكل اليوم الأمة الإسلامية المصغرة، ليكون بذلك النموذج لتلك الاطروحة التي يستهدف تطبيقها، لأنّ فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه.

وعندما نريد أن نبني أمة اسلامية، فكيف ينبغي أن تكون هذه الامة، وكيف يجب أن تكون علاقة أبنائها ببعضهم؟

إنّ البرامج واضحة في هذا المجال، ونحن نملك رصيдаً من التجربة التاريخية، ودستوراً مكتوباً ومبيناً وهو القرآن الكريم، ولكن أليس من

الواجب أولاً أن نطبق هذه التعاليم والبرامج التي نريد أن ننشرها في العالم على انفسنا اولاً؟ فما دمنا نستطيع أن نطبق تعاليم الاسلام فلماذا الانتظار، ولماذا التفاعس والتباطؤ؟ فإذا كنّا متلهفين إلى الإسلام فلماذا لا ننهل من عذب تعاليمه وتوجيهاته بالقدر الذي نستطيع؟

ان لم تكن حالة الشورى سائدة على علاقاتنا
فلنعمل على خلقها من جديد،
فيد الله مع الجماعة،
وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه،
وأعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله

وانني أعزو جانباً من عدم انتصار الحركات الاسلامية الى أنها لم تستوعب الاسلام في سلوكياتها بالقدر الكافي، وذلك بسبب الانقطاع الذي حصل بيننا وبين القرآن الكريم الذي هو محور تحركنا، والذي لا بد أن نجعله شعارنا من خلال تلاوته ككتاب حي، وتطبيق آياته في كل جوانب سلوكنا، ونحن لو اتخذنا القرآن قائداً لنا، وجعلناه السراج الذي نستضيء بنوره، ونستثير عقولنا بمواعظه، ونزكي أنفسنا بتعاليمه، لاستطعنا أن نصل الى الهدف المنشود، ومثل هذه المسؤولية ليست واجبة على القيادة فقط، بل على كل واحد منا، فلقد جاء القرآن كتاباً للناس جميعاً، والحديث الشريف يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

١ - تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٩، ص ٤٦٦.

شروط النصر في القرآن الكريم

والقرآن الكريم يبين لنا شروط الانتصار في الآيات المباركة التالية من سورة الشورى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

فالسباق القرآني يوحى إلينا في آية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ أن هذه هي شروط النصر، فإذا أردنا أن نحقق الانتصار فعلينا أن نطبق ونوفر شروطه بدقة، وهذه هي الشروط كما تبينها الآيات القرآنية السابقة:

١ - الاستجابة لنداء الحق: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾، ونحن نتمنى أن نكون منهم، فالله تعالى قد دعانا إلى دار ضيافته وهي الجنة، والداعي إلى هذه الدار هم الرسل ﷺ، فعلينا أن نستجيب.

٢ - إقامة الصلاة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، فهناك فرق بين إقامة الصلاة ومجرد الصلاة، فإقامتها تعني أداءها بشروطها، وفي آية أخرى من سورة

١ - سورة الشورى، الآيات ٣٨ - ٤٣.

(الروم) يحدد تعالى معنى إقامة الصلاة في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١).

فمن شروط إقامة الصلاة تحقيق الوحدة، والصلاة هي البوتقة التي تصهر المجتمع، وتحقق الانسجام فيه، فتصوغ شخصية الإنسان الداخلية، وشخصيته الاجتماعية.

وإذا ما دققنا مرة أخرى في الآية الكريمة السابقة إكتشفنا أن إقامتنا للصلاة ستعطينا ضماناً للوحدة التي تبعدنا عن الشرك الذي يتجلى في الاختلاف في الدين، فالصلاة هي معراج المؤمن وهي التي ترفعه من الماديات الضيقة، والخلافات الجانبية، والأهواء والشهوات والرذائل، وترفعه إلى مقام العبودية لله حيث لا نجد في هذا المقام أي أثر للخلاف والشقاق.

٣- الشورى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، فلو كانت العلاقة داخل التجمعات الإسلامية علاقة الشورى، لزال الاختلافات والنزاعات، والشورى تعني أن تبحث أنت عن آراء الآخرين، ولا تنتظر أن يأتوا لك بها، فالإسلام يقرر أن من واجب كل إنسان أن يبدي رأيه إذا رأى أنه هو الصحيح، لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، كما انه يؤكد أن من واجب الإنسان المسلم أيضاً أن يرى ما عند الآخرين من آراء فيأخذ بما كان صحيحاً منها، كما يشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ ﴿١﴾.

فان لم تكن حالة الشورى سائدة على علاقاتنا فلنعمل على خلقها من جديد، فيد الله مع الجماعة، وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه، وأعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله.

٤- الإنفاق: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، إِنَّ التَّجْمَعَ الْإِيمَانِي يَفِضُ بِالْعَطَاءِ، لَأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ لَا يَعِيشُ ذَاتَهُ وَأَهْوَاءَهُ، فَالْكُلُّ يَسْعَى لِكَيْ يُعْطِيَ مَا يَمْلِكُهُ لِلْآخَرِينَ.

ثم يقول تعالى بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

فالمؤمنون هم الذين يكونون هذا التجمع الذي تسوده الإستجابة لله، وإقامة الصلاة، والشورى، والإنفاق، وهذا التجمع سيصبح كالبنيان المرصوص الذي يقاوم كل معتد وكل باغ، ولا يقر له قرار حتى يحقق النصر النهائي بإذن الله وعونه.

اصلاح الذات منطلق العمل الرسالي

عندما نتدبر في آيات الذكر الحكيم نجد أنَّ هناك نظرة شاملة تجاه صراع الإنسان مع أعدائه؛ فبينما نلاحظ بعض الآيات القرآنية تحدثنا عن صراع ساخن بين المؤمنين والكفار، في نفس الوقت نلاحظ أنَّ القرآن الكريم يشير الى صراع آخر أهم وأعظم؛ ألا وهو صراع الانسان مع نفسه، ومع سلبياته الذاتية.

ترى لماذا هذه النظرة الشمولية في القرآن، وماذا ننتفع منها نحن الذين نتلو آياته الكريمة؟

للجواب على هذا التساؤل نقول: إنَّ النظرة الشمولية هذه إنما تأتي لكي لا يبقى للانسان مجال لتبرير تقاعسه عن مسؤولياته وواجباته والفرائض المفروضة عليه بانشغاله بالصراع الخارجي. فلا يمكنك أن تدَّعي أنك إنسان مجاهد ورسالي ومستضعف ومهاجر، وتجعل من هذه الادعاءات ستاراً بينك

وبين مسؤولياتك، فأنت مسؤول امام الله تعالى، وعليك واجبات، فجهادك أو هجرتك لا يخوّلانك أن تبرر تقاعسك عن واجباتك، بل على العكس من ذلك فإن أردت أن تحافظ على اجرِكَ عند الله بصفتك مجاهداً أو مهاجراً فإن السبيل الوحيد الى ذلك هو أن تقوم بواجباتك أحسن قيام.

إحذروا خدع الشيطان

وبالطبع فإنّ للشيطان أساليب عديدة في خداع الانسان وإبعاده عن الصراط المستقيم، ومن جملة هذه الأساليب الشيطانية أن يضخّم في رؤية الانسان بعض أعماله الصالحة ليدفعه الى التقصير في سائر الاعمال.

وفي هذا المجال يجب أن نعلم أنّ الشيطان قد صنع لكل واحد منا مصيدة خاصة، وهذه ملاحظة مهمة يجب أن نلتفت اليها، فهناك البعض من الناس يدخلون النار من باب العلم، في حين ان العلم وسيلة لدخول الجنة، ولكن الشيطان قادر على أن يُدخل الانسان العالم النار بعلمه إذا كان هذا العلم غير خالص لوجه الله تعالى، بل كان وسيلة للفساد والضلال، وهكذا الحال بالنسبة الى الصلاة، والصيام وسائر العبادات؛ فالصلاة التي يشوبها الرياء، والصوم الذي يمنعك عن الواجبات، هما من أسباب دخول النار.

اصلاح الذات اولاً

والقرآن الكريم يقول في هذا المجال: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ *

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ أَيَّ إِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ
تَعَالَى أَنْ يَهْلِكَ أَعْدَاءُ الدِّينِ وَالْفَاسِقِينَ وَالْفَجَّارِ وَالطُّغَاةَ الظَّالِمِينَ، وَلَكِنْ عَلَى
الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ الدَّعَاءُ عَلَيْهِ؛ أَيَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ نَفْسَهُ ضَمَّنَ إِطَارِ
الدَّعَاءِ، فَعَلِيَ أَنْ لَا أَقُولَ: (اللَّهُمَّ أَهْلِكَ الْفَاسِقِينَ) وَأَكُونَ أَنَا نَفْسِي فَاسِقًا، أَوْ
أَنْ أَقُولَ: (اللَّهُمَّ أَهْلِكَ الظَّالِمِينَ) فِي حِينِ أَنِّي ظَالِمٌ، فَقَدْ يَظْلِمُ الْإِنْسَانُ وَيَطْغَى
ضَمَّنَ حُدُودِ سُلْطَتِهِ، كَسُلْطَتِهِ فِي بَيْتِهِ، أَوْ فِي عَمَلِهِ، أَوْ فِي أَيِّ مَقَامٍ آخَرَ، فَمِثْلُ
هَذِهِ السُّلْطَةِ إِذَا اسْتَغْلَاهَا الْإِنْسَانُ لِأَنَانِيَّتِهِ وَتَكْبَرِهِ وَتَعَالِيهِ عَلَى الْآخَرِينَ، فَانْه
سَيَصْبِحُ طَاغِيًا، فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ فَرَعُونًا فِي بَيْتِهِ، أَوْ فِي مَحَلِّ عَمَلِهِ.

القرآن الكريم يقرر بصراحة انك اذا كنت صادقاً
في محاربتك لعدوك فلا بد أن تكون
صادقاً بنفس النسبة في اقترباك من صديقك،
فلا يمكن للإنسان أن يكون عدواً للجميع؛
فمن يعادي عدوه بصدق، لا بد ان يصادق صديقه بصدق

إِنَّ أَدْعِيَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بَلْ وَجَمِيعِ الْأَدْعِيَةِ، إِنَّمَا هِيَ بِرَامَجٍ عَمَلِيَّةٍ،
فَعِنْدَمَا تَدْعُو رَبَّكَ قَائِلًا: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فَإِنَّ عَلَيْكَ
أَنْ تَسْعَى مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا تَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

وَفِي هَذَا الْمَجَالِ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُزَيِّكَ مَا نَعِدُهُمْ

لَقَادِرُونَ﴿^(١)؛ اي إِنَّ الله عز وجل قادر على أن يري رسوله ما يعد الكفار، ولكن القرآن الكريم يبين بعدئذ برنامجاً خاصاً لرسوله ﷺ فالله تعالى من جانبه يفعل ذلك بمقتضى من حكمته البالغة، ولكن الرسول ﷺ يجب عليه من جانبه أيضاً أن يقوم بما عليه من مسؤوليات، كما يشير إلى ذلك قوله عز وجل: ﴿ادْفَع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(٢).

وهكذا فان النبي ﷺ يجب ان يكون بدوره قدوة في الصلاح، وإماماً في الاعمال الصالحة، واسوة في التقوى، فعليه أن لا يكتفي بان يكون على الخط الصحيح ثم يترك الاعمال الصالحة.

وقد يفسر قوله تعالى: ﴿ادْفَع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، بالعلاقة بين المؤمنين، والقرآن الكريم يحدد هذه العلاقة على أساس أن تكون علاقة ايمانية، ففي نفس الوقت الذي تدعو فيه على الكافرين فان عليك أن تحسن علاقتك مع اخوانك، لا أن تدعو على الكافرين من جهة، ومن جهة أخرى تكون علاقتك مع اخوانك فاسدة. فالقرآن الكريم يقرر بصراحة انك اذا كنت صادقاً في محاربتك لعدوك فلا بد أن تكون صادقاً بنفس النسبة في اقترابك من صديقك، فلا يمكن للانسان أن يكون عدواً للجميع؛ فمن يعادي عدوه بصدق، لا بد ان يصادق صديقه بصدق، ومن يعادي عدوه كذباً وخداعاً ودجلاً فهو إنما يعادي صديقه في الحقيقة.

١ - سورة المؤمنون، آية ٩٥.

٢ - سورة المؤمنون، آية ٩٦.

وعلى هذا فإنَّ علينا نحن بدورنا أن نبتعد عن الشيطان الذي يمتلك الكثير من أساليب المكر والكيد، ونحن إنما نستطيع مقاومة هذه الأساليب من خلال التوكل على الله سبحانه وتعالى الذي يأمرنا أن نستعِذ من الشيطان بأن نقول: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(١).

السعي دواء التخلف

وبناء على ذلك فإن القضية المهمة ليست هي قضية الدعاء على الكفار ولعنهم، بل يجب علينا أولاً أن نخرج أنفسنا من هذا الإطار، وهذا لا يتحقق إلا بالسعي؛ فعندما ترى بلادك متخلفة فعليك أن تعرف أن عامل التخلف موجود فيك، وأنَّ عليك أن تقاومه، فالتخلف يعني الكسل، وعدم استغلال الوقت، وعدم الاهتمام بالآخرين، والتسيُّب وعدم الانضباط في العمل، وعشرات الصفات السلبية الأخرى التي نعاني منها سواء اعترفنا بها أم لم نعترف.

وإذا ما استطعنا أن نقضي على التخلف في أنفسنا وأحدثنا التحول فيها، فحينئذٍ ستتغير المعادلة، ومثل هذه المعادلة توشك الآن على التغيُّر بالفعل، ونحن نحمد الله تعالى على وجود بعض الشباب الذين اختاروا العمل في سبيل الله على البقاء في الذل حتى ولو أدى بهم الأمر إلى الشهادة، فمثل هذا التحول قد حدث بالفعل لدى شبابنا، وهناك الكثير من المعادلات الدولية قد

١ - سورة المؤمنون، الآيتان ٩٧ - ٩٨.

تغيرت بفضل هذا التحول، فطغاة الارض يضعون الآن في حساباتهم اولئك الشبان الذين قرروا التحرك في سبيل الله عز وجل مهما كلفهم الأمر.

لا يجوز للانسان أن يزكي نفسه إعتباطاً، وهو مقبل غداً
على ميزان بحاجة الى ما يثقله، لذا عليه أن يستغل وقته
في القيام بالاعمال الصالحة لكي تثقل ميزانه
وذلك من خلال النشاط، والتحرك المستمر والمتواصل،
وعبر التصاعد العمودي باتجاه التكامل والتطور

ومن الجدير بالذكر هنا أن التحول الاشمل والاكمل لا يحدث من خلال الاستشهاد في سبيل الله تعالى، بل من خلال أن تكون مجاهداً شاهداً، فالشاهد يعني أن تعمل على تغيير نفسك منذ هذه اللحظة، وأن يكون عملك على ضوء مخطط علمي، وأن تتعاون مع اخوانك الى أبعد مدى ممكن، وتنضبط وفق الخطة التي رسمتها، ولا تدع فرصة واحدة تفلت من يديك في اكتساب العلم، وتفجير الطاقات، والسعي المكثف من أجل استيعاب التجربة، وتطبيقها على الواقع، وفي هذا المجال يقول جل وعلا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يزكّي نفسه إعتباطاً، وهو مقبل غداً على ميزان بحاجة الى ما يثقله، لذا عليه أن يستغل وقته في القيام بالأعمال الصالحة لكي تثقل ميزانه، فلا يكفي - مثلاً - أن تقوم بخمسين عملاً صالحاً ترتكب معها خمسة ذنوب، لأن هذه الذنوب على قلتها من شأنها أن تجعل ميزانك يوم القيامة خفيفاً.

فعلينا - إذن - أن نعمل ونبذل الجهود المستمرة من أجل أن نثقل موازيننا، وذلك من خلال النشاط، والتحريك المستمر والمتواصل، وعبر التصاعد العمودي باتجاه التكامل والتطور.

مسؤوليتنا الذاتية في التغيير

قبل كل شيء لا بد أن يتركز سعي الانسان المؤمن والمجتمع الايماني على تحقيق إصلاح بنية المجتمع ونظامه الاقتصادي والسياسي والثقافي، ولكن هل يتوقف سعي الانسان عند هذا الحد؟

الجواب بالنفي طبعاً، لأنّ المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع إنما هي إطار لتحرك الانسان واختباره وبروز مواقفه، وبتعبير آخر إنها الخطوة الاولى لتحرك الانسان.

الاطار لا يغني عن التحرك

إنّ هذه المؤسسات المختلفة تشبه الى حد بعيد الجدران في البيت، فوجود بيت للانسان محاط بالسياج والجدران، ومجهز بالاساس القويّ المتين يمثل بداية وجود هذا الانسان، فكل هذه الامكانيات تسمح للانسان بأن يمارس نشاطه داخل حدود بيته، فمن يعتقد أنّ وجود الجدران والغرف والاثاث في البيت يغني الانسان عن التحرك انما هو انسان ساذج، فالجدران وما وراءها

من غرف واثاث انما هي شرط للمحافظة على نشاط الانسان في السعي والتحرك.

إنَّ إصلاح النظام الاجتماعي إنما هو إطار لسعي الانسان، وعلى سبيل المثال: فلو فرضنا أنَّ الله عزَّ وجلَّ وَفَّقَ المؤمنين في مكانٍ ما بفضلِهِ ورحمته، وبما رآه من صبرٍ واستقامةٍ وعملٍ منهم الى إزالة نظام دكتاتوري مستبد وابداله بنظام سياسي واقتصادي وثقافي قائم على أساس الاسلام، فان الخطوة الاولى قد تمت في هذه الحالة، ولكن هذا لا يعني انتهاء كل شيء، فتغيير النظام الفاسد ما هو إلا الخطوة الاولى في مجال تحرك الانسان واتجاهه نحو اهدافه الخيرة، وهناك خطوات أخرى على الانسان المؤمن أن يخطوها.

وعلى هذا فان باستطاعة الانسان المؤمن في ظل هذا النظام الصالح تنمية قدراته الروحية والعقلية والجسدية، وأن يحقق اهدافه بصورة طبيعية، أمّا في ظل نظام طاغوتي فلا يمكن له أن يربي نفسه، ويحقق مكاسب مشروعة في حياته، إنما في ظل النظام الاسلامي يستطيع فعل ذلك، ولكن مجرد الاستطاعة لا تغني عن العمل، بل عليه أن يجتهد، ويبدل قصارى ما يستطيع.

وعلى سبيل المثال؛ إذا افترضنا أنَّ هنا موظفاً يرتشي، ومسؤولاً متمحوراً حول ذاته، وموظفاً آخر يتنازل عن القانون وعن النظام لمجرد رغبة شخصية، وأنَّ هناك صاحب سلطة يظلم، وآخر صاحب كفاءة يمارس الجور، وأنَّ هناك انساناً يبادر الى صنع الخمرة في بيته عندما يرى انها ممنوعة عليه، كما هناك أبٌ يبعث بولده الى بيئة فاسدة بدل أن يربيهِ في بيئة صالحة، اذا افترضنا كل ذلك

فهل هناك مسؤولية يتحملها النظام في هذا المجال؟

الجواب؛ كلا فالنظام السياسي لا يتحمل مسؤولية إنسانٍ فاسدٍ في داخل هذا النظام، فإذا كان أبناء المجتمع يفضلون الكسل والتقاعس والبحث عن الربح السريع دون عمل، فإنَّ مجرد صلاح النظام لا يعني تقدمهم وتحضرهم. نعم، إنَّ صلاحية النظام هي الخطوة الأولى لتحرك الانسان نحو البناء، والتقدم، والحضارة، ولكن هذا الشرط لا يمكن أن يكون بديلاً عن العمل والعطاء والاجتهاد.

نحن لا يمكن أن نلقي مسؤولية التخلّف والتلكؤ،
ومسؤولية الهزائم والنكسات
على الاطارات السياسية أو التنظيمية،
كلا، ففي البدء علينا أن ننتقد انفسنا،
ونحاول إصلاحها

في ظل النظام الذي بناه الرسول ﷺ كانت هناك مخالفات وتجاوزات وتناقضات، وحب للذات، واطاعة للهوى والشهوات، كل هذه السلوكيات السلبية كانت موجودة، ولكن هل هذا يعني أنَّ الرسول ﷺ كان على خطأ، وإن القرآن كان على خطأ ايضاً؟ كلا بالطبع، لان الانسان يبقى حراً في تصرفاته، فالقانون يوضع، ولكن من الذي ينفذ هذا القانون؟

وأما بالنسبة الى المجاهدين، والطلائع الرسالية، فعلى العاملين في

الساحة، والمجاهدين في سبيل الله، أن يعلموا أن دورهم ما يزال قائماً، أي إن إرادتهم هي التي تصنع المستقبل، فعليهم أن لا يتكئوا على النظام السياسي، فهو مجرد إطار، وفاعليتنا وحركتنا ضمن هذا الإطار هي التي تصنع النصر والمستقبل.

والقرآن الكريم عندما يحدثنا عن لقمان، ويبين وصاياه لابنه نراه يذكرنا بأن هناك حقائق ينبغي أن نفهمها، ومن أبرز هذه الحقائق دور الانسان ومسؤوليته تجاه حياته، وفي هذا المجال علينا أن ننظر الى أنفسنا ضمن التجمع الذي نعيش فيه أو أيّ تجمع في اي بلد اسلامي، فنحن لا يمكن أن نلقي مسؤولية التخلف والتكؤ، ومسؤولية الهزائم والنكسات على الاطارات السياسية أو التنظيمية، كلا، ففي البدء علينا أن نتقذ أنفسنا، ونحاول إصلاحها، فالتنظيم السياسي - مهما كان - انما هو مجرد اطار، والمهم ما هو داخل هذا الاطار.

السعي والاجتهاد سرّ التقدم

فاذا كان داخل هذا الاطار مضمون من الاجتهاد والسعي الحثيث ومتابعة الاعمال، فإن العمل سيتقدم ولا شك، والقرآن الكريم يذكرنا بهذه الحقيقة من خلال الوصايا التي ينقلها عن لقمان وابنه فيقول عز من قائل: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

١ - سورة لقمان، آية ١٦.

وتعني هذه الآية الكريمة أنَّ على الانسان المؤمن أن يضاعف عمله، ويحاول أن يقدم المزيد من الانتاج ولو بمقدار مثقال حبة من خردل، لأنَّ الله جل وعلا يزنها ويحفظها، ثم يأتي بها وإن كانت في أعماق البحار، أو داخل الجبال، وهذا يعني أنَّ على الانسان الرسالي أن يفتش عن اسلوب لزيادة انتاجه ولو بمقدار بسيط.

وعلى سبيل المثال فان كان بإمكانك أن تقرأ كتاباً الى الساعة العاشرة، فان بإمكانك أيضاً أن تستمر في مطالعة الكتاب ولو لدقيقتين، لان هاتين الدقيقتين من الممكن أن تنفعك يوم القيامة، ففي ذلك اليوم هناك ميزان يُنصب، وتُوضع في كفة من كفتيه الاعمال الصالحة، وفي الكفة الاخرى السيئات، والمصيبة عندما نكتشف أنَّ كفة السيئات هي الراجحة بسبب ذنب بسيط، وعلى العكس من ذلك قد نرى أنه بسبب عمل صالح جزئي كنا قد قمنا به في الدنيا فإنَّ كفة الصالحات هي الراجحة.

وعلى هذا فليحاول الواحد منا أن يزيد حسناته ولو بمقدار غرام واحد يشير اليه تعالى في قوله: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾، علماً إنَّ الخردل هو أخف انواع الحبوب.

عملنا ينقذنا من النار

إنَّ الانسان المؤمن الرسالي لا يقول مطلقاً: إنَّ اخواني يعملون، وإنَّ هناك بحمد الله كتباً كثيرة قد طُبعت، وهناك الكثير ممن ينشطون في سبيل الله.

بل عليه أن يسأل نفسه: وماذا عملت أنا؟ فعمله هو وحده الذي ينقذه يوم القيامة من النار لا عمل الآخرين.

وإذا كان من الضروري أن تُقلَّ من نومك، وتزيد من نشاطك الجسمي والفكري في أيِّ حقل، فحاول أن تفعل ذلك الى آخر ذرة من طاقاتك، وأن لا تقصّر في هذا المجال بحق نفسك.

المؤمن الرسالي مكلف اليوم بايجاد النصر بجهدده وبنجاح، فإن كل واحد منا إذا كان ناجحاً، وكنا داخل تجمع، فإن هذا التجمع الذي يجمع مجموعة من الناجحين هو تجمع ناجح، في حين أن التجمع الذي يحوي على مجموعة من الفاشلين في الحياة والكسالى والسليبين، إنما هو تجمع فاشل

ثم يستأنف عز وجل الحديث عن وصايا لقمان لابنه قائلاً: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١)، فاتيان الصلاة بحدودها وشروطها هو من اولويات العامل الرسالي، فالصلاة هي التي تبعث الروح في العمل، وتعطيه صفاءه وخلوصه، وكذلك الحال بالنسبة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللأسف فان هذه الفريضة الالهية المهمة تتلخص عند بعض الناس في إلقاء المحاضرة، ثم ينتهي كل شيء، وهذا خطأ فاحش؛ ففي كل شيء

١ - سورة لقمان، آية ١٧.

هناك معروف وهناك منكر، وفي كل حركاتنا وسكناتنا وبين اوساط المجتمع نستطيع أن نمارس فريضة الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالانسان المؤمن يجب أن يكون سراجاً مضيئاً دائماً الاشعاع، وغير متوقف عن العطاء، فعند ركوبك في السيارة، وعندما تشتري شيئاً ما، وحينما تجلس في قاعة الدرس، يجب أن يلهج لسانك بأمر الناس بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، فتكون هناك قوة ضاغطة مستمرة باتجاه المعروف.

الصبر سلاح لمكافحة الضجر

إنَّ ما يواجهه الانسان في حياته من المصاعب والمشاكل كثير، ونحن نرى إنَّ قسماً من الناس دائم الضجر بالنسبة الى ما يحيط به من الأمور، فإنَّ اصيب - على سبيل المثال - بالحرمان من المال أو اي مشكلة أخرى يبدأ بالضجر، فيبث الشكوى يميناً وشمالاً، وينشر السلبيات من حوله، في حين انه لو كانت لدينا شكوى حقيقية فان صاحب شكوانا هو الله سبحانه وتعالى. أمّا أن تزرع السلبيات في طريقك، وتشحن الاجواء من حولك بالكلمات السلبية، فهذا تصرف خاطئ، بل عليك التحلّي بالصبر.

فالانسان المؤمن كلما سُئل عن حاله تجده يحمده الله ويشكره، ويذكر الايجابيات في الحياة، ويزرع من حوله الرياحين، ويدخل في قلوب المؤمنين الفرح والسرور، وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»^(١)، فعندما

١- الكافي، ج ٢، ص ١٨٩، ح ٤.

تجلس عند إنسان مؤمن لا تذكره بالسلبات والمشاكل، بل حاول أن تمنحه الامل بدلاً من أن تزيد همومه وغمومه.

لندع التفاخر جانباً

ثم يضيف السياق القرآني الكريم قائلاً: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢) وللاسف فان الحالة النفسية لبعض الناس تدفعهم دوماً الى التحدي والتنافس. ولعن الله الشيطان الذي يبعث الانسان نحو هذا الطريق المظلم الوعر.

إنَّ على الانسان المسلم أن يدع التفاخر، فقد جاء في الحديث القدسي قول الله تعالى: «وَأَخَّرْ نَوْمَكَ إِلَى الْقُبُورِ، وَفَخْرَكَ إِلَى الْمِيزَانِ، وَلَذَّاتِكَ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٣). فان كان عندك ما تفخر به حقاً، وكان باستطاعتك ان تمدح نفسك، فبإمكانك أن تفخر وأن تمدحها عند الحساب وعند الميزان، فلمن التفاخر في الدنيا؟ ولماذا يقول أحدها: أنا احسن من فلان فيمدح نفسه، ويفاخر بأعماله؟ فالله تعالى لا يحب الختال الذي يتفاخر على الآخرين.

ثم يذكر عز وجل قائلاً: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٤)، وقد يكون المراد من المشي هنا المشي المادي، فعندما تمشي عليك بالهدوء والسكينة والوقار، فمشية الانسان المادية

٢- سورة لقمان، آية ١٨.

٣- الجواهر السننية في الأحاديث القدسية، ص ١٦٢.

٤- سورة لقمان، آية ١٩.

تعكس روحه، وطبيعة نفسه، ولكن هناك معنى آخر للمشي ألا وهو المعنى السياسي والاجتماعي، أي أن يكون نهجك في الحياة نهجاً وسطاً غير متطرف الى اليمين أو اليسار. فعلى الانسان أن لا يكون متطرفاً، فإن كان يضمّر الحب لشخصٍ ما فعليه أن لا يغالي في حبه له، والعكس أيضاً صحيح.

وبقوله تعالى: ﴿وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، يوجّه الانسان أن لا يحاول التغلب على الآخرين من خلال ايجاد جو من التطرف والصراخ والسباب، فعليه أن يتحدث مع الآخرين بمنطق الحق والاقناع، وليست هناك آية حاجة الى أن يرفع صوته ويثير الصخب.

إنّ هذه مجموعة صفات ينبغي أن نوجدها في أنفسنا، إلى جانب مجموعة أخرى أيضاً كالحزم في العمل، وتنظيم الوقت، والاهتمام بالتعاون مع الآخرين، والتشاور معهم، وخلق جو من الالفة والمحبة بيننا.

وهذه الصفات مذكورة في القرآن الكريم أولاً، ثم في الاحاديث الشريفة، وفي تاريخنا الحافل بالقدوات الصالحة، وفي التجارب الحضارية. والمؤمن الرسالي مكلف اليوم بايجاد النصر بجهده وبنجاح، فإنّ كل واحد منا إذا كان ناجحاً، وكنا داخل تجمع، فإنّ هذا التجمع الذي يجمع مجموعة من الناجحين هو تجمع ناجح، في حين أنّ التجمع الذي يحوي على مجموعة من الفاشلين في الحياة والكسالى والسليبين غير الآبهين بمصير أمتهم، إنما هو تجمع فاشل بالطبع.

ونحن نأمل في هذا العصر الذي يتسم بطابع التحرك الاسلامي أن لا

نغتر بالمكاسب، وأن لا نتكل على الآخرين، بل على كل واحد منا أن يبذل كل ما يستطيع من جهد في سبيل تطوير العمل لوجه الله سبحانه وتعالى الذي اذا نظر الينا ورأى فينا تلك الهمة العالية والاصرار والعزم الكبيرين فانه عز وجل وعدنا أن ينصرنا بحوله وقوته، فقد كتب على نفسه أن ينصر كل من ينصره من خلال السعي، والعمل الدؤوب، والجهد المكثف في سبيل تحقيق الاهداف الالهية والمكاسب الرسالية، على أن يكون ذلك السعي خالصاً لوجهه الكريم.

الانسان الرسالي

وفن العلاقات العامة

العلاقة بين الطليعة والجماهير

إنَّ من المهم جداً توثيق العلاقة بين الرساليين والطليعة والعلماء والمثقفين من جهة، وبين الجماهير من جهة أخرى؛ فلا يتحقق التغيير الحقيقي بواسطة الطلائع الرسالية فحسب، فهم بمثابة الصاعق الذي يفجر فتيل الأمة، والرسول الذي يبشر وينذر، فهم لا يتحملون عن الناس جميع مسؤولياتهم ولا يجردونهم عن واجباتهم، بل إنَّ دورهم يتمثل في التشجيع والتحريض ليكونوا شاهدين على عصرهم، كما يشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

وفي آية أخرى يقول جلت قدرته: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

١- سورة الاحزاب، آية ٤٥.

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١﴾.

وهكذا فان دورهم هو أن يكون كل واحد منهم حجة على الناس لينقلوا هذه الشهادة العملية الى الآخرين عبر التبشير، والانذار، والتبليغ، وبيان الحقائق.

وعلى هذا فإن أهم خطوة يخطوها الانسان الرسالي في حياته تتمثل في أن يتحول من فئة محدودة وملاحقة الى قاعدة جماهيرية عريضة، فان تم هذا التحول فقد انتصرت حركة التغيير الرسالي، وان لم يتحقق فان الحركة ستنهزم حتى وإن انتصرت ظاهرياً.

معركتنا تدور حول الجماهير

إنَّ معركتنا الاساسية مع الجاهلية تدور حول الجماهير، فالجاهلية تسعى لأنَّ تسلب الجماهير إرادتها، وتضلُّها، وتحول بيننا وبين الاتصال بها، في حين أننا نسعى من جهة أخرى لتفويت هذه الفرصة على الجاهلية، والوصول الى الجماهير، وبيان الحقائق لهم، وتوعية الدور الخبيث الذي تقوم به اجهزة الجاهلية من أجل تضليل هذه الجماهير.

وهكذا فان المبادرة الى خوض العمل التغييري يجب أن تكون من جانب الرساليين، فهم السابقون الى العمل، وهم الذين يرون أنفسهم مسؤولين قبل غيرهم، بسبب ما يحملونه من الوعي والعلم، ومن المعلوم أنَّه: «يُعْفَرُ لِلْجَاهِلِ

سَبْعُونَ ذَنْبًا قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ وَاحِدٌ»^(١)، وكذلك جاء عن أهل البيت عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجُهَّالِ عَهْدًا بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْدًا بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجُهَّالِ لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ»^(٢).

إنَّ قدرة الانسان الرسالي على ممارسة العلاقات العامة
تأتي بصورة طبيعية لا بشكل فجائي،
فلا بد أن يروّض الانسان نفسه عليها
ويتدرج في تعلمها،
ويستمر على هذا المنوال فترة طويلة حتى يتقنها

فاذا كان الامر كذلك، واذا كنا نرى أنَّ القضية هي قضيتنا قبل أن تكون قضية الآخرين، فعلينا أن نكون اصحاب المبادرة الى الاتصال بالجماهير، وأن لا ننتظر أن يأتوا هم الينا، وهذا هو جانب (العلاقات العامة) من حياة الانسان الرسالي. فهو يتميز بانه إنسان ناجح في هذا الجانب، وقادر على أن يجذب اهتمام الناس، ويخترق الحواجز المصطنعة الموضوعة بينه وبينهم، فينفذ بذلك الى قلوب الجماهير، ويستقطب اهتمامهم في اسرع وقت ممكن، وهذه القدرة هي أهم ما يتميز به الانسان الرسالي في حياته، لأنَّ مسؤوليته هذه هي مبرر وجوده، وهذه المسؤولية تتمثل في أن يتحرك بين أوساط الجماهير، فالانسان الذي يجلس في بيته لا يمكن أن نصفه بانه رسالي.

١- الكافي، ج ١، ص ٤٧.

٢- الكافي، ج ١، ص ٤١.

وهكذا فان على هذا الانسان الذي يدّعي أنه رسالي، أن يجلّ نفسه عن أن يلوذ بالصمت والعزلة، فيخرج من معترك الحياة، ويلقي باللائمة على المجتمع دون أن يعمل على تغييره.

فعلينا - إذن - أن نتجاوز هذه الحواجز بيننا وبين الجماهير من خلال ما يسمى بـ (العلاقات العامة)، وقبل أن نتطرق الى هذا الموضوع المهم والحساس هناك ملاحظتان أودّ أن اطرحهما:

ضرورة ممارسة فن العلاقات العامة

١ - إن قدرة الانسان الرسالي على ممارسة العلاقات العامة تأتي بصورة طبيعية لا بشكل فجائي، فلا بد أن يروّض الانسان نفسه عليها ويتدرج في تعلمها، ويستمر على هذا المنوال فترة طويلة حتى يتقنها.

إنّ العلاقات العامة تتمثل في القدرة على التحدث بشكل جيد وجذاب، وإتقان الآداب الإجتماعية، ومعرفة عادات وتقاليد الناس، والحكمة في التصرف، وهذه الامور ليست بالامور البسيطة التي يستطيع الانسان أن يحصل عليها من خلال مطالعة كتاب، أو الاستماع الى محاضرة، بل ينبغي على الانسان الرسالي أن يتعلّم فن العلاقات العامة من خلال التحرك في الواقع الخارجي.

في حين أننا نرى أن البعض يحمل علماً غزيراً ولكنه للأسف لا يجيد ممارسة هذا الفن لانه عندما درس العلم لم يتعلم كيفية نشره وبثه بين الجماهير،

فدور العالم والمفكر يعتبر دوراً خطيراً ومصيرياً.

الاركان الاساسية للعلاقات العامة

٢- إنَّ مصطلح (العلاقات العامة) يُستعمل للتعبير عن تمثين اساليب تعاملنا مع الوسط الاجتماعي الذي نعيش فيه، وهذه العلاقات تعتمد على ثلاثة أركان أساسية هي: الحكمة، والحزم، والحُسن في التعامل.

ألف: وتعني الحكمة القول والفعل المناسبين في الموضع وبالقدر المناسبين، وان لا نخطو خطوة واحدة إلا بعد التفكير المتأن. فلا نبادر الى الجواب عندما يسألنا شخص، ولا نتعجل القيام بالعمل قبل ان نستشير، بل يجب علينا أن نفكر في علاقة هذا العمل بمجمل ستراتييجيتنا، وعلاقته باوضاعنا الخاصة، وظروف الآخرين.

ويعتبر الكلام من أهم أركان الحكمة، فنحن نستطيع أن نقول كل شيء في كل مكان شريطة أن يكون بحكمة لكي لا يستطيع أحد أن ينكر علينا كلامنا هذا، ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾^(١).

وعلى سبيل المثال فإنَّ من الحكمة ارسال الهدايا، وزيارة الناس، وصلة الرحم، وقضاء حوائج المحتاجين بقدر ما نستطيع، ومن الحكمة أيضاً أن نفكر في النتائج لا في الوسائل فحسب.

١- سورة النحل، آية ١٢٥.

باء: وبالإضافة الى ذلك فان الرسالي بحاجة الى الحزم في عمله؛ فالانسان الذي يذوب في وسطه الاجتماعي لا يمكنه أن يصبح اجتماعياً ناجحاً، فاذا ما أراد النجاح فعليه أن يكون حازماً لا يتنازل عن أهدافه الحقيقية قيد انملة، ولا بأس أن يختار الوسيلة لتحقيق هذه الاهداف حسب الحاجة والظروف.

على الانسان أن يكون مهذبً اللسان جذّاباً،
وأن يحرص في نفس الوقت على أن يستمع الى كل كلام
جميل، وينمي في نفسه القدرة على التلطف بالكلام الجميل
من خلال تعلم كيفية البدء بالكلام لكي يكون
المدخل الحسن في الكلام طريقاً للنفوذ في القلوب

إنّ الجماهير لا تثق بالانسان الانتهازي المتملق الفاقد لشخصيته وإنّ زعم أن التملق وسيلة للتقرب، لأنّ التملق هذا ينفي شخصية الانسان ويذيبها في الوسط الاجتماعي، فاذا أراد الانسان أن يكون ناجحاً في علاقاته الاجتماعية فلا بد أن يكون حازماً؛ أي أن يسير وفق الرأي الحكيم ثم يبقى مصراً عليه بمختلف الوسائل.

جيم: أمّا الحُسن في التعامل فقد اُشار تعالى الى هذا الركن في قوله:
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١).

إنّ الناس يدورون حول واحدٍ أو أكثر من المحاور الثلاثة التالية: إما

محور العقل والعلم، وإما محور القوة، وإما محور الجمال، وهذه هي طبيعة الانسان؛ فالذي يقرأ الكتاب لا يسأل: هل هو جميل أم قوي؟ لان فيه العلم. والذي يتبع السلطات لا يهتم أن تكون جميلة أو عالمة بل يسأل عن مدى قوتها. والذي يريد أن يشتري باقة من الورد لا يشتريها لقوتها أو علمها بل لجمالها، وهكذا فان طبيعة الانسان تتحرك حول أحد هذه المحاور الثلاثة.

والانسان الرسالي يجمع هذه المحاور في ذاته؛ محور العقل الذي هو الحكمة، ومحور القوة التي تتجلى في الحزم، ومحور الجمال الذي يبرز في التعامل الحسن.

فمن الطبيعي - على سبيل المثال - انك لا تتلقى نصيحة الانسان القذر، الممزق الثياب، وعلى العكس من ذلك فانك تتفاعل مع الانسان المهتم بنظافته، وهندامه، ولذلك فان الاسلام يطلب من الانسان المسلم ان يهتم بمظهره، فمن المستحب ان يتطيب الانسان، ويعتني بشعره، وسائر جوانب المظهر.

وهذا الجمال ينبغي أن ينسحب على كلامنا ايضاً، فقد جاء في الحديث الشريف: «الْجَمَالُ فِي اللِّسَانِ وَالْكَمَالُ فِي الْعَقْلِ»^(١)، فعلى الانسان أن يكون مهذب اللسان جذاباً، وأن يحرص في نفس الوقت على أن يستمع الى كل كلام جميل، وينمي في نفسه القدرة على التلفظ بالكلام الجميل من خلال تعلم كيفية البدء بالكلام لكي يكون المدخل الحسن في الكلام طريقاً للنفوذ في القلوب.

وعلى سبيل المثال: فانك اذا أردت أن تدفع شخصاً محباً للرياضة الى أن يؤدّي الصلاة، فعليك ان تدخل الى قلبه من هذا المدخل، فتوضح له أنّ الصلاة مهمة، وأنها هي الاخرى نوع من الرياضة الجسدية والروحية.

وهكذا فان عليك أن تبدأ من حيث يفكر الانسان، وان تقنعه من حيث هو لا من حيث انت، وللأسف فان أغلب الناس يتحدثون عن احوالهم وصفاتهم، وينطلقون في اقناع الآخرين من انفسهم، فتراهم يتكلمون حول انفسهم، وينهالون عليها بالمدح والاطراء دون أن يعيروا أهميّة الى الطرف المقابل.

وهكذا فان علينا أن نتكلم بجانبين؛ فاذا اردت ان تنتقد انساناً ما فعليك أن تمتدحه اولاً من خلال التركيز على الصفات الجيدة فيه، ثم بعد ذلك تشير الى صفاته السلبية؛ كأن يكون مؤدياً للفرائض الدينية إلا واحدة منها، فينبغي أن لا نواجهه بأسلوب هجومي كأن نقول له انك كافر وملحد لعدم قيامك بتلك الفريضة الدينية، بل لا بد أن نوظف لاقناعه الأساليب الإيجابية التي أشار إليها تعالى في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. من خلال توفير الأركان الثلاثة السابقة في شخصياتنا ألا وهي؛ الحكمة، والحزم، والحسن في التعامل.

الأمة بين القيادة الرسالية والقيادة الجاهلية

يعتبر المجتمع الانساني كياناً متكاملاً ومتفاعلاً يؤثر بعضه في بعض، وعلى الرغم من أن الناظر الى هذا المجتمع لا يمكنه أن ينظر إلا من زاوية معينة فيفسره تفسيراً ناقصاً وربما خاطئاً، إلا أننا عندما نجمع خبرات الجميع، ونكمل نظرتنا بنظرات الآخرين، وعلمنا بعلمهم، نكتشف مدى الترابط والتواصل والتفاعل بين أجزاء هذا المجتمع.

وهكذا فاننا بحاجة الى الآخرين ليكملوا معارفنا، ومن هنا فقد روى الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ»^(١).

المجتمع المتكامل والنظرة الشمولية

فهذا المجتمع المتكامل لا بد أن ننظر اليه نظرة شاملة وإلا وقعنا في

١- من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٥.

أخطاء كبيرة، وعلى هذا فإن قيادة هذا المجتمع لا يمكن إلا أن تكون منبعثة من القوانين التي تحكمه، وقوانين هذا المجتمع بدورها لا بد أن تكون منبعثة من قيم افراده، وهذه القيم صادرة من أهدافهم، وأهدافهم منبعثة من تشكيلة نفوسهم وطبيعة شخصياتهم، وثقافتهم هي التي تؤثر على طبيعة شخصياتهم. ومع ذلك فان أعظم عامل يؤثر في مسيرة المجتمع هو ما يسميه القرآن الكريم بـ (الشاكلة) في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(١).

وهو ما تطلق عليه النصوص الاسلامية الاخرى اسم (النية)؛ اي الهدف الرئيس من حياة الانسان، فهذا الهدف هو الذي يحدد نوع ثقافته، وطبيعة علاقاته، وقيمه، وطبيعة مجتمعه، وبالتالي طبيعة قيادته.

علاقة المجتمع بقيادته من المنظور القرآني

وفي الآيات التالية في سورة الاسراء يوجهنا القرآن الكريم الى نقطة هامة هي علاقة المجتمع بقيادته، ومدى تفاعل هذه العلاقة مع القيم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى

إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١﴾.

إِنَّ القيادة الجاهلية تربي اتباعها على الخمول،
والكسل، والاستهلاك، والبطالة،
في حين ان القيادة الالهية تنمي في نفوس أبنائها
صفة الشجاعة، والاقدام، والعطاء.
فتلك قيادة تربي على الاخذ، وهذه قيادة تربي على العطاء

نظرة المجتمعات الجاهلية الى القادة

وكما هو واضح من هذه الآيات فإن المجتمعات الجاهلية تنظر الى القادة بصفتهم مبعثاً للرزق، وقادرين على العطاء المادي لهم، ولذلك فإن الله عز وجل عندما أرسل الى هذه المجتمعات في عصور الرسالة رسلاً، كان أول ما سألوا الرسل عنه هو أنهم هل يمتلكون الذهب والفضة ومصادر القوة والقدرة؟ وكما تصور لنا الآيات الكريمة فإن هذه المجتمعات قد شرطت ايمانها برسلها بأن يفجروا لها الينابيع من الأرض، أو تكون لهم جنات من نخيل وأعناب، فإن لم يكونوا قادرين على مثل هذا العطاء، فليكونوا - على الاقل - قادرين على الإضرار بأن يسقطوا السماء كسفاً عليهم، وكأن هذه

١- سورة الاسراء، الآيات ٩٠-٩٦.

المجتمعات كانت تريد أن تقول: إننا نريد أن نطيع الرسل إما رغبة في عطاءهم، وإما رهبة من عذابهم!

وهكذا فإنَّ مثل هذا الاصرار على تحقيق الشرط السابق يعكس طبيعة أخرى في هذا المجتمع الجاهلي، ألا وهي طبيعة الشهود والحضور، وبتعبير آخر: الطبيعة القشرية؛ فهم كانوا يريدون تحقيق شيء مجسَّم أمامهم، أمَّا أن يبشرهم الرسل بالجنة في يوم القيامة، وينذروهم من جحيمٍ في المستقبل، ويهدوهم الى رب موجود بالغيب، فإنَّ هذا لا يكفي، بل لا بد أن يجدوا ما يدعوهم الرسل اليه مجسَّماً وحاضراً أمام أعينهم، أو على الاقل أن يكون هؤلاء الرسل في مستوى ارفع، كأن تكون لهم بيوت من زخرف، أو يستطيعوا الرقي في السماء، فيكونوا بذلك فوق المجتمعات البشرية من الناحية الجسدية والمالية.

نظرة المجتمع الرسالي الى القادة

وبإزاء هذا المجتمع الموغل في المادية والذي لا يؤمن بأناؤه إلا بما يروونه بأعينهم وما يلمسونه بأيديهم، هناك المجتمع الآخر الذي لا يجد غضاضة في أن يؤمن برسولٍ بشرٍ لا يمتلك شيئاً من مال الدنيا، ولا يمتلك بيتاً من زخرف، بل يعيش على هذه الأرض كما يعيش الآخرون، ويقوم بالاهتمام ببيته شخصياً، ويُعد من الفقراء بل ويفتخر أنه من الفقراء إلا أن الصفة التي تميزه عن سائر البشر أنه رسول من قبل الله سبحانه وتعالى.

وهكذا فان مشكلة الناس تتمثل في ماديتهم، وقشريتهم، وايمانهم بالشهود كما اشار الى ذلك تعالى في الايات السابقة، وخصوصاً في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ في حين انه عز وجل يؤكد أن ليس المهم بشرية الرسول أو عدمها، بل المقياس هو إعطاء الرب الشرعية له وإعتماده عليه، كما نفهم من هذه الآية: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

نقاط افتراق القيادة الرسالية عن الجاهلية

فعندما يكون التجمع إلهياً، فان قيادة هذا التجمع لا تستمد شرعيتها مما تملك من المال، ومن قدرتها على اعطاء افراد المجتمع الرتب والوجاهات والمراكز، بل من تجسيدها للقيم الرسالية، وهكذا فان هذه القيادة التي تستمد قدرتها من القيم، تفترق عن تلك التي تستمد قدرتها من الامكانيات المادية، في النقاط التالية:

١ - إن القيادة الجاهلية تربي اتباعها على الخمول، والكسل، والاستهلاك، والبطالة، في حين ان القيادة الالهية تنمي في نفوس أبنائها صفة الشجاعة، والاقدام، والعطاء. فتلك قيادة تربي على الاخذ، وهذه قيادة تربي على العطاء، ومن المعلوم أن هناك فرقاً كبيراً بين الانسانين المتخرجين من هاتين القيادتين؛ فالإنسان الأول هو انسان مستهلك لا يفكر إلا في الأخذ، أما الإنسان الثاني فإنه إنسان منتج يفيض بالعطاء.

ولذلك نرى أنَّ الحكومات والقيادات العميلة غير الشرعية تربي شعوبنا على الإستهلاك، فنحن نرى أنَّ الواردات الاجنبية في بلداننا لا تخضع للجمارك والرقابة، في حين إنَّ الإنتاج الداخلي لا يتمتع بالدعم والحماية الاقتصادية اللازمة، ذلك لأنَّ مثل هذه القيادات مبنية على أساس مادي، فان لم توزع للناس ما يحتاجونه من المواد الغذائية، ولم توفر لهم الامكانيات المادية والرفاهية فانهم سيثورون عليها.

لو كانت هناك فئة قليلة ولكنها صابرة
ومتوكله على الله سبحانه وتعالى، ومنسجمة مع بعضها
البعض، ومهتمة بقيادتها، فانها ستكون فئة قوية وقادرة
على اقتحام المشاكل، وبذلك سيكون بمقدورها
تحقيق الانتصار على الفئات الكبيرة

٢- إنَّ القيادة الرسالية للمجتمع التي تستمد شرعيتها من القيم ينصبُّ كل اهتمامها على تربية الجماهير اخلاقياً من خلال التخطيط السليم، وقيادتهم الى المجالات التي يستطيعون من خلالها أن يتقدموا ويتطوروا، في حين أنَّ القيادة المادية هي قيادة محافظة تخشى حدوث اي تحول في المجتمع، وتخاف من اية فكرة جديدة، وبالتالي فانها قيادة جامدة ومجمدة للآخرين.

وهذا الفرق يتجسد إذا ما قارنا قياداتنا الرسالية مع القيادات الجاهلية، فالقيادات الأخيرة تحاول أن تحافظ على الوضع القائم باسم القداسات،

والتراث، والأصالة، والنظام، وحتى القيادات التي كانت تدّعي التقدمية فإنّها سرعان ما أصبحت محافظة عندما وصلت الى كرسي الحكم.

٣- ويتمثل الفرق الثالث في وجهة المجتمع، فالقيادة الرسالية القائمة على اساس القيم تقود المجتمع باتجاه هذه القيم، كت تحقيق العدالة الاجتماعية ونشرها في العالم، ونصرة المظلوم والمستضعف، في حين أنّ القيادة الجاهلية قائمة على اساس الظلم، ولذلك فانها لا تستطيع أن تقود الشعوب إلّا الى الظلم، والتجبر في الارض، والتعالي على الآخرين.

كيف يجب أن تكون علاقتنا بالقيادة؟

إنّ كل واحد منا يعيش في مستوىّ ما من الهرم القيادي، أو في هرم المجتمع الذي ينتهي الى القيادة في هذا المجتمع، ومن الممكن أن تكون علاقات كل واحد منا بقيادته علاقات قائمة على اساس المصالح والماديات، والقيم الجاهلية الزائفة، كما أنّ من الممكن في نفس الوقت أن تكون علاقته على اساس القيم الشرعية، واوامر الله سبحانه.

وبالطبع فاني لا أقصد هنا أنّ علينا أن نغيّر قياداتنا، بل إنّ القضية الحقيقية تتمثل في طبيعة علاقتنا. وعلى سبيل المثال فاننا قد نصلي ولكن صلاتنا هذه من الممكن ان تكون رياء، ومن الممكن أيضاً أن تكون إخلاصاً لله تعالى، فظاهر الصلاة واحد إلّا أنّ جوهرها يختلف بين صلاة هدفها الرياء، واخرى يُقصد بها وجه الله، وهكذا الحال بالنسبة الى العلاقة بالقيادة، فقد

تتوفر الطاعة، والعمل، والتواصل إلا أنَّ النية قد تكون خالصة وقد تكون غير خالصة، إنَّ النية هي التي تضع العمل في الاتجاه الواقعي، وتمنحه روحه الحقيقية.

وقد تكون النية الخالصة متوافرة في بداية الازعان لهذه القيادة، ولكنها قد تتغير مع مرور الزمن، فالشيطان قادر بمكره وكيده أن يفرغ الطقوس الدينية، والممارسات الرسالية من جوهرها، وعلى سبيل المثال: فان طالب العلم سواء في الحوزة أو الجامعة قد يختار في البدء العلم والدراسة في سبيل الله تعالى، أو يعتقد أنه يختارهما لوجه الله، فيندفع الى طلب العلم مدفوعاً بالنصوص التي تؤكد على ضرورة العلم، وأهمية طالبه، وأجره، ولكن الشيطان سرعان ما يجعله يستصغر أهدافه، ويبدلها شيئاً فشيئاً من دون أن يشعر حتى يجعل هدفه المال والجاه والسمعة فيفرغ نيته بشكل كامل من كل ما هو إلهي.

ترى ماذا سينفع مثل هذا الانسان عمله؟ إنَّ بدايته كانت سليمة، ولكن نهايته أصبحت مغلوطة تماماً، ونحن نعوذ بالله عزَّ وجل من سوء العاقبة، ونسأله أن يختم عواقب أمورنا بالخير.

وهكذا الحال بالنسبة الى علاقتنا بالقيادة، فانها من الممكن ان تُفرَّغ تماماً من النوايا الإلهية، بحيث يصبح الهم الأكبر لهذه القيادة التفكير في حل المشاكل المادية، والاهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية لتتجمع، فيضيع بذلك الوقت الذي من المفروض ان تخصصه للتخطيط السليم، والعمل الجدي، والبحث عن حلول لمشاكل الامة.

وهناك الكثير من الحركات في التاريخ التي بدأت وهي تحمل أهدافاً عظيمة، ولكنها انتهت الى تجمع عنصري منغلق، ونحن في هذا المجال علينا أن نستلهم العبر والدروس من هذه التجارب التي مرت على الآخرين لنكون على حذر من الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

النوعية هي المهمة لا الكمية

إنَّ القضية الأساسية في صراع الاسلام مع الجاهلية لا تتمثل في الكثافة العددية بل في التركيز النوعي والكيفي، وبمعنى آخر فلو كانت هناك فئة قليلة ولكنها صابرة ومتوكله على الله سبحانه وتعالى، ومنسجمة مع بعضها البعض، ومهتمة بقيادتها، فانها ستكون فئة قوية وقادرة على اقتحام المشاكل، وبذلك سيكون بمقدورها تحقيق الانتصار على الفئات الكبيرة كما يقول تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

بناء على ذلك فليس المهم أن نفكر في عدد المؤمنين، بل علينا أن نهتم بنسبة الايمان في انفسهم، وعلاقتهم مع بعضهم البعض، وكيف هي علاقاتهم بقيادتهم.

القيادات الجاهلية تستمد قوتها من ضعفنا

بالإضافة الى ذلك: إنَّ وجود القيادات الجاهلية في الساحة، والانظمة

١- سورة البقرة، آية ٢٤٩.

العميلة والخائنة في وطننا الاسلامي ليس سببه قوة هذه القيادات والانظمة وانما ضعف من يقابلها، فهي تشبه الى حد كبير الظلام، فاذا رأينا الظلام قائماً فالسبب لا يكمن في قوته، وانما في انعدام النور والضياء، فإذا وُجد النور وانتشر الضياء فإنَّ الظلام ينحسر، والى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾^(١).

فلو كان عزَّ وجل قال: قل زهق الباطل وجاء الحق. لكان لنا أن نستنتج أنَّ الجاهلية يجب أن تسقط اولاً لتوجد بعدها القيادة الاسلامية البديلة. ولكن القرآن الكريم يرفض هذا المنطق ويقرر أنَّ الوجود اولاً هو للقيادة السليمة، ثم يأتي بعد ذلك سقوط الجاهلية.

ضرورة ايجاد التجمع الرسالي

وهكذا فان المهم هو ايجاد التجمع الرسالي المتكامل، التجمع الذي من ابرز صفاته طبيعة علاقته ببعضه البعض والتي تتجلى في شكل علاقته بقيادته، ونحن - كمؤمنين - نمتلك في مجتمعاتنا الكثير من هذه القمم المضيئة التي ارتفعت بفضل علاقتها واتصالها بالائمة الأطهار، والانبياء العظام ﷺ، ولكننا للأسف، لا نملك اولئك الذين يلتفون حولهم على هذا الاساس، فلا بد لنا من أن نوجد مثل هذه العناصر.

إنَّ العلاقات ينبغي أن تكون علاقات ايمانية، ومع وجود هذه العلاقات

١ - سورة الاسراء، آية ٨١.

فإنَّ بقاء الانظمة الفاسدة سوف لا يستمر طويلاً، وهذا يعني أنَّ مسؤولية استمرار هذه الانظمة ليست بعيدة عنا، فالانظمة ما هي إلا مجموعة من الفاسدين والمنحرفين الذين يجسّدون الانحراف في جميع مجالات حياتهم، وما علينا إلا القضاء على هؤلاء المنحرفين والظلمة من خلال تشكيل التجمعات الرسالية المخلصة التي تتوفر فيها الشروط السابقة.

الشروط الذاتية والموضوعية للقائد الاسلامي

من اولى الخطوات الاساسية التي يجب أن تخطوها الحركة الاسلامية اليوم هي أن تتجاوز عقدة زرعها الاستعماري في العالم الاسلامي ألا وهي عقدة الهوة المصطنعة بين أبناء الطليعة في هذه الحركة من جانب، وبين الجماهير من جانب آخر.

وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إرادة كل فرد من أبناء الطليعة من العلماء، والمفكرين، والمجاهدين، والسابقين من شبيبة الجهاد، وفتية العمل الرسالي، وهذه الارادة من المفروض أن تدعوه الى أن يكون قائداً مسؤولاً يقطع الطريق على كل اولئك الذين يحاولون سرقة هذا المنصب الالهي الهام، واستغلاله من أجل تحقيق مصالحهم، وبالتالي إشباع حب الرئاسة في أنفسهم.

واذا استطاع الانسان المؤمن الملتزم أن يتحمل مسؤوليات القيادة بما

فيها من صعاب وأخطار وتحديات، فإنَّ ذلك يدل على أنَّه قد سد الطريق امام كل الانتهازين، وجميع اولئك الذين لا يفهمون من القيادة إلاَّ إسمها وعنوانها دون أن يقدِّموا أيَّ عطاء للامة.

كيف نكون قادة جماهيريين؟

والسؤال المهم الذي ينبغي أن نقف عنده طويلاً لنجيب عليه هو: كيف يمكن أن يكون الواحد منا قائداً جماهيرياً يتغلب على تلك العقبات التي خلفتها القرون الماضية، وكَرَّستها الايدي الخفية لشياطين الانس فأوجدت حائلاً بيننا وبين جماهيرنا، وبينك كقائد وبين افراد الامة كقاعدة؟

هناك شروط موضوعية واخرى ذاتية ينبغي أن تكون لدينا من الارادة ما يكفي لتحقيقها، فقد يملك الانسان إرادة الايمان، ولديه من الارادة ما يؤهله لكي يكون إنساناً صالحاً، وعضواً فاعلاً في المجتمع، ولكنه مع تمتعه بهذه الارادة قد يفتقر الى تلك الارادة التي تؤهله لأن يكون قائداً.

إنَّ الذين يسعون من أجل القيادة والرئاسة حباَ لهما كثيرون، لأنَّ جاذبية القيادة عنيفة جداً، إنما المطلوب هو أن يكون سعي الإنسان الرسالي للقيادة من منطلق الخدمة والعطاء والتضحية والمسؤولية، بحيث إننا إذا طلبنا منه يوماً أن يتحمل مسؤولية القيادة فكأنما طلبنا منه عملاً عظيماً، أو حملناه مسؤولية خطيرة.

الشروط الذاتية للقائد

وتتمثل هذه الشروط في أن تجعل نفسك قادراً على ادارة الامور؛
فالكفاءة الادارية لا تتحقق من الفراغ ولا تأتي من خلال الوراثة، بل هي
مجموعة صفات يجب على الانسان أن يسعى سعيًا دؤوباً من أجل تحقيقها في
نفسه؛ وعلى سبيل المثال: فإنَّ صفة الصبر تعني تحمُّل الأذى وسعة الصدر،
وهي آلة القيادة، حيث يجب على الانسان النظر والعلم بحدود القضية
التي تحمّلها، والمجموعة التي تمثلها، والتعرف على حياتهم، ونفسياتهم،
وانتماءاتهم، وارتباطاتهم مع بعضهم البعض، وما يشجعهم، ويثبطهم، ثم
بعد ذلك الثقة بالنفس، والاعتماد على الذات، وبالتالي التوكل على الله عز
وجل.

إذا كان لدينا من الإرادة ما يكفي لتحقيق الشروط الذاتية في
أنفسنا من مثل سعة الصدر، وبُعْد النظر، والصبر، والمعرفة
في حدود القضية التي نحملها، وبالتالي الثقة بالذات،
ومقاومة الضغوط التي تستهدف سلب ثقتنا بأنفسنا،
فاننا سنحقق جزءاً مهماً من الارضية اللازمة للقيادة

وإذا ما طرحت نفسك قائداً مخلصاً فعليك أن لا تخشى لومة اللائمين،
وشماتة الاعداء، أو سخرية الاصدقاء، أو ما قد يُطلق حولك من الاشاعات
والتهم، كأن يقال عنك: إنك لا تملك التجارب والخبرات والمعلومات

الكافية. فاعلم إنَّ مثل هذه التهم إنما هي لشلَّ نفسك، وإفقادك الاعتماد على نفسك، وبناء على ذلك فإن على الانسان المخلص أن يطرح نفسه دون أن يخاف تلك الضغوط، ممتلئاً بالثقة بنفسه وقضيته، مخلصاً نيته في هذا الطريق، حيث إنه لا يريد من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا يهدف من الوصول الى القيادة إشباع حب الرئاسة في نفسه.

فلا تثبّطك أقوال الناس على الاستمرار في شق طريقك، فإنَّ من أهم الاشياء التي يجب أن يتسلح بها الرسالي المجاهد في سبيل الله هو التحصن ضد لومة اللائمين، والثقة بالنفس، والتوكل على الله تعالى، والابتعاد عن المصالح الذاتية.

وقبل أن تدّعي القيادة - أيها الرسالي - لا بد أن تدعو الله عز وجل بهذا الدعاء القرآني: ﴿وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١)، فعليك أن تعتبر نفسك إماماً وقائداً دون أن تطغى، ودون أن يملأ الغرور نفسك، ودون أن تدّعي ما ليس فيك ف «المرءُ حيثُ وَضَعَ نَفْسَهُ»^(٢) و «قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»^(٣)، وعليه فاذا كان لدينا من الارادة ما يكفي لتحقيق الشروط الذاتية في أنفسنا من مثل سعة الصدر، وبُعد النظر، والصبر، والمعرفة في حدود القضية التي نحملها، وبالتالي الثقة بالذات، ومقاومة الضغوط التي تستهدف سلب ثقتنا بانفسنا، فاننا سنحقق جزءاً مهماً من الارضية اللازمة للقيادة.

١ - سورة الفرقان، آية ٧٤.

٢ - عيون الحكم والمواعظ [لليثي]، ص ٥٧.

٣ - نهج البلاغة [صباحي الصالح]، ص ٤٨٢.

الشروط الموضوعية للقائد

وهناك شروط موضوعية لا بد من توفيرها لكي تكون القيادة ناجحة وموفقة. إنَّ من أبرز هذه الشروط أن تتفاعل مع الجماهير التي تعيش في الوسط الذي تعيش فيه أنت، فأفراد هذه المجموعة من القاعدة الجماهيرية التي تسعى من أجل توجيهها يمتلكون في أنفسهم آمالاً وتطلعات قد يعبرون عنها تعبيراً دقيقاً، وقد يخطؤون التعبير ولكنهم يتحسسونها، ولذلك فإن على القائد أن يعرف هذه الآمال والتطلعات.

فهناك البعض من الجماهير يبحثون عن الحرية، وهم عادة يمثلون القسم الأعظم، ومنهم من يبحث عن العدالة، والبعض الآخر عن التقدم، وآخرون عن المجد، ومنهم من يبحث عن الوجوه والعناوين، وهكذا فإن عليك ان تطرح في شعاراتك القضية الحقيقية السليمة التي تعيشها أوسع طبقة من الجماهير، وبالطبع فانك لا تستطيع أن تتوغل في أعماق الجماهير لتعرف توجهاتهم الحقيقية دون أن تقترب منهم، وتستمع اليهم، وتعرف لغتهم، وتتحدث بها اليهم، وأن تبحث عن الزوايا والخبايا والمنعطقات الموجودة فيهم.

إنَّك عندما تنظر الى المرتفعات والتلال في الأفق من بعيد فانها تبدو لك كاجلجبل المتراص، ولكنك اذا اقتربت منها فسوف لن تجدها في مستوى واحد بل فيها الكثير من التضاريس، وهكذا الحال بالنسبة الى الجماهير فانهم يبدوون وكأنهم كتلة متراسة، ولكنك إذا توغلت فيهم اكتشفت الاختلافات،

والانحناءات، والتعرجات داخل هذه الكتلة، وعليك - كقائد - أن تتعرف على كل ذلك بشكل دقيق من خلال معايشة قضايا الجماهير عن كثب.

عنصر الشجاعة

ومن الممكن أن تشعر الجماهير بقضية ما ولكنهم لا يمتلكون الشجاعة الكافية لطرحها، فينبغي أن تكون لديك من الشجاعة العلمية والعملية ما يمكنك من طرح قضايا الجماهير بكل جد وصراحة. صحيح إن الجماهير من الممكن أن لا تلتفت حولك في البدء، ولكنك سرعان ما تجدهم بعد ذلك في صفك وتحت لوائك.

إنَّ الأمة الاسلامية بحاجة اليوم الى طاقات قيادية وكفاءات، وانعدام هذه الطاقات والكفاءات انما هو دليل على صعوبة الحصول عليها، ذلك لأنَّ القيادة تعتبر طريقاً مليئاً بالمشقات والصعوبات، كما تتطلب التضحيات، ولذلك فان الغالبية العظمى من الجماهير تتهرب منها

شروط موضوعية اخرى

ومن الشروط الموضوعية الاخرى لقيادة الجماهير أن تقودهم على مراحل بحيث لا تقول في البدء كلاماً ثقيلاً يتعب أذهانهم، أو أن تحملهم اكثر من مستوى وعيهم الرسالي.

ومن الشروط الموضوعية الأخرى أن تتعلم من الجماهير قبل أن تعلمهم، فالجماهير هي بحر زاخر من المعلومات والتجارب، ولكنهم ولأسباب قد تكون وجيهة لا يطرحون معلوماتهم أو تجاربهم مباشرة بل قد ترد على ألسنتهم كناية، أو يشيرون إليها في أمثلتهم.

وعلى هذا فإن من المشاكل الرئيسية في بلادنا أن لغة المثقفين هي فوق مستوى لغة عامة الناس، ولذلك فإن من يتشقف ينفصل عادة عن الجماهير ثقافياً ولغوياً بل وحتى بيولوجياً، فنراه يتكلم بموضوع يهم الجماهير ولكن بلغة أخرى لا تفهمها هذه الجماهير، فلا يصغى إليه أحد.

ولذلك نرى إن الذين يخاطبون الجماهير، ويتحدثون عنهم كثيرون ولكنهم يتحدثون بغير لغتهم، ومن هنا اقتضت حكمة الله عز وجل أن يبعث الرسل من المجتمعات التي ينتمون إليها لكي يكونوا عارفين بلغتهم، وعاداتهم الاجتماعية، كما يشير إلى ذلك تعالى في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(١).

وكما يشير إلى ذلك أيضاً الحديث الشريف المروي عن رسول الله ﷺ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»^(٢).

وهكذا فإن علينا أن نتكلم مع الناس بقدر عقولهم ومداركهم، وبذات اللغة التي يتحدثون بها، فنحن لا نستطيع أن نستوعب تجارب الناس

١ - سورة إبراهيم، آية ٤.

٢ - الكافي، ج ١٥، ص ٦٠٨.

ومعلوماتهم إلا اذا عرفنا لغتهم، فعلينا أن نستفيد من تجارب الناس، وأن لا نتعالى عليهم، لانهم يرفضون من يتعالى عليهم، وعلى العكس من ذلك فانهم اذا رأونا فيهم، ومنهم، ومعهم، فحينئذ سيعتبرونا جزءاً منهم، وبذلك سيمنحونا الثقة التي هي من اهم العوامل التي من الممكن أن يكتسبها القائد من جماهيره بهدف إصلاحهم وتوجيههم الى الرشاد.

إن تحقيق تلك الشروط - سواء كانت ذاتية ام موضوعية - يعتبر من الامور الصعبة، ولذلك علينا أن نتضرع الى الله سبحانه وتعالى ونطلب منه التوفيق بأن يجعلنا للمتقين إماماً.

إن الأمة الاسلامية بحاجة اليوم الى طاقات قيادية وكفاءات، وانعدام هذه الطاقات والكفاءات انما هو دليل على صعوبة الحصول عليها، ذلك لأن القيادة تعتبر طريقاً مليئاً بالمشقات والصعوبات، كما تتطلب التضحيات، ولذلك فان الغالبية العظمى من الجماهير تتهرب منها.

العلماء الربانيون هم القادة الحقيقيون

إن القائد الحقيقي يتمثل في العالم الرباني الذي يعمل لله، ويقود الناس الى الله وفي سبيله، وبذلك يكون له أجر عظيم عند الخالق عز وجل، ونحن لو قارنا العالم بالعباد لرأينا ان الثاني يستهدف إنقاذ نفسه من العذاب فحسب في حين أن العالم يبذل جهده لكي ينقذ الناس جميعاً في مشاكل الدنيا وعقوبات الآخرة، ولذلك جاء في الحديث الشريف: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ

الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(١)، وفي حديث آخر عن النبي ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُمْ»^(٢).

ولذلك فقد أصبح العلماء ورثة الانبياء، وكان علماء أمة محمد ﷺ كأبناء بني اسرائيل - كما في الأحاديث الشريفة^(٣) فالأمر - إذن - ليس هيناً، ولكن علينا أن نتقبله، لأن العالم الإسلامي يفتقر اليوم الى مثل هذه الكوادر، فالامة الإسلامية ستظل تعيش ظروف التخلف والاستعباد والاستغلال حتى تتواجد القيادات الكفوءة لإنقاذها، وتعبير آخر؛ فان القيادات الكفوءة شرط ضروري لنهضة الأمة الإسلامية، وهي مقدمة للواجب حيث إن نهضة الامة الإسلامية واجب شرعي، ومقدمة الواجب واجبة أيضاً كما هو حكم العقل. ترى كيف يمكننا أن ننقذ الامة الإسلامية ونخدم قضاياها، وبالتالي كيف نستطيع ان نجعل من الشعوب الإسلامية شعوباً ناهضة في كل مكان؟ لا شك إن القيادات الكفوءة هي السبيل الى ذلك، ولكن كيف نصنع مثل هذه القيادات؟

إن السبيل الى تربية مثل هذه الكوادر القيادية يتمثل - ولا شك - في تنمية كفاءاتنا وقوانا، والعمل من أجل اداء المسؤولية الضخمة الملقاة على

١- بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٨.

٢- بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٤٥.

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» الكافي: ج ١، ص ٣٢، ح ٢. وقال رسول الله ﷺ: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢، ح ٦٧.

عائقنا، فعلى أن نتقدم ونبادر الى انجازها بالشكل المطلوب، وكما امرنا الله سبحانه وتعالى، مستمدين الثقة من الخالق اولاً، ومن الجماهير ثانياً، ومتوكلين على الباري عز وجل في كل الأحوال.

الحركة الاسلامية والجماهير

هناك مشاكل وعقبات كثيرة تعترض مسيرة الحركة الاسلامية في العصر الراهن، ومن أهم هذه المشاكل والعقبات واكثرها إعاقة لنشاط الحركات الاسلامية مشكلة وجود الحواجز القائمة بين الطليعة الرسالية وبين القاعدة الجماهيرية، وبعبارة أخرى؛ بين النخبة التي تحمل رسالة التغيير والثورة، وبين الجماهير الحاملة لبذور هذه الثورة.

الحركة الاسلامية حركة جماهيرية

وفيما يتعلق بهذه المشكلة أو العقبة فان الانظمة الطاغوتية تحارب الحركات الاسلامية أساساً لعدة أسباب، من أبرزها أن من خصائص الحركة الاسلامية أنها سرعان ما تتنامى وتتسع في الوسط الذي تظهر فيه، والسبب في ذلك أن بذور هذه الحركة منتشرة بين القطاعات الواسعة للجماهير، في حين أن الحركات ذات الطابع السياسي البحت - وعلى الرغم من ارتباطاتها الخارجية، وتنظيمها الدقيق - لا تستطيع أن تستقطب عدداً كبيراً من

الانصار والمؤيدين، وتجربة عدة عقود من جهاد شعوبنا دلت بوضوح على حقيقة أنَّ الحركات السياسية تبقى محصورة في مجموعة قليلة تكون عادة منفصلة عن الجماهير، مثل الحركات القومية، والحركات الماركسية، فلقد اصطدمت كلها بهذه الحقيقة بعد سعي دام ربع قرن أو أكثر، هذا في حين أنَّ الحركة الاسلامية اثبتت انها الحركة الوحيدة القادرة على استقطاب اوسع قطاع ممكن من الجماهير لصدقها، ولكونها نابعة من ضمير هذه الجماهير، ومتحدثة بلغتها.

إستقطاب الجماهير

ومع ذلك فان هذه الظاهرة لا تعني بالضرورة أنَّ بإمكان الحركة الاسلامية إجتذاب واستقطاب الجماهير بصورة عفوية، بل إنَّ عليها أن تسعى وتبذل الجهود في هذا المجال، وهذا ما يمثل إحدى العقبات التي تعترض طريق الحركات الاسلامية اليوم، فكيف - يا ترى - تستطيع هذه الحركات أن تصبح جماهيرية؟

قبل الاجابة على هذا السؤال لا بد من أن نجيب عن سؤال آخر هو:

ما هي العقد الاجتماعية التي تحول دون جماهيرية الحركة الاسلامية؟

في الجواب نقول: إنَّ لغة هذه الحركة وطريقتها في التعبير عن أفكارها قد تختلفان عن لغة الجماهير، وطرق تعبيرها عن مشاعرها؛ وعلى سبيل المثال فان شعارات وكلمات من مثل (لا اله إلا الله) و(الله اكبر) تمثل لغة الحركات

الإسلامية، هذا في حين أن الجماهير وبسبب ابتعادها عن عصر الوحي قد لا تفهم معنى ومغزى هذه الكلمات، فهي قد لا تدرك أن المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد والتكبير هو إسقاط كل الطواغيت والانظمة الفاسدة.

حاجة الجماهير الى اللغة المناسبة

وهكذا فإن الجماهير بحاجة الى من يبين لها المعنى الحقيقي للإسلام بلغتها ومنطقها، وفي هذا المجال أرى أنَّ علينا أن نستوحي من الآيات القرآنية، والشعائر الإسلامية معانٍ ومضامين تمس حياة الجماهير وحاجاتها.

إنَّ علم الدين ليس حُكراً على من يتخرج
من مؤسسات تعليمية خاصة،
وبناء على ذلك فإن المطلوب من الشباب أن يدرسوا العلم
دراسة معمقة من خلال مراجعة المصادر الدينية،
والتدبر في القرآن الكريم

بالإضافة الى ذلك، فإن هناك مؤسسات تفصل بين الجماهير وبين النخبة الطليعية من أبناء الحركة الإسلامية، وهذه المؤسسات تحاول أن تسرق الجماهير من هذه الحركة مدعية أنَّ الدين الصحيح هو ذلك النمودج القشري المهادين الذي تقدمه، وقد تخرَّجَ من مثل هذه المؤسسات الكثير ممن حاول أن يكرس في ذهنية الجماهير الإسلام القشري، ولا بد أن كل واحد منا قد

اصطدم بمثل هؤلاء الذين يقول عنهم الحديث القدسي الذي خاطب به الله عز وجل داود عليه السلام: «لَا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِمًا مَّفْتُونًا بِالدُّنْيَا؛ فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي؛ فَإِنَّ أَوْلَيْكَ قُطَاعُ طَرِيقِ عِبَادِي الْمُرِيدِينَ، إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي مِنْ قُلُوبِهِمْ»^(١).

ومن أجل حل هذه المشكلة سأعرض ثلاثة حلول:

ألف: توجه الشباب نحو العلم الديني

إنَّ علم الدين ليس حُكْرًا على من يتخرج من مؤسسات تعليمية خاصة، وبناء على ذلك فإن المطلوب من الشباب أن يدرسوا العلم دراسة معمقة من خلال مراجعة المصادر الدينية، والتدبر في القرآن الكريم لكي لا يدَّعوا الآخرين يسبقونهم في تفسير الدين حسب أهوائهم وأهواء سلاطينهم.

باء: الإستلham من المصادر الأصلية

وعلى سبيل المثال فإن هناك - للأسف - البعض من المؤلفين يصدرون الكتب حول الاسلام، وعندما نقرأ هذه الكتب لا نجد فيها في الغالب استشهاداً بآية، أو حديث صحيح، أو قصة تاريخية موثقة من السيرة، وهذا خطأ فظيع لأنَّ المفروض منا عندما نتحدث بحديث حول الاسلام أن نبحث عن أصله ومصدره في القرآن والسنة والسيرة ومؤلفات الفقهاء.

جيم: نشر الاسلام على نطاق واسع

إنَّ الكثير من ابناء الحركة الاسلامية لا يكلّفون أنفسهم عناء نشر الاسلام في أوسع دائرة ممكنة، بل يكتفون بنشره في الوسط الذي يعيشون فيه معتقدين أنَّ الاسلام حكر على شريحة معينة، في حين أنَّ الداعية المسلم ينبغي عليه أن يختلط بأوسع قطاعات ممكنة من الجماهير.

ومع ذلك يبقى هذا السؤال يطرق الاذهان: ما هي اللغة التي يجب أن نتحدث بها مع الجماهير، ونستطيع بواسطتها ان نستقطبهم؟
للاجابة على هذا السؤال اذكر الملاحظات التالية:

١ - الاستعانة بجميع الوسائل الاعلامية

علينا من أجل تبليغ الرسالة الاسلامية أن نستعين بكل الوسائل الاعلامية، وأن لا نكتفي بالكتب والمنشورات وسائر الوسائل التقليدية، فهناك وسائل أخرى من الممكن استخدامها مثل القنوات الفضائية وشبكة الانترنت، وما الى ذلك.

٢ - توظيف الفن

للفن أثر فاعل في تقريب الافكار الى الحقيقة، وللاسف فإنَّ الفن في الاوساط الاعلامية الاسلامية لم يصل بعد الى ما ينبغي أن يصل اليه، ومن المعلوم إنَّ الفن لم يعد اليوم مقتصرًا على الشعر، فهناك - كما

هو معلوم - فنون ادبية شاع استعمالها في العصر الحديث مثل القصة، والمسرحية، والافلام، والفن التشكيلي التي عادة ما نغفل عن أثرها، وعلى سبيل المثال فان البوسترات، والملصقات من شأنها أن تلعب دوراً كبيراً في توجيه الجماهير.

وفي هذا المجال من الضروري أن نذكر أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعين بالتصوير الفني الجذاب في عرض الحقائق، كتصوير مشاهد يوم القيامة، لأنّ هذا التصوير الفني من شأنه أن يثير في الانسان قوة الخيال التي هي إحدى القوى التي تقرب الحقيقة، وتجسدها أمام ذهن الانسان.

إنّ بعض الحركات الاسلامية عندما تتوجه الى الجماهير ترى منهم بعض الجفاء وعدم التجاوب، وفي هذه الحالة فان علينا أن لا نعلم الى تكفيرها والتذمّر منها، بل علينا أن نعمل بصبر بينها، ونحاول أن نستقطبها ونجذبها باتجاهنا

٣- توجيه التشكيلات الجماهيرية

علينا في مجال توجيه الجماهير أن لا نطلب منهم ما نطلبه من المثقفين، لأنّ هؤلاء لهم اسلوب خاص في التوجّه، فهم مستعدون اكثر من غيرهم لتقبل الاساليب الحديثة في التنظيم. أما تنظيم الجماهير ككل فيجب أن يتبع الاساليب العفوية، وعلى سبيل المثال فان النبي ﷺ كان عندما يفتح

قرية أو مدينة يُبقي على نفس التشكيلة السائدة فيها، ولكنه كان يعتمد الى تهذيبها وتوجيهها بشخص معين، وهذه من الحقائق التي يذكرها المحللون التاريخيون، ويعتقدون انها سر نجاح الكثير من الفتوحات الإسلامية.

وعلى هذا الاساس فان التشكيل الطبيعي (مثل تشكيل العشيرة والقبيلة) هو مما لا يرى فيه الاسلام بأساً شريطة تهذيبه، وفي هذا المجال يروى انه سئل الامام علي بن الحسين عليه السلام عن العصبية فقال: «الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعَيِّنَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»^(١).

وعلى هذا الاساس فليس من الصحيح المبادرة الى تفكيك النظام العشائري والقبلي في القرى والارياف والبوادي، بل بإمكاننا أن نستفيد منه ايجابياً، وهكذا الحال بالنسبة الى التشكيل الاسري، ففي بعض المجتمعات لا يمكن للانسان أن يعمل إلا من خلال الاسرة، فلا يجوز لنا في هذه الحالة أن نفصل الابن عن أسرته، بل لنحاول أن نستثمر هذه الحالة في التأثير الايجابي على الابن والأسرة معاً.

وبناء على ذلك فان من الأساليب الفاعلة الدخول ضمن تشكيلات الجماهير، فليس من المنطق أن نسعى من أجل تغيير تركيبة الجماهير وتشكيلاتها.

١- الكافي، ج ٢، ص ٣٠٨، ح ٧.

٤ - إضمار الحب للجماهير

إنَّ بعض الحركات الاسلامية عندما تتوجه الى الجماهير ترى منهم بعض الجفاء وعدم التجاوب، وفي هذه الحالة فان علينا أن لا نعتمد الى تكفيرها والتذمّر منها، بل علينا أن نعمل بصبر بينها، ونحاول أن نستقطبها ونجذبها باتجاهنا، ولنا في هذا المجال اسوة حسنة بالنبي ﷺ، فقد كانت معركة أحد من أشدّ الساعات عليه حيث كُسرَت ربايعيته، وشُجَّ وجهه، فشق ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١)، فلم يدع عليهم رغم كل ما لاقاه منهم، بل دعا لهم.

ونحن أيضاً علينا أن نتعامل مع شعوبنا برحابة صدر، فهذا الجفاء الذي قد نراه منها هو نتيجة بقائها لفترة طويلة بعيدة عن التوجيه والتوعية، ولأنَّ قطاع الطرق سدّوا الطريق أمامها، وكرّسوا في اذهانها التصورات الخاطئة حول الحركة الاسلامية فاستطاعوا التأثير فيها سلباً.

٥ - اكتشاف مفاتيح الدخول الى الجماهير

إنَّ الجماهير ليست ابواباً مغلقة، فهناك مفاتيح ينبغي على الانسان الرسالي أن يتجه اليها ليفتح من خلالها أبواب أفكار الجماهير، وعلى هذا ينبغي التفتيش في كل مجتمع عن المفاتيح التي نستطيع بواسطتها الدخول بين

١ - جواهر الحسان في تفسير القرآن [تفسير الثعالبي]، ج ٢، ص ١٠٤.

اوساطه لنوظفها في توجيهه، وبعث الروح الإسلامية فيه.

لا بد من نهضة

لا بد أن نقوم بنهضة، وأن نسعى من أجل تحريك الجماهير وتوعيتها - وإن طال الزمن - من خلال التبليغ، وإيصال الفكر الصحيح إليها، وإن تطلّب ذلك منا أن نتعرض الى قسوة الطغاة وممارساتهم القمعية، ولذلك يقول الحديث الشريف: «إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ»^(١)، ذلك لأنّ هذه الكلمة هي التي تقلدنا وسام الشهادة، لأنّها تهز عروش الظالمين، وتنزع الهيبة المصطنعة عنهم، وبذلك تنهدم حواجز الخوف، وتتحرك الجماهير باتجاه الاهداف الالهية.

١ - الكافي، ج ٥، ص ٦٠.

مسؤولية الجماهير تجاه الطليعة

يختلف الناس بالنسبة الى الجهاد في سبيل الله - الذي يمثل قمة ايمان الانسان، واروع تجليات تضحيته - الى فئات شتى؛ فالبعض يختارون التحليق حول القمة أو الوصول اليها بشكل مباشر، في حين نرى البعض الآخر يختارون دعم المجاهدين وتأييدهم، أما القسم الثالث فانهم يلتحقون بالركب ولكن في مرحلة متأخرة، والفئة الرابعة هي الفئة التي لا ترتبط بالقمة ولا بمن تحتها، لا من قريب ولا من بعيد.

وهذه الفئات المختلفة تختلف أيضاً درجاتهم عند الله سبحانه وتعالى، فالمجاهد أخ المجاهد، وسنده في كل شيء، إذ المجاهد الذي يتصل برابطة الجهاد بسائر المجاهدين يُعتبر إلى جانب إخوته كالفرد الواحد وان اختلفت الأبدان، فالروح هي روح واحدة لا تختلف، وهم في الدنيا اخوان، وفي الآخرة اخوان على سرر متقابلين.

أما المجاهد والقاعد فان علاقتهما ببعضهما هي أيضاً علاقة قرب وتأيد؛

فالمجاهد رائد للقاعدين وقائدهم، وهو يتصل بهم ويؤيدهم، ويبدل قصارى جهده من أجلهم، كما يبذل القاعدون قصارى جهودهم من أجله، فهم يؤيدونه بالدعم المادي والمعنوي، ويقومون بالاعلام له وتأييده، والرضوخ والتسليم لقيادته.

اما الفئة الثالثة - وهي الفئة التي لا ترتبط بالمجاهدين ولا القاعدين - فهي لا تتصل بركبهم إلا في المراحل التالية، فهم يجاهدون ولكن ليس في بداية مرحلة الجهاد، بل يجدون انفسهم في صفوف المجاهدين في وقت متأخر، والموقف منهم هو أيضاً موقف التلاحم والاخوة الجهادية ولكن ليس بمستوى اولئك المجاهدين الاوائل السابقين الى الجهاد.

اما الموقف من الذين لا يمتون الى الجهاد بصلة، ولا يبذلون جهودهم من أجل تأييد المجاهدين، ولا يلتحقون بركبهم، فانه مختلف جداً، لان هؤلاء سوف يقطعون حبل الولاء بينهم وبين قيادة الامة، وبينهم وبين طليعتها، وبالتالي بينهم وبين ركب الجهاد.

إنَّ القرآن الكريم يبيِّن لنا في نهايات سورة الانفال التي خُصِّصَتْ من أجل ايضاح مسائل الجهاد والقتال، يبيِّن لنا مواقف الناس تجاه الجهاد، وهؤلاء الناس هم الفئات الاربع التي اشرنا اليها، كما ويبيِّن أيضاً مواقف المجاهدين بل ومواقف المؤمنين من الكفار الذين يعتبرهم القرآن ملة واحدة حتى لو اختلفت مشاربهم ومذاهبهم وادعاءاتهم ومواقفهم التكتيكية، لانهم لا يختلفون في المواقف الاستراتيجية، فموقفهم من المجاهدين هو بالتالي موقف موحد ولكن

أساليبهم تختلف في التعبير عنه، أما الجوهر فيبقى على ما كان عليه.

ملائع المجاهدين

وقد اشار القرآن الكريم الى الطليعة من المجاهدين في الآية ٧٢ من سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

إِنَّ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْيَوْمَ فِئَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ
بَذَلَتْ أَرْوَاحَهَا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَشَرُّوا الْجَنَّةَ بِأَنْفُسِهِمْ،
وهؤلاء جميعاً هم في قمة الإيمان والتسليم لله عز وجل،
وهؤلاء هم الذين سيكونون سادة أهل الإيمان في الجنة

فهؤلاء هم الطليعة وهم السابقون، ولكنهم مع ذلك لا ينفصلون عن القاعدين والمؤيدين الذين يتبعون خطاهم، وهم الذين يقول عنهم الله في نفس الآية: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

ثم يقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾^(١)، وهؤلاء هم الذين يدعون الايمان، ولكنهم لا يجاهدون في سبيل الله، ولا يؤيدون المجاهدين، بل يتخذون منهم موقفاً مضاداً أو محايداً بينهم وبين الفئات الكافرة، وهؤلاء ليس بينهم وبين الفئة المجاهدة ولاية وصلة كما يقول تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

١- سورة الانفال، آية ٧٢.

حَتَّى يُهَاجِرُوا^(١)؛ اي حتى يلتحقوا إما بركب المجاهدين أو بركب المؤيدين للمجاهدين الذين ينصرون ويأوون المجاهدين.

ثم يستأنف السياق القرآني الكريم في شيء من التفصيل قائلاً: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. إِنَّ أولئك الذين لا يجاهدون في سبيل الله، ولا ينصرون المجاهدين رغم أَنَّ الولاية مفصولة عنهم فأنَّ على المجاهدين أَنْ يهَبُّوا لنجدتهم وينصروهم اذا تعرضوا للظلم، لان المجاهدين لا يعملون من أجل انفسهم أو بلدهم أو قوميتهم بقدر ما يعملون من أجل الانسانية جمعاء.

الكفر ملة واحدة

ثم يقول عز من قائل وهو يحدد الموقف من الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(١)، فالكفار يمثلون كلهم ملة واحدة، فإن لم يتخذ المؤمنون هذا الموقف المتشدد من الكفار، وكان موقفهم موقفاً متميعاً وغير قائم على أساس قرآني ومبدئي، فستحدث الفتنة ويتشر الفساد العريض في الارض.

صحيح إِنَّ المؤمنين في هذه الحالة سوف يبذلون قصارى جهدهم من أجل انقاذ الوطن ولكن الذي يحصد نتائج أعمالهم سيكون ذلك الكافر الذي لم يتخذ المؤمنون منه موقفاً متشدداً، فكم حدث في التاريخ أَنَّ المؤمنين بذلوا،

وناضلوا، وأرخصوا دماءهم الزكية ولكن الذي سرق جهودهم كان الكفار.

ثم يستأنف تعالى مشيراً إلى الفئة الرابعة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾^(١)، وهي الفئة التي تلتحق بركب المجاهدين في وقت متأخر، وهؤلاء سيصبحون جزءاً من الكيان الجهادي للامة رغم أن مرتبتهم ودرجتهم أقل من المجاهدين السابقين.

إن في العالم الإسلامي اليوم فئات كثيرة من الناس بذلت أرواحها من أجل الله سبحانه وشروا الجنة بأنفسهم، وهؤلاء جميعاً هم في قمة الإيمان والتسليم لله عز وجل، وهؤلاء هم الذين سيكونون سادة أهل الإيمان في الجنة، وهنيئاً لهم هذه الدرجة الرفيعة، فلقد بذلوا أنفسهم كأحسن ما تبذل نفس في سبيل الله، واختاروا هدفهم بوعي، فهم أعلم من فلاسفة التاريخ، وأكثر إيماناً من الذين يمضون الليل والنهار في عبادة ربهم، لأن إيمانهم هو إيمان الجهاد، ولأن الله جل وعلا فتح لهم إلى الجنة التي هي دار ضيافته باباً خاصاً، فالجهاد كما يقول الإمام علي عليه السلام: «بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ»^(٢).

ونحن إن استطعنا أن نكون من هؤلاء، وأن نحمل أرواحنا في كف، ورسالتنا وقرآننا في الكف الآخر، ثم ندخل خنادق الجهاد.. إن استطعنا أن نفعل كل ذلك فعلينا أن لا نتأخر ولو للحظة واحدة، فعملنا هذا هو القمة في الشموخ، والذروة في العزة، والتاريخ الذي نصنعه لأمتنا.

١- سورة الانفال، آية ٧٥.

٢- بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ٦٤.

كيف نسير على خطى المجاهدين؟

وإن لم نستطع أن نفعل ذلك، وخانتنا إرادتنا، وغلّتنا أغلال الهوى،
وشدّتنا الاثقال الى الارض، فعلينا أن نختار الموقف الثاني؛ أي أن نكون من
القاعدين الذي لهم بدورهم أجرهم عند الله.

إذا ارتفعت الامة الاسلامية الى مستوى المجاهدين،
وإذا عبأت طاقاتها ضمن هذا النهج الرسالي،
فإن هذا يعني أن مستقبلنا سيكون بخير،
واننا سننتصر،
لأن واجب الايواء والنصرة هو واجب هام

والقاعدون هم الذين يؤيدون المجاهدين وإن لم يرافقوهم في مسيرتهم
بشكل عملي. يقول الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وسائر المسلمين لهم مسؤوليتهم أيضاً، فهم الآخرون ينبغي أن يسيروا
على خطى المجاهدين ويؤيدوهم بأن ينشروا اخبارهم، ويبينوا افكارهم،
ويستجيبوا لطلباتهم، ويقوموا بدور التعبئة لهم، فالأب الذي لم يصل الى مرتبة

١ - سورة النساء، آية ٩٥.

المجاهدين عليه أن يسمح لابنه أن يلتحق بهم، والابن الأكبر عليه أن لا يمانع من أن يقوم الابن الأصغر بدور الجهاد في سبيل الله.

إنَّ الموظف والعامل والفلاح وكل من لا يستطيع أن يتفرغ للجهاد عليه أن يقوم بدور المؤيد، وأن لا يدع المجاهدين يحتاجون الى لقمة الخبز، ولا يدعمهم يستشهدون بسبب انعدام الإمكانيات المطلوبة.

وإذا ارتفعت الأمة الإسلامية الى مستوى المجاهدين، وإذا عبأت طاقاتها ضمن هذا النهج الرسالي، فإنَّ هذا يعني أنَّ مستقبلنا سيكون بخير، واننا سننتصر، لأنَّ واجب الايواء والنصرة هو واجب هام.

إنَّ الواحد منا لو وفر (١٠٪) من ماله من أجل دعم وإسناد العمل الرسالي هنا وهناك لتغيّرت مسيرة حياة الأمة الى الأفضل.

إنَّ لم تكن من المجاهدين فكن على الاقل من القاعدين الذين يقول عنهم سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾، وان لم تكن ممن يبذل نفسه في سبيل الله ويتفرغ من أجل العطاء، فكن ممن يساعد المتفرغين للجهاد.

ونحن إذا بلغنا هذا المستوى من العمل فإنَّ نصر الله عزَّ وجل سينزل علينا، ولا يخفى أنَّ الارض الإسلامية لا تخلو من العاملين في سبيل الله، ولكن تبقى المسألة المهمة مدى دعم الجماهير لهم، ونحن نهيب بهذه الجماهير أن تلتف حول هذه المسيرة الرسالية من خلال تأييد الحركات الإسلامية المخلصة في كل مكان.

رسالة الحركة الاسلامية

- ١- الرؤية الاسلامية في الصراع
- ٢- البُعد الاصلاحى للرسالة الاسلامية
- ٣- الحركة الاسلامية في مواجهة سلبيات الواقع
- ٤- الحركة الاسلامية والتحديات الحضارية
- ٥- لا لشرعية النضال، نعم لمشروعيتها
- ٦- الحركة الاسلامية ومؤامرات الأعداء
- ٧- الحركة الاسلامية في مواجهة التحديات
- ٨- الحركة الاسلامية والضرورة السياسية
- ٩- من أجل حركة اسلامية عالمية
- ١٠- من أجل حكومة الصالحين

الرؤية الإسلامية في الصراع

من الضروري أن يتعرف الإنسان المسلم على الرؤية الإسلامية الأصلية تجاه الخلافات البشرية القائمة، والتي تنعكس أحياناً على الخلافات الدينية كالخلاف بين الأديان السماوية، وبين المذاهب التي تتبع ديناً واحداً، وبين الفقهاء والمراجع الذين يتبعون هم بدورهم مذهباً واحداً، وبالتالي الخلافات بين التيارات المختلفة للحركات التغييرية في الاتجاه الإسلامي الواحد.

الغرض من هذه الرؤية

إنَّ وجود هذه الرؤية لدى الإنسان المسلم ينفعه لسببين:

١ - إنها لا تدعه ينساق وراء الخلافات إلى الحد الذي يفقد فيه دينه وقيمه، بل تجعله يحدد الخلاف الذي يتصارع ضمن إطاره وفق قيمه العامة، ووفق إلزامه بالشريعة والدين، ولا تدع هذا الخلاف يسيطر عليه، ويجعل سلوكه رد فعل للأطراف الأخرى، فيكون كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَنَّا قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١١﴾.

فالبغض، والحق، والخلاف القائم في طرفٍ يجب أن لا يترك اثره في الطرف الاسلامي فيخرجه عن إطار قيمه.

٢- إنَّ تمتعنا بهذه الرؤية يجعلنا لا نفقد الثقة بالدين، فهناك الكثير من ضَعْفَ أثر الدين في نفوسهم عندما رأوا الخلافات المذهبية الطائفية، أو الخلافات داخل الطائفة الواحدة بين الحركات المختلفة، فتركوا الدين على أثر ذلك، واخذوا يتجهون يمينا وشمالاً، ولو كانت لديهم رؤية اسلامية ورسالية متكاملة عن الخلافات وسببها لأصبحوا متسلحين بهذه الرؤية، ولما خرجوا من حدودها، ولما ضعف الايمان في قلوبهم.

ترى ما هي هذه الرؤية؟ وما هي تفاصيلها ومفرداتها؟

القرآن الكريم يحدد هذه التفاصيل والمفردات في سورة المائدة، وهي التالية:

الصراع سنة طبيعية

اولاً: يرى القرآن الكريم أنَّ الخلافات الموجودة بين البشر هي خلافات فطرية ارادها الله تعالى، فليست كلها ناشئة من إرادة الشيطان، فالله عزَّ وجل الذي خلق الناس بالسنة مختلفة، وتطلعات متباينة، وفي أراضٍ متعددة،

زوّدهم بأغراض وأهداف يختلف بعضها عن البعض الآخر، فهو تعالى لم يخلق البشر أمةً واحدة بل خلقهم أُمماً متفرقة.

وهكذا فقد خلق الله تعالى الانسان على أساس الاختيار الحر، وأودع فيه تطلعات متباينة، وفَصَّل كل انسان على الآخر بميزة معينة لا توجد إلا في افراد معدودين، فهذا مزوّد بميزة الكتابة، والآخر بالخطابة، والثالث بالحزم والإرادة، والرابع، بالعلم وهكذا... لتكامل الحياة عن طريق هذه الميزات المختلفة.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ أَفْرَادَ الْبَشَرِيَّةِ
مُخْتَلِفِينَ عَنْ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ إِلَّا لِيَتَصَارَعُوا،
وَلِكِي يَسْتَخْرِجَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَكُلَّ فِئَةٍ وَفَرِيقٍ
كُلَّ مَا يَمْتَلِكُهُ فِي ذَاتِهِ مِنْ طَاقَاتٍ وَقُدَرَاتٍ،
فَالْإِنْسَانُ هُوَ كَالْأَرْضِ الَّتِي تَخْتِزِنُ فِي جَوْفِهَا الْمَعَادِنَ

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١).

فهو قادر على أن يجعلنا أمة واحدة ولكنه خلقنا مختلفين، فعندما نرى الخلافات فيجب علينا أن لا نتعجب لأنها سنة الله تعالى، والمجتمع الذي تنعدم فيه الاختلافات هو مجتمع ميت.

وإذا كانت الخلافات فطرية وطبيعية فلماذا جعل الله تعالى بعض الناس

يختلفون عن بعض في تطلعاتهم وميزاتهم الروحية؟

في هذا المجال يقول القرآن الكريم: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١).

وبدولي أن (الشريعة) تعني: المناهج المادية المختلفة في الحياة؛ كمناهج الاقتصاد والسياسة، والسلوكيات الاجتماعية والشخصية، فهذه كلها شريعة، اما (المنهاج) فيعني: الثقافات المختلفة عند الامم.

الصراع سبب لتفجير طاقات الانسان

ثانياً: إن الله تعالى لم يخلق افراد البشرية مختلفين عن بعضهم البعض إلا ليتصارعوا، ولكي يستخرج كل واحد منهم وكل فئة وفريق كل ما يمتلكه في ذاته من طاقات وقدرات، فالانسان هو كالارض التي تحتزن في جوفها المعادن، فكما أن هذه المعادن بحاجة الى من يستخرجها، فان الانسان بحاجة أيضاً الى استخراج معادنه وكنوزه التي يصورها الامام علي عليه السلام في قوله:

«وَتَحَسَّبْ أَنَّكَ جَرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ»^(٢)

فالعالم منطو فيك ايها الانسان، وذخائرك لا تنتهي، وآفاقك لا تحد، فأنت خلقت للبقاء لا للفناء، وانت في الكمالات قادر على أن تصبح في عداد الصديقين الذين يتلون الانبياء في الدرجة، فالامام الصادق عليه السلام يقول

١ - سورة المائدة، آية ٤٨.

٢ - الوافي، ج ٢، ص ٣١٩.

في اصحاب النبي ﷺ: «كَادُوا مِنَ الْفَقْهِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ»^(١)، والنبي ﷺ يقول عن سلمان (رض): «سَلَمَانٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٢)، فرفعه الى درجة قريبة من العصمة والنبوة، وانت أيضاً ايها الانسان قادر على أن تبلغ هذا المستوى الرفيع.

وفي هذا المجال يرى المؤرخون الجدد أن الحضارات إنما نشأت وتطورت على اساس من التحديات المتقابلة، فأَيُّ أمة من الامم كانت تتعرض الى هجوم عسكري وتريد أن تدافع عن نفسها، فانها تقوم بتفجير طاقاتها، واستنفار امكانياتها، فتصنع حضارة، فان الحضارة الرومانية - مثلاً - نشأت لانها تصارعت مع قوة اخرى.

وهكذا فان الامم إنما تستطيع تفجير طاقاتها، وبناء حضارتها بالصراع مع الأمم الأخرى، ونحن نعلم أن عدداً كبيراً من الاختراعات الحديثة إما توصل الإنسان إليها في أوقات الحروب، أو في أوقات الإعداد لها، فالدبابة صُنِعت قبل السيارة، والطائرات لم تُخترع في البدء لنقل الناس، وإنما لحمل القنابل المدمرة، وذلك لأنَّ الإنسان يحاول في حالة الحرب أن يكسبها لصالحه بأي طريقة، فيتحرك من أجل تفجير طاقاته.

الصراع يجب أن يوجه للبناء

ثالثاً: يرى الاسلام أن الصراع يجب أن يوجَّه نحو البناء لا الهدم، وعلى ضوء ذلك علينا أن لا نفكر بالهجوم لكي نحطم مزرعة العدو أو مصنعه،

١- الكافي، ج ٣، ص ١٢٦.

٢- بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٢٣.

لكي تبقى مزرعتنا ومصنعنا فنكون أقوى من العدو، بل علينا أن نفكر في كيفية بناء مزرعة جديدة ومصنع جديد لكي نمتلك مزرعتين ومصنعين في حين أن العدو لا يملك إلا مزرعة واحدة ومصنعاً واحداً، وفي هذه الحالة سنكون أقوى منه.

في شؤون الدراسة الرسالية على الطالب أن يتمتع بسلاح
الذهنية السياسية الواعية، فيجب عليه أن يكون مفكراً
سياسياً، لأن العدو قد يستخدم لعبة سياسية ضدنا
فنستطيع من خلال هذا الوعي السياسي
أن نكشف هذه اللعبة، ونجهض مخططات العدو

وفي هذا المجال هناك منطقتان متقابلتان؛ منطق يقول: إهدم تغلب العالم، وآخر يقول: إبن تغلب العالم، فالصين - على سبيل المثال - إهتمت بصنع القنبلة الذرية قبل أية صناعة أخرى، أما اليابان فانها طوّرت صناعاتها وتكنولوجيايتها لتصبح أول دولة في العالم من حيث التصدير في حين انها لا تمتلك قوة عسكرية، وعلى هذا فان اليابان تتقدم على أية دولة تملك السلاح المتقدم دون أن تملك الإقتصاد القوي والصناعة المتطورة.

ان القرآن الكريم يحثنا على التسابق والتنافس في ميدان الانتاج والإبداع
في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(١).

فلنستبق في سبيل استخراج ما نملكه في ذواتنا من قدرات وإمكانات، ولنبدأ في البناء، فهذا هو الذي يجعلنا نتصر على أعدائنا.

ولو كان العالم يتصارع مع بعضه البعض ويتنافس في مجالات البناء والتنمية لانهى هذا التنافس بتقدم الجميع، ففي هذه الحالة سيتقدم العالم الى الامام، وتُحل كل مشاكل البشرية... إِنَّ المجتمع البشري ميت بدون الصراع والتنافس، وهذه هي فلسفة الخلافات في الحياة.

ونحن عندما نريد أن نبني فإنَّ علينا أن نسبق الآخرين بالعمل، والجد، والاجتهاد، وفي هذا المجال يقول الامام الصادق (عليه السلام): «كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ»^(١)، وبالتأكيد فانه (عليه السلام) يقصد أن نطبق التعاليم الإسلامية على أنفسنا.

وقد كان الشيعة في ايام الامام الصادق (عليه السلام) معروفين بايمانهم، وصدقهم، وتقواهم، وزهدهم، وبجميع الصفات الخيرة، وبهذه الصفات استطاعوا أن يجذبوا الآخرين الى صفوفهم، أمّا اللسان فهو ليس مقياساً، بل إنَّ المقياس الاساس هو العمل الجاد، وبذل التضحيات، ومواصلة المسيرة البنائية والجهادية من خلال الاجيال التي ستأتي بعدنا.

وفي هذا المجال يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): «بَقِيَّةُ السَّيْفِ أُنْمَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وَلَدًا»^(٢)؛ اي إنَّ الذين يبقون في طريق الجهاد بعد أن تسبقهم الطلائع الى الشهادة، فان جذوة التحدي، وشعلة الامل ستتأججان في نفوسهم،

١ - الكافي، ج ٢، ص ٧٩.

٢ - نهج البلاغة [صبيح الصالح]، قصار الحكم، رقم ٨١، ص ٤٨٢.

فيتصرفون على عدوهم لانهم سيصبحون أقوى وأكثر عدداً.

والتاريخ يشهد لنا بهذه الحقيقة؛ ففي كل قرية، وعلى رأس كل جبل نرى مقراً ومزاراً للسادة الشهداء، وإذا ما سألنا انفسنا من اين جاء هؤلاء السادة من ذرية أهل البيت عليه السلام الى أعالي الجبال، وأقاصي الارض، لوجدنا السبب في ذلك أنهم كانوا يطارِدُون من قبل الطغاة، فكانوا يهربون الى الجبال وبعد وفاتهم كانت تقام على قبورهم مشاهد وقباب تبقى مع الزمن لتحدثنا عن البطولات والتضحيات التي قام بها هؤلاء الذين طوردوا وقُتلوا من أجل مبادئهم وقيمهم، فتحذوا بذلك القتل والتصفية الجسدية، فكان هذا التحدي سبب بركتهم وخلودهم.

الطواغيت لا يتحطمون بالكلام

إنَّ الطواغيت لا يتحطمون بالكلام وبالشعر والشعارات فقط، بل على الإنسان المؤمن أن يواجههم عن طريق العمل والتضحية، وعلينا كذلك أن نصنع الكوادر الرسالية، فنحن نمتلك طاقات وقدرات كثيرة وهائلة في الأمة، لكي نؤمن بذلك حاجتنا الى القادة والمفكرين والمخططين، وهذا ما لا يتحقق إلا في المدارس الرسالية، فكل لحظة يضيّعها الطالب دون استغلالها في الدراسة والمطالعة والتحصيل العلمي سوف تشهد عليه يوم القيامة، فالدراسة يجب أن تكون في كل الحقول.

وفي خضم مواجهتنا مع العدو لا يمكننا أن نكسب الحرب ضده من

خلال إستخدام سلاح واحد، بل علينا أن نستخدم كافة الاسلحة التي يوظفها هذا العدو ضدنا، وإلاّ فانه قد يستطيع القضاء علينا.

وفي شؤون الدراسة الرسالية على الطالب أن يتمتع بسلاح الذهنية السياسية الواعية، فيجب عليه أن يكون مفكراً سياسياً، لأنّ العدو قد يستخدم لعبة سياسية ضدنا فنستطيع من خلال هذا الوعي السياسي أن نكشف هذه اللعبة، ونجهض مخططات العدو.

إنّ الاهتمام بتوفير كل الإمكانيات اللازمة لمواجهة الطغاة أمر لا بد منه، وعندما نقصّر في إعداد هذه الإمكانيات فاننا سنواجه العدو غداً بدون عدّة، في حين ان الله تعالى أمرنا ان نواجه العدو بكل قوة ممكنة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١)، فكل شيء تتحدى به العدو هو قوة سواء كان قوة مادية ام فكرية ام معنوية.

وهكذا فان علينا أن نوظف جميع قدراتنا وطاقاتنا في عملية الصراع، سواء كان صراعاً بيننا متمثلاً في التنافس البناء، والاستباق النزيه في مضمار الخيرات، أو كان صراعاً مع أعدائنا من خلال إستغلال إمكانياتنا وطاقاتنا وقوانا، والاستعداد لمواجهة العدو بكل قوة ممكنة.

١- سورة الانفال، آية ٦٠.

البُعد الاصلاحي للمرسالة الاسلامية

إنَّ الانسان بطبيعته المزدوجة قد يتوجه الى الإفساد، والاستهلاك، والتخريب، وقد ينتهج نهج البناء والاصلاح والاحسان الى الناس، بأن يقوم في مجال الطبيعة باصلاحها واستصلاحها، وفي مجال علاقته بالناس فانه يسعى نحو الاحسان اليهم. وعندما تكون علاقة الانسان بالطبيعة علاقة الاصلاح، وبالناس علاقة الاحسان، فانه سيكون في رحمة الله، وتحت شآبيب بركاته التي تنعكس في التكامل المستمر في حياته؛ أي أنَّ حياته ستكون في حالة سير مستمر نحو التكامل.

إنَّ الإِصلاح^(١) والإِحسان^(٢) هما وصية القرآن الى الانسان، والتأكيد

١ - قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]. وقال: ﴿وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ و﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

٢ - قال الله سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ﴿وَأَنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]. ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

عليه أن يسير وفق هذا المنهج، وقد يرقى الانسان عن هذا المستوى فلا تكون علاقته بالطبيعة والناس علاقة الاصلاح والاحسان فحسب بل يتجه الى استئصال جذور الفساد في المجتمع الذي يعيش فيه؛ فهو طاهر بذاته ومطهرٌ لغيره، صالح في نفسه ومصلح للآخرين، محسن الى الناس ويأمر في ذات الوقت بالاحسان. فلا يكتفي بأن يتمتع بصفة الاحسان أو صفة الاصلاح في ذاته، وإنما يسعى من أجل تعميم هذه الصفة في الوسط الذي يعيش فيه، وهذا هو مقام الانبياء والصديقين ومن يقتدي بنهجهم.

لا تموت أمة فيها فئة مصلحة

وعندما يوجد هذا الانسان - الذي لا يلبث أن يتحول الى فئة - في اوساط الامة، فان هذه الامة لا يمكن أن تموت، لانها سوف تمتلك القدرة على تجديد نفسها، أما إذا انعدمت هذه الفئة فإن الفساد سوف يشمل كل انحاء الارض، فالفساد من شأنه أن يتكاثر، كما إن الاصلاح ينمو ويتكاثر وتباركه قوى الطبيعة وسنن الله تعالى في الكون، كذلك الحال بالنسبة الى الإفساد فإن هناك أيضاً من ينشره، فالانسان الفاسد لا يقتصر فسادُه على نفسه، بل ينشر هذا الفساد فيما حوله.

والأدهى من ذلك أن في نفس الإنسان ما يشجعه على نشر الفساد والإفساد، ولذلك فان الفئة الصالحة عندما تغيب عن المجتمع فان هذا المجتمع سوف يسير نحو حالة تعميم الفساد، تماماً كالجسم البشري الذي

تنعدم فيه الحصانة الذاتية فإنَّ الأمراض سوف تتسارع إليه، بل وتقضي عليه بسهولة، فعندما تكتشف أنَّ جرثومة مرضٍ ما قد دخلت في جسمك ثم لا تلبث بعد أيام أن تستعيد صحتك، فانك تدرك أنَّ في جسمك خلايا صالحة ومصلحة تقاوم الفساد، ولكن هناك البعض من الناس تقل مناعتهم الذاتية بل تنعدم إلى درجة أنَّ الادوية نفسها لا تستطيع أن تفعل لهم شيئاً.

إنَّ التجمع الذي تكون طبيعة كل ابنائه
قائمة على الاحسان، والعطاء، والتعاون
لا يمكن أن يتسلل اليه الاختلاف، والحسد، والعداوة،
لان الاختلاف انما يقوم نتيجة للبغي،
فاذا انعدم البغي بين الناس فسوف ينعدم الاختلاف

خصائص الفئة المصلحة

إنَّ هناك من الناس من يمتلكون روحاً شجاعة سامية لا تقتصر على مقاومة أهواء النفس، أو محاربة الشيطان، بل تسمو إلى درجة إمتصاص السلبيات من المجتمع، ونشر الاصلاح والصالح في ارجائه، وهذه الفئة تتميز باعتمادها المطلق على المعنويات وعلى الروح العالية، وتحليلها بالشجاعة القاهرة لكل فساد، وهذه ميزة عظيمة. فنحن نرى أنَّ هناك من يمتلك من المال والسلطان والقوى المادية الشيء الكثير ولكنه مع ذلك يأبى الاستناد إلى هذه المظاهر المادية، بل يعتمد على ذخيره الروحية.

والقرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة في مواقع كثيرة، كقوله تعالى في الايات التالية من سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وهكذا فان هناك الكثير ممن يملكون المال ولكنهم ليسوا بقادرين على أن يحققوا السعادة للانسان، وهذا هو ما يخاطب به شيخ المرسلين نوح عليه السلام قومه في الآيات التي تلونهاها، فقد كان يعتمد في دعوته على روح الايمان، وعقل الانسان لا على علم الغيب لكي يكون بمستطاعه أن ينبئهم بكل شيء يجهلونه، فهو يمتلك البيئة والقدرة الايمانية.

إنَّ من سمات الانبياء عليهم السلام وافراد المجتمع الايماني أن انسجامهم مع بعضهم البعض يصل الى درجة عالية لا يمكن أن يرقى اليها الاخرون، وانسجامهم هذا قائم على أساس أن طبيعتهم هي طبيعة الاصلاح، والعطاء، والاحسان، ومن المعلوم إنَّ التجمع الذي تكون طبيعة كل ابنائه قائمة على الاحسان، والعطاء، والتعاون لا يمكن أن يتسلل اليه الاختلاف، والحسد، والعداوة، لان الاختلاف انما يقوم نتيجة للبغي، فاذا انعدم البغي بين الناس

فسوف ينعدم الاختلاف.

وقد ينشأ الاختلاف بسبب ضغوط خارجية، ولكن المؤمنين الرساليين يرفضون هذه الضغوط، فنحن نرى أنَّ نوحاً عليه السلام - كما تصرّح بذلك الآيات السابقة - كان معرّضاً لضغط خارجي من أجل أن يطرد المؤمنين المستضعفين من حوله ولكنه رفض، فليس هو المسؤول عنهم، بل إنَّ الله تعالى هو المسؤول.

وهذه هي في الواقع مجموعة توجيهات، فكل آية من آيات القرآن الكريم هي توجيه للإنسان الذي يريد أن يتحرك نحو التكامل، والمجتمع المسلم هو أحوج ما يكون اليوم إلى مثل هذه التوجيهات التي تقتضي أن تكون فيه فئة مخرّجة متفرّغة لعملية الإصلاح، ويكون همها الوحيد نشر الصلاح في المجتمع، وامتصاص السلبات، والقضاء على روح العداوة والحقد، والسعي إلى نشر الفضيلة والأخلاق الحسنة، وبث المحبة بين الناس.

الخلافات والعداوات سبب هزيمتنا

إنَّ الخلافات والمشاكل النفسية والعداوات التي تشتعل لأسباب تافهة هي سبب الهزيمة، وسبب الخسائر الذي وصلت إليه بعض المجتمعات المسلمة. ونحن ينقصنا أولئك الذين يغيرون هذه المعادلة، ويحولون روح العداوة، والبغضاء، والحسد، وسوء الظن إلى محبة، وعطاء، وإحسان، وتعاون.

إنَّ الفئة التي تريد أن تعمل في سبيل الله عزَّ وجل لا بد أن تضع في حسابها الوضع الاجتماعي الذي تعمل في ظله، إنه وضع موبوء، ولا يمكن

القضاء على الامراض المتشرة فيه من دون تغييره، وفي هذا المجال يقول النبي الأعظم ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، فهو ﷺ كشخص كان مبعث الاصلاح من حوله، كان يزيل العدا، والحق، وسوء الظن، وينشر الفضيلة، والمحبة، وروح التعاون والاخاء بين أبناء المجتمع الاسلامي، الى درجة انهم كانوا يقاسمون ويشاطرون الضيوف والمهاجرين في كل شيء، بل ويؤثرون على أنفسهم.

يجب أن ترى الشعوب الاسلامية المستضعفة في الارض،
في الحركة الإسلامية تجمعاً صادقاً ومضحياً،
ومتفاعلاً مع قضايا الامة، ومتحمساً لحل مشاكلها،
وفي هذه الحالة سوف تلتف الجماهير المستضعفة
في الارض حول هذا التجمع

إن هذا المجتمع المثالي لا يمكننا أن نفهمه إلا اذا قارناه مع بعض المجتمعات الاخرى، لقد كان هذا المجتمع قبل أن يشع نور الاسلام فيه مجتمعاً جاهلياً متوغلاً في الفساد والجريمة والاختلاف الى درجة إغارة بعضهم على بعض، ولكن هذا المجتمع نفسه تحول خلال بضع سنوات الى تجمع متآلف متحاب. فأهل المدينة كانوا يستقبلون المهاجرين من اهل مكة، هؤلاء المهاجرين الذين كانوا يمثلون مجموعة اناس طردوا من أرضهم بسبب سيطرة الطغاة على مكة، ثم توجهوا الى المدينة المنورة وهم لا يملكون

١ - بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٨٢.

شيئاً لأنهم تركوا بيوتهم، واموالهم يبتغون فضل الله ورضوانه، ونصرته تعالى ونصرة رسوله.

إنَّ هذه الاخلاق الإسلامية الرفيعة جعلت المسلمين قادرين على تصدير ثورتهم الى الآفاق، هذه الاخلاق الحسنة مكنت الامة الإسلامية من الانتشار والتوسع بشكل سريع، لأنَّ المحبة، والتعاون، والتآلف كل ذلك كان سبباً لدخول الشعوب المحرومة والمستضعفة في الدين الإسلامي أفواجا، فلقد تفجرت طاقاتها، وتفاعلت مع هذه الامة لتنشر نور الاسلام في كل مكان.

واذا ما سادت هذه الروح أوساط أمةٍ ما فاعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى سوف يؤيدها وينصرها، أما اذا رأينا الحقد، وسوء الظن، والتنازع باللقاب وسائر الصفات السلبية هي السائدة، فعلينا أن لا نتوقع نصر الله تعالى لهذه الامة، فهو عزَّ وجل لا ينصر إلا من ينصره، وينصر دينه، ويتحلَّى بالأخلاق الحسنة التي امر بها تعالى.

ونحن لو تأملنا تاريخ الائمة عليه السلام لرأينا أنَّ أحد أهدافهم الرئيسية كان متمثلاً في إصلاح المجتمع خلقياً وعقائدياً من الجذور، فلم يكن إصلاحاً سطحياً، فمنذ اليوم الاول كان دورهم عليه السلام متمثلاً في ضخ روح الاسلام والايان في جسد الامة، وقد كانوا عليه السلام يمثلون القمة في الاخلاق الرفيعة السامية، والعطاء، والاصلاح، وبهذه الاخلاق استطاعوا أن يحفظوا هذه الامة.

وعلى كل الرساليين والحركات الإسلامية أن تعود الى روح الاسلام،

فلا يكفي أن تلهج الألسنة بالتعابير والشعارات الاسلامية، بل يجب أن ترى الشعوب الاسلامية المستضعفة في الارض، في الحركة الإسلامية تجمعاً صادقاً ومضحياً، ومتفاعلاً مع قضايا الامة، ومتحمساً لحل مشاكلها، وفي هذه الحالة سوف تلتف الجماهير المستضعفة في الارض حول هذا التجمع، أما إذا رأوا أن الحركات الإسلامية تدعو الى أنفسها بدل الدعوة الى الله، وتزرع حواجز الاختلاف، والتفرقة، والعداء بينها وبين الناس فانهم سوف يتعدون عنها ويشعرون بالنفور منها.

لا بد من تجديد الطاقات

اننا نمتلك الطاقات الروحية، وعناصر الوحدة، والاخوة، والمحبة، والشجاعة، فلا بد أن نجد ما نمتلكه من هذه الطاقات في ساحة المواجهة، وإلا فان عاقبتنا لا تنتهي الى خير. ولنعلم أن التغيير لا يمكن أن يحدث من دون العطاء، ومن دون تغيير أنفسنا. فلا بد أن يسأل كل واحد منا نفسه: كيف أستطيع تغيير نفسي، ومن أين أبدأ، وكيف اكون داعية للإصلاح في مجتمعي الصغير، وما هو السبيل الى تحويل التجمع الذي انتمي اليه الى تجمع قائم على اساس المحبة والايثار؟

ومن خلال الاجابة على هذه التساؤلات يمكننا حينئذ ان نغير واقعنا، وأن نحقق الانتصار الذي وعدنا به الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم.

الحركة الاسلامية في مواجهة سلبيات الواقع

مع الانطلاقة الجديدة للامة الاسلامية تزداد الحاجة الى الافكار الجديدة التي تعالج الواقع الاجتماعي والثقافي والرسالي للامة، والمشكلة التي تعاني منها الامة الاسلامية اليوم إفتقارها الى رؤية واضحة للخريطة السياسية والاجتماعية للعمل الرسالي، فهناك الكثير من الاسئلة تراكم على بعضها تحوم حول نقطة واحدة هي: ما هو منهج العمل السياسي والاجتماعي؟

ولو عادت الامة الإسلامية إلى قرآنها، وسيرة نبيها ﷺ، والأئمة الهداة الميامين لاستطاعت أن تصل إلى أهدافها بوسائل سهلة، وطرق قريبة، وقد قال تعالى في هذا المجال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

وفي الحقيقة فإن هذه الآية هي من تلك البصائر والرؤى التي تحدّد مسيرة الإنسان، وفي هذا الفصل سنتحدث حول بُعد واحد من أبعاد هذه الآية من

١- سورة الرعد، آية ١١.

الضروري أن يلتفت اليه أبناء الأمة الإسلامية في هذه المرحلة المصيرية من تاريخهم.

إنَّ هذا البُعد يتعلق بطبيعة الحركات الاسلامية التي تتشكل هنا وهناك، فطبيعة هذه التجمعات الاسلامية وعلاقتها بالأمة إجتماعياً وسياسياً تكمن في تحديد واجبات وحقوق التجمع الرسالي - اياً كانت تسميته - وصولاً الى تحقيق اهدافه في سيادة الحق والحرية، وإقامة حكم الله في الارض.

تخلف الامة أساس الإبتلاء

والقرآن الكريم يقرر في تلك الآية أنَّ تخلف الأمة وتشتتها وسلباتها الثقافية والإجتماعية هي السبب فيما يلحق بها من أضرار، من أهمها تحكم الجبابة والطغاة على رقاب شعوبها واستغلالهم وتقتيلهم، وهذه الاخطار التي تحرق بالأمة انما هي نتيجة السلبيات المترسخة والمتكرسة فيها، وإذا أردنا أن نقضي على هذه الاخطار ونزيل هذه المصائب والكوارث والويلات دون أن نفكر في القضاء على تلك السلبيات، فان عملنا هذا سيكون كعمل الطبيب الذي يعطي لمريضه المزيد من المسكّنات دون أن يقضي على جرثومة المرض وفيروسه.

وكذلك إذا أردنا القضاء على الواقع المأساوي الذي يحيط بالأمة الإسلامية في كل مكان دون أن نفكر في الأسباب والعوامل المؤدية إليه، فإنَّ عملنا هذا سوف يساهم في تكريس هذا الواقع، وبالتالي فانه سيعمل على

تعجيل فناء الامة، وهنا يبرز الفرق بين نوعين من التجمعات الإسلامية:

ألف: التجمع السلبي

فهناك من التجمعات ما يحافظ على سلبيات الامة ويمثلها، ليكون ممثلاً شرعياً لها بسلبياتها وإيجابياتها، ومن هذه السلبيات:

١ - الطائفية: فإذا كانت الامة تعيش مأساة الطائفية، والتفرقة المذهبية، وإذا كان الاعداء يحاربون الامة عن طريق إشعال نار هذه الفتن، فاننا نرى أنَّ تَجْمعاً إسلامياً يصبح طائفيّاً، ذلك لان هذا التجمع - كما قلنا - يمثل الامة بسلبياتها وإيجابياتها.

إننا إذا أردنا أن ننشئ تَجْمعاً إيمانياً رسالياً في منطقة من المناطق، وحاولنا أن نستقطب الأشخاص الذين يعيشون في تلك المنطقة بما فيهم من سلبيات، ولا نحاول مقاومة هذه السلبيات وتغييرها، فإننا سوف نصبح جزءاً من هذا المجتمع وسلبياته

٢ - الذاتية: إنَّ المشكلة التي تعيشها الامة الإسلامية اليوم هي مشكلة الدكتاتورية التي تنخر في اعماقها، فكل واحد من أبنائها يريد أن يعيش منفرداً وبعيداً عن الآخرين، حيث يتمحور حول ذاته.

إنَّ وجود الحزب أو المنظمة أو التجمع يشبه وجود المسجد للصلاة،

ومع ذلك فان الجدران التي في المسجد لا تكون سبباً في تفاعل أبناء المجتمع المتواجدين فيه، فعندما لا تترابط قلوبهم ولا تتحد استراتيجياتهم ولا تحكمهم قيادة حقيقية واحدة، وعندما لا يتنازل كل فرد عن ذاتيته، فإذا ستكون الفائدة من تجمعهم، وما الفائدة من اطلاق اسم واحد عليهم؟!

مخالفة احكام الله كفر

إن ابواق الإستعمار تحاول اليوم أن تبث فكرة خبيثة من الأفكار الرجعية المتخلفة وهي: أن الكفر كفران؛ كفر عملي، وآخر نظري، فالكفر النظري هو أن ينكر الانسان اسلاميته من خلال التنكر لاصول الدين، والبعض من ادعاء الدين، ومرتزقة الانظمة الطاغوتية في العالم الاسلامي ينشرون هذه الفكرة قائلين: نحن نحارب الكفر النظري، ولكن لا يجوز لنا ان نحارب الكفر العملي لعدم وجود دليل شرعي على هذا الكفر.

وحسب هذه النظرية فإنّ الاحكام الطواغيت ليسوا كفرة لانهم يصلّون امام الناس، فهم محاطون بسياج الاسلام وما دام الامر كذلك فلا يجوز لنا محاربتهم وإن كان عملهم يدل على الكفر.

إنّ هذه الفكرة تُنشر على نطاق واسع للتغريب بشبابنا، وسلب الروح الثورية الاسلامية منهم، في حين أنّ الكثير من الآيات القرآنية تؤكد على أنّ الذي يقوم بعمل باطل هو كافر، فالذي لا يحج هو كافر كما يصرح بذلك تعالى بعد ذكر آيات الحج: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، والذي لا يؤدي الصلاة هو كافر أيضاً: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ
* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٢)، كما ان الذي لا يطعم المسكين هو كافر ايضاً:
﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ (٣).

وحسب ما يقوله بعض المفسرين، فان القرآن الكريم لا يطلق كلمة
الكافر والكفر إلا على الذين لا يطبقون أحكام الله؛ أي إن هذه الكلمة ليست
موجهة إلى الذين لا يؤمنون بالله تعالى، فالقرآن الكريم إنما يخاطب الانسان
الذي يدعي الإيمان بالخالق ولكنه لا يقوم عملياً بتطبيق مناهجه سبحانه،
لأن العمل بغير احكام الله من شأنه أن يسبب الكفر، والكفر العملي ما هو
إلا قرين للكفر النظري.

ونحن عندما ننظر إلى التاريخ الإسلامي في عهد الأئمة عليهم السلام نرى أن
الطغاة في ذلك الزمان كانوا يبثون نفس هذه الفكرة، ويحاولون إخماد روح
الثورة الإسلامية في الشباب.

وهكذا فإننا إذا أردنا أن ننشئ تجمعاً إيمانياً رسالياً في منطقة من المناطق،
وحاولنا أن نستقطب الأشخاص الذين يعيشون في تلك المنطقة بما فيهم من
سليبيات، ولا نحاول مقاومة هذه السلبيات وتغييرها، فإننا سوف نصبح
جزءاً من هذا المجتمع وسليبياته.

١- سورة آل عمران، آية ٩٧.

٢- سورة المدثر، الآيتان ٤٢-٤٣.

٣- سورة المدثر، آية ٤٤.

٣- الجمود: إنَّ الإسلام يأمرنا في آيات كثيرة من القرآن الكريم بالسعي، والعمل، والسير في الارض. يقول تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾^(١)، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣)، ولكننا نرى للأسف الشديد أن أبناء الأمة الإسلامية يعتبرون الجمود والتقاعس قيمة أساسية، الى درجة انهم عندما يريدون أن يمتدحوا شخصاً فانهم يقولون عنه: ان هذا الانسان طيب جداً، ولا يتدخل في امور المجتمع، في حين ان الاسلام يقول: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»^(٤).

ليس من حق الانسان المسلم المؤمن ان يرتبط بانسان،
أو تجمع، أو حزب، أو منظمة دون أن يكون لديه
ايمان قاطع بسلامة حركة هذه التجمعات.
وعلى هذا فان القضية الاساسية في هذا المجال
هي قضية إنقاذ الأمة

فالإسلام يقيم الإنسان دائماً وأبداً على أساس العمل الصالح، وحتى العلم فإنه ليس قيمة أساسية في الإسلام ما دام غير مقترن بالعمل، كما يقول

١- سورة التوبة، آية ١٠٥.

٢- سورة الانعام، آية ١١.

٣- سورة النجم، آية ٣٩.

٤- وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٣٦.

الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ كَشَجَرٍ بِلَا ثَمَرٍ»^(١). وهكذا الحال بالنسبة إلى القيم الأخرى كالمال، والنسب، فالعمل الصالح هو المعيار الأساس في الإسلام.

باء: التجمع الايجابي

أما التجمع الرسالي الايجابي فهو الذي يحارب سلبيات الامة، ويقاومها ليحولها الى ايجابيات، ولينشئ ذلك التجمع النزيه الذي كان ملتفاً حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو يحاول أن يكون مثل ذلك التجمع الذي كان حول الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، إنَّ هذا التجمع هو الذي نعتبره تجمعاً مثالياً، تنطبق عليه الكلمة المعروفة: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^(٢).

والافراد الذين ينتمون إلى هذا التجمع الإيجابي هم المسلمون الحقيقيون، وهم طليعة المسلمين وائمتهم، أما ذلك التجمع الذي لا ينفي سلبيات الامة بل يكرسها ويكرس معها الطائفية والتفرقة والجمود، والرؤى والأفكار الباطلة الجاحدة، فإنَّ هذا التجمع نعتبره جزءاً من سلبيات الامة، ومساهماً في تحطيمها.

وهذه هي النظرة الحقيقية التي يجب أن نلتزم بها، فلا يكفي أن يجتمع أشخاص جامدون، وسليبيون، فهؤلاء لا يمكنهم إنقاذ الامة، فلنصلح

١- عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٤١، ح ٥٧٨٩.

٢- نهج البلاغة [صبحي الصالح]، قسم الخطب، الرقم ١٢٧، ص ١٨٤.

- إذن - أنفسنا بالدرجة الأولى، ولا نفكر في إصلاح المنتمين فحسب، ولا يقولن أحدنا: كم معي؟ بل يجب أن يفكر في نوعية الأشخاص الذين يعملون معه، فلئن يكون مع الإنسان واحدٌ من قطيع الأسود خير له من أن يكون شيخاً على قطيع فئران!

فلنحاول أن نربي أسوداً، ولنحاول أن نكون جزءاً من مجموعة الصالحين، لنكون معهم، ولا نفتش عمن تربطنا بهم العلاقات الودية والنفعية فقط.

وعلى هذا فان كان هناك واحد من اصدقائك متميماً الى حزبٍ ما ثم اخبرك بذلك وذهبت معه دون أن تعرف ماهية الحزب الذي ينتمي اليه، فان سلوكك هذا هو نوع من الانحراف، والضلالة، واتباع الطاغوت.

فليس من حق الانسان المسلم المؤمن ان يرتبط بانسان، أو تجمع، أو حزب، أو منظمة دون أن يكون لديه ايمان قاطع بسلامة حركة هذه التجمعات.

وعلى هذا فان القضية الاساسية في هذا المجال هي قضية إنقاذ الأمة، وهذه الأمة لا يمكن أن تُنقذ بالشعارات، بل بعمل مثابر، دؤوب، جدي، وهذا هو ما يطلق عليه القرآن الكريم مصطلح (الجهاد).

فالجهاد لا يعني العمل بصفة عامة، بل يعني بالدرجة الاولى بذل الجهد، وعمل كل ما يستطيع الانسان تقديمه من أجل إصلاح الأوضاع وتغييرها إلى الأفضل.

الكيفية لا الكمية

وبناء على ذلك فإن الجهاد يجب أن يتوجه نحو سلبات انفسنا، فاذا كونا مجتمعاً رسالياً مؤلفاً من خمسمائة إنسان، فإنه سوف يستطيع أن يغلب الملايين، لأن هذا المجتمع يمثل المجموعة الحية المتفاعلة والمتوحدة في ستراتييجيتها، وأهدافها، وعلى سبيل المثال فان (طالوت) عندما وصل بجنوده الى النهر، ومنعهم من أن يشربوا من الماء إلا من اغترف غرفة بيده، فان عدداً كبيراً من جنوده لم يستطيعوا مقاومة العطش، وعندما محَّص (طالوت) جيشه، وعرف الصابرين والمقاومين منه قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

فليس مهماً كثرة العدد والاسماء بقدر اهمية جودة الافراد وصلاحياتهم، فالمهم في التجمع التفاعل، كما كان هذا التفاعل متجسداً في اصحاب الرسول ﷺ، واصحاب الائمة عليهم السلام.

١- سورة البقرة، آية ٢٤٩.

الحركة الاسلامية والتحديات الحضارية

إنَّ الفكرة التي تصنع التغيير الجذري هي الفكرة التي تصنع الواقع، أما الافكار التي تبقى في حدود الفرضيات، ولا تتمكن من تفجير طاقات الانسان وصبّها في قنوات محدودة فانها لا يمكن أن تصنع أيّ تغيير حقيقي. ومن هنا ينبغي على الرّساليّين أنّى كانوا أن يحدّدوا موقفهم الفكري على ضوء مقياس واحد هو: مدى قدرة هذا الموقف على تفجير طاقاتهم، وتحويل إمكاناتهم إلى حقائق عملية في الساحة.

الجمود هو سبب فشل الحركات

وهكذا فإنَّ على الحركات الرّسالية أنْ تعلم أنَّ الغالبية العظمى من الحركات في التاريخ قد فشلت عندما لم تستطع أنْ تصنع وسيلة للدفاع عن نفسها، ولم تتمكن من تطوير أساليبها، واستيعاب تغيّرات الحياة، وحتى

الحركات التي استطاعت أن تنتصر إنتصاراً مادياً، وتمكنت من الوصول الى سدة الحكم فانها لم توجد واقعاً جديداً، ولم تتمكن من تحويل شعاراتها الى عمل، وقيمها الى سلوك، وبالتالي فانها عجزت عن تحويل افكارها الى احداث واقعية تعيش في الحياة ذاتها، ولذلك فانها سقطت وتجاوزها الزمن.

إنَّ الحركة الاسلامية لا تواجه بُعداً واحداً من أبعاد التحدي الحضاري، ولا تواجه قيماً زائفة في الحضارة الغربية فحسب، بل انها تواجه بالاضافة الى ذلك تراكمات هائلة من الافكار الحديثة، فهناك عشرات الالوف من انواع الكتب تصدر كل عام في العالم، وهذه الكتب لا تدور حول الجوانب المادية فحسب بل وتدور أيضاً حول الجوانب الفكرية والنظرية؛ فما هو الموقف منها، وكيف تستثمر الحركات الاسلامية جوانبها الايجابية؟

وبالإضافة الى ذلك فإنَّ الحركات الاسلامية تواجه مهمة تحويل هذه العلوم الى حقائق ووثائق مادية، وعلى سبيل المثال: ترى ما هو موقفنا من التقدم الهائل الذي حققه العلم في مجال الفضاء، وما هي مساهمتنا فيه، وما هو علاجنا لتخلفنا عنه؟

قبل عدة سنين كانت العقول الالكترونية بحجم السفن في حين أنك تستطيع اليوم أن تحمل الكومبيوتر في جيبك، علماً انه يقدم نفس الخدمة التي كان يقدمها ذلك الجهاز الذي كان بحجم سفينة كبيرة!

وعلاوة على ذلك فان الحركات الاسلامية تواجه اليوم اسلحة فتاكة صُنعت بهدف تحطيمها، وتغيير مسارها، ويهدف سيطرة المستكبرين على

الشعوب التي تحاول هذه الحركات انقاذها من ايديهم، وهكذا فإنَّ الحركات الإسلامية مهتدة بالفناء اذا بقيت تعالج القضايا النظرية في حين أنَّ النصف الاخر للحقيقة هو الواقع العملي المبني على قاعدة القيم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١)، فكيف ننصر الله؟ وهل النصر أن نكتفي بتريد الشعارات والكلمات، أم أن نجسّد هذا النصر من خلال العمل؟

الحركات الإسلامية هي أساساً حركة واحدة لا تتجزأ،
فعدم إحترامنا لأي حركة يعني أننا لا نحترم انفسنا
ورسالتنا، فمن المستحيل أن ينصر الله تعالى
التجمعات الاسلامية التي لا تسود علاقاتها
الاجتماعية والنضالية روح الاخوة اليمانية

وفي الحقيقة فإنَّ هذه هي التجربة الصعبة التي ينبغي على الحركات الإسلامية أن تقيّم عبرها فكرها وقدرتها الثقافية. وهناك تجربة أخرى هي تحول القيم الى سلوك، وعدم الاكتفاء بتضخيم الاعمال، فعندما يكون عملنا قليلاً وكلامنا كثيراً فان هذه الحالة سوف تسبب الهلاك لنا، في حين أنَّ القرآن الكريم يؤكد على الجانب العملي في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

١- سورة الحج، آية ٤٠.

٢- سورة التوبة، آية ١٠٥.

فاذا ما عملنا فاننا سنصنع واقعاً، وهذا الواقع سيراه الله سبحانه ورسوله والمؤمنون ويباركونه، أمّا اذا لم نعمل واكتفينا بالكلام فان كلامنا هذا سوف يتلاشى ولا يكون له أيّ تأثير. فالسلوك يجب أن يكون حجة على القيم، وإذا لم يتسم السلوك بهذه الصفة فإنه يدل على أن هذه القيم غير صحيحة في أذهاننا، فالذي يدعو الى الاسلام ولا يطبق قيمه فانه أخطر على الاسلام من الذي يدّعي الكفر ويطبق منهجه، لأنّ الاول يعمل على تشويه سمعة الاسلام.

العلاقات تنبع من القيم

أمّا من ناحية السلوك في العلاقات، فكيف هو شكل العلاقة بين أبناء الحركات الاسلامية الواحدة؟ وهل المنافسة بين الحركات الاسلامية نابعة من قيم الرسالة ومن التقوى الاجتماعية، وصادرة من كل ما قاله القرآن؟ اذا كان الامر كذلك فان السلوك نفسه سيصبح دليلاً ساطعاً على سلامة المجتمع الذي نريد إقامته.

فاذا ما أردنا أن نقيم مجتمع الحرية فلا بد أن تسود علاقاتنا مع بعضنا البعض قيمة إحترام الاطراف المختلفة، لأنّ كل واحد منا يرى في الآخرين قدوة صالحة لنفسه وتجسيداً للرسالة، فالانسان المسلم والمجاهد يجب أن يُحترم أساساً، وأن لا يكون معرضاً للنقد الهدّام، فلماذا - إذن - لا تحترم الحركات الاسلامية بعضها البعض؟ فالحركات الإسلامية هي أساساً حركة واحدة لا

تتجزأ، فعدم إحترامنا لأي حركة يعني أننا لا نحترم انفسنا ورسالتنا، فمن المستحيل أن ينصر الله تعالى التجمعات الاسلامية التي لا تسود علاقاتها الاجتماعية والنضالية روح الاخوة الایمانية.

لقد وعد الله عزَّ وجلَّ أن ينصر من ينصره، ونصرته تعالى تتجسد أيضاً في نصرة عباد الله العاملين في سبيله، فاذا لم ينصر أحدنا عباد الله المؤمنين الصالحين فإنه لا يكون صادقا في إنتهائه للرسالة.

جوانب التعامل في الاسلام

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أنَّ الاسلام يشتمل في مجال التعامل على جانبين: جانب العنف، وجانب اللين، فاذا جعلنا جانب العنف متجهاً الى اخواننا المسلمين فمن الطبيعي أن يكون جانب اللين في مواجهة الاعداء، والعكس صحيح، وهذه المعادلة سنة الهية عبرت عنها آيات كثيرة ومنها الآية التالية التي تقول في وصف حزب الله المؤمن والصالح: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

فلولا أنَّ الرساليين أذَلَّةٌ وَلَيِّنُونَ أمام المؤمنين لما أصبحوا أعزَّةً على الكافرين، فلا يمكن للانسان أن يحارب على عدة جبهات، فلا بد أن يصالح جماعة ليحارب جماعة اخرى، فاذا تصالحنا مع أنفسنا فان هذا يعني إننا سنحارب أعدائنا، واذا عكسنا الأمر إضطربنا الى التسليم أمام اعدائنا.

التملص من المسؤوليات سبب الانتكاسات

إنَّ تحقيق الوحدة ليس مسؤولية القادة فحسب، فهم يتحملون هذه المسؤولية لأنَّ أساس قيادتهم هو توحيد الصفوف، إنها مسؤولية الوحدة هي مسؤولية كل فردٍ يملك وعياً سياسياً ورسالياً، وعلى الجماهير أن تكون شاهدةً على وحدة القيادة، بأن ترفض المؤامرات، والتقسيمات الحادة، والسلوك العنيف داخلياً، واللين خارجياً، وهذه المسؤولية تمثل واجباً تاريخياً امام الله سبحانه.

إنَّ على الحركة الاسلامية أن تكون ذات ذاكرة قوية
تجمع وتحوّل التجارب الى قواعد سلوكية
لتعمل على ضوئها، فقبل التحرك يجب أن ترسم خريطة
صحيحة للعمل، وهذا لا يحدث إلا بعد التفكير
ودراسة المواقع التي تحيط بعملك

وعلى أصحاب الوعي والبصيرة الذين قد يكونون في التشكيل القيادي، وقد يتواجدون في المجالات الاخرى داخل الحركة الإسلامية أو خارجها، أن يقوموا بدورهم في امتصاص الضغوط، ويكونوا لجناً لمقاومة الارهاب والدكتاتورية والسلبيات داخل الحركات ليتحمل كل واحد منهم مسؤوليته في هذا المجال.

فالتناقضات والانتكاسات تحدث بسبب عدم تحمل الجميع لمسؤولياتهم،

أو إلقاء هذه المسؤوليات على عاتق شخص أو فئة معينة، أما إذا دخل الجميع ساحة العمل، وتحملوا مسؤولياتهم، وعرفوا أنَّ اصلاح ذات البين خير من عبادة سنين طويلة، فإن الخلافات ستزول، ومن هنا تبرز أهمية تحويل القيم الى سلوك.

الحرية اساس التقدم الحضاري

فعندما ننادي بالحرية يجب علينا أن لا نجعل هذا النداء مجرد شعار أجوف، بل نحاول أن نقيم مجتمع الحرية مدركين أن هذا المحك هو المحك الثابت في اقامة دولة الحق، فالحق يعتمد على الحرية، فنحن نجد اليوم فجوة حضارية لا بد من تجاوزها لأنها تفصل امتنا وشعوبنا عن ركب التقدم العالمي، ولا يمكن رد هذه الفجوة إلا من خلال تعبئة كل الطاقات.

ولا بد من أجل تحقيق كل ذلك من الحرية لكي تنطلق كل الطاقات في ساحة العمل والعطاء دون وجلٍ أو خوف.

وهكذا فانه اذا وجدت علاقة الحرية والانفتاح والتقويم السليم للاشخاص فان هذه العلاقة سرعان ما ستسود بين الحركات الاسلامية، أو الفئات المختلفة داخل الحركة الاسلامية الواحدة، وإلا فإن أعمال الاشخاص العاملين في هذه الحركات ستكون مناقضة لاقوالهم، وستكون هادمة لافكارهم، ومتباينة مع شعاراتهم، فلا يرضى عنهم الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنون.

العلم أمضى سلاح

أما البُعد الآخر لتحول الافكار الى حقائق واقعية فهو بُعد القضايا العلمية، فالاسلام هو - اساساً - دين العلم، ودعوته الى العلم هي دعوة أصيلة ومتصلة الجذور بالاسلام نفسه وبمبادئه كلها، وعلى هذا فان الحركات الاسلامية يجب أن لا تكون جاهلة، فعلى كل فرد منتمٍ الى الحركات الاسلامية أن يكون واعياً بما يجري في العالم، وأن تكون لديه الافكار الواضحة حول ما يحدث حوله، وأن يحيط علماً بأصول التربية، والنفس، والتحليل السياسي والاقتصادي، ويطلع على التقدم العلمي الذي حدث في العالم في مختلف المجالات، لأنَّ سلاح العلم هو أمضى سلاح.

ولذلك قال الحديث الشريف: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ فَتَوَزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ الْعُلَمَاءِ فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ»^(١)، فدم الشهيد يمكن أن يذهب هباءً منثوراً اذا لم نخطط له تخطيطاً جيداً من خلال مداد العلماء، فعندما يقول الاسلام عبر النصوص الماثورة عن قادة المسلمين، وائمة الهدى: «إِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شُخُوصِ الْجَاهِلِ»^(٢)، فانه يعني ان هناك بُعداً آخر نستطيع أن نخدم الاسلام من خلاله ألا وهو بُعد العلم من خلال الغور في أعماقه حتى نكون اكثر حضوراً وشهوداً من ذلك الذي يسير في الارض دون وعي،

١ - من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٩.

٢ - المحاسن، ج ١، ص ١٩٣.

لانه يسير بجسده في حين انك تسير بفكرك وعلمك وتخطط لمسيرك بينما هو لا يعرف ما يجري حوله.

الجهاد ليس بالقوة فقط

وعلى هذا الاساس فلا يقولَنَّ الانسان المؤمن انه يستطيع أن يجاهد بقوته فقط، لأنَّ اكتساب القوة في الجهاد والتخطيط السليم له يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالعلم، فان كنتَ مرابطاً في قاعدة من قواعد الحركة الإسلامية في المدن، أو القرى، أو الجبال فلا تترك العلم لانك بحاجة اليه، فان لم تتوفر لديك الكتب والصحف والمنشورات فحاول أن تتدبر في الكون وتتكفر في كل ما حولك، لان الفكر مرآة صافية.

كما أنَّ على الحركة الإسلامية أن تكون ذات ذاكرة قوية تجمع وتحوّل التجارب الى قواعد سلوكية لتعمل على ضوئها، وفي هذا المجال يوصي الامام علي عليه السلام الصحابي الجليل كميلاً قائلاً: «يَا كُمَيْلُ، مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»^(١)، فقبل التحرك يجب أن ترسم خريطة صحيحة للعمل، وهذا لا يحدث إلا بعد التفكير ودراسة المواقع التي تحيط بعملك، وفي هذا المجال يقول الإمام الصادق عليه السلام عن الصفة التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان المؤمن، فيصفه قائلاً: «وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ»^(٢).

١- تحف العقول، ص ١٧١.

٢- الكافي، ج ١، ص ٢٧.

وهكذا فان معرفة العصر تمثل ركناً اساسياً في التحرك عبر هذا العصر والسيطرة عليه، أما أن ندرس التاريخ والماضي دون دراسة الحاضر والمستقبل والتخطيط له فإن هذا يعني أن يمشي الانسان على رجلٍ واحدة.

وباختصار فإن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تذكّرنا بضرورة أن يتمتع المؤمنون بالقوة المادية والمعنوية في ساحة الصراع بين الحق والباطل، فلننظر في هذه الآيات والاحاديث، ولتدبرها بعمق، فلو لم تتطوع فئة من الناس للدفاع عن القيم لانهارت كيانات هذه القيم كما اشار الى ذلك تعالى في قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

فعندما ننصر ربنا من خلال التحرك ومواجهة القوى الجاهلية على كل الأصعدة، فان الله تعالى حينئذ سينصرنا، فلا بد أن تكون لدينا القدرات الملائمة، سواء على صعيد الوحدة والتماسك، أو على صعيد الحصول على الوسائل المادية، والتسلّح بالعلم في مختلف المجالات.

لا لشرعية النضال، نعم لمشروعيته

من السنن الالهية الثابتة أنَّ الإنسان مفطور على الإيمان بالله وحبه، ومن ثم البحث عن وسيلة تقربه إلى الله عز وجل، إلّا أنَّ حجب الشهوات وحواجز الجهل والغفلة وضغوط الحياة تمنعه من الإتصال بربِّ العزة ذي الجلال والكمال المطلقين، ومهما إبتعد الإنسان بسبب جهله وشهواته والضغوط التي يتعرض لها، فانه لا بد أن يعود الى الله، والى الفطرة التي ترجعه الى بارئه من خلال التوبة.

ضرورة التوبة من الغفلة

وليست التوبة هي عن الذنب فقط، وإنما أيضاً عن الغفلة والجهل والنسيان، إذ أنَّ الطبيعة المادية التي جُبِلَ عليها الانسان تدعوه الى هذه الحالات السلبية، فالتوبة من الجهل إنما تتحقق بالرجوع الى الله تعالى شأنه والى العلم والجمال والقدرة والنور، ولذلك فان الانبياء والائمة الاطهار عليهم السلام عُرِفَ عنهم

أنهم كانوا توابين أوّابين، لا لأنهم ارتكبوا الذنوب وحاشا لهم أن يرتكبوا الذنوب وهم المعصومون المختارون من قبل الله تعالى، بل لأنهم يريدون ان يتوبوا من الغفلة التي قد يقعون فيها احياناً بحكم كونهم بشراً، لذلك نراهم يتوبون المرة بعد الاخرى، لكي يصفّوا انفسهم من هذه الطبيعة البشرية.

إنَّ الله تعالى هو خالق الانسان، وهو يعلم ما توسوس به نفسه لانه اقرب إليه من حبل الوريد، والإنسان - بطبعه - ظلوم، جهول، عجول، ولذلك فقد أركس في الغفلة، ولأن ضغوط الحياة عليه كبيرة فانه كلما واجه الضغوط تاب الى ربه فوجد امامه ابواب الرحمة واسعة تحتضنه، ورحاب المغفرة في استقباله. فإذا استطاع الإنسان أن يستغل نعمة التوبة فقد أصبح بمثابة النهر يطهر بعضه بعضاً، فكلما دَنَسَتْه الشهوات والمشاكل، وحجبته الغفلة، بادر الى تطهير نفسه، وتحصّن ضد الدنس بالتوبة؛ حيث يتوجه الى الله عزَّ وجل ويرجوه ان يَحْتَم عاقبته بخير امثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وقد يعيش الإنسان حالة إرتكاب الذنوب، والعيش في الغفلة، فان مات قبل أن يذنب مرة أخرى وهو تائب، محيت ذنوبه السابقة، فلا يموت إلا وهو طاهر، مطهر، ومَنْ ختم الله تعالى له بخير دخل الجنة بغير حساب.

الموت ذلك الزائر الكريه!

ولا شك إنَّ الموت زائر كريه بالنسبة الى الانسان، فهو يأتي بلا استئذان،

في الليل والنهار، لا يفرق بين معافى ومريض، وبين شاب وعجوز، وليس له مقياس أو موعد معين، ولذلك فإن الانسان لا يستطيع أن يضمن نهايته إلا من خلال التوبة المستمرة الى الله سبحانه وتعالى، فعليه أن يتذكر الله ويتوكل عليه كلما طاف به طائف من الشيطان لكي لا يموت على الذنب - والعياذ بالله - بل يموت طاهراً مطهراً.

التوبة هي لباس التقوى، والخشوع امام الله عز وجل،
والتواضع امام الناس، فالمؤمن التائب
تراه مسكيناً ضعيفاً في ذات نفسه، عزيزاً بالله،
وبقدر ما يشعر بحقارته امام الله، فانه يشعر بالعزة
بين الناس، فلا يخضع للقوة والجاه والثروة

التوبة اساس الصفات المثلى

وفي هذا المجال يقول تعالى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾^(١). إن ملك الموت الموكل بكل انسان، يأتي على حين فجأة، ودون أن يكون لنا أي سابق علم، فلا يردده باب ولا سور ولا برج، ولا يمنعه مال ولا رجال، ولذلك فإن التوبة هي سبيلنا الوحيد الى التهيؤ لهذا الموت، ومن كانت عنده حالة التوبة، فان الصفات المثلى هي الاخرى ستكون حاضرة لديه، ومكتملة فيه، كما يقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ

١ - سورة التحريم، آية ٨.

الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿١﴾.

وهكذا فان المؤمنين التائبين الى الله عز وجل لا يقولون باطلاً، وانما يفكرون ويتدبرون ثم يتكلمون، لكي لا يقولوا زوراً وبهتاناً وكذباً: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، فهناك الكثير من الناس اذا جلس الواحد منهم مع شخص آخر تراه يتكلم معه بما يعجبه من غير تفكير حتى اذا كان عدوه، في حين أن الانسان المؤمن يجب عليه أن يتكلم مع الآخرين بما يعرف أنه الحق ويتجنب الكلام الباطل، فلا تُظهر نفسك كما لو كنت أفضل من الآخرين، فان الله تعالى يقول: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٢).

وهكذا فإن المبالغة في البطولات والأنانيات والتشدد بما لم يفعله الإنسان هي سلوكيات تخالف منهج التوبة الذي يجب أن يكون عليه الإنسان المؤمن؛ فالتوبة هي لباس التقوى، والخشوع امام الله عز وجل، والتواضع امام الناس، فالمؤمن التائب تراه مسكيناً ضعيفاً في ذات نفسه، عزيزاً بالله، وبقدر

١ - سورة الفرقان، الآيات ٧١ - ٧٧.

٢ - سورة آل عمران، آية ١٨٨.

ما يشعر بحقارته امام الله، فانه يشعر بالعزة بين الناس، فلا يخضع للقوة والجاه والثروة.

ثم يستأنف السياق القرآني الكريم قائلاً: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، فحياة المؤمنين التائبين قائمة على الجد والعمل الصالح، فلا وقت لديهم للهلزل واللعب واللهو، ولا تستطيع مجالس الكلام الفارغ أن تجذبهم للخوض فيما لا يعينهم، فهم يكرمون أنفسهم ويجلّونها عن صرف أعمارهم الغالية في قضايا تافهة ثانوية.

وفي يوم القيامة يندم كل انسان على ما فرط في دنياه، فالكاfer يعرض يديه ندماً حتى يكاد أن يقطعهما، وكذلك المؤمن يندم - هو الآخر - على الأوقات التي لم يستغلها من قبل، كأن يقول - مثلاً - كان بإمكانني أن أتوب، واحاسب نفسي، وأن أعمل الخير ولو بإمالة الاذى عن الطريق فهي صدقة، وهكذا اينما توجهت فإن أبواب الخير والعمل الصالح مفتوحة، فإن لم تلجها فسوف تندم يوم القيامة على كل لحظة ضاعت منك دون أن تستثمرها.

المؤمن لا تأخذه العزة بالإثم

إن كل أبناء آدم يخطئون، ولكن الفرق أن بعض الناس إن اخطأ وذُكر بخطئه أخذته العزة بالإثم، وهناك المؤمنون الحقيقيون الذين يشير اليهم تعالى في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا سُومًا وَعُمِينَاتًا﴾^(١).

١ - سورة الفرقان، آية ٧٣.

فالواحد منهم اذا ذُكرَ بآيات الخالق تعالى فتح عينيه واذنيه، بل فتح بصيرته، ولم يقف ازاءها موقف الاصم الاعمى.

إِنَّ الجهاد والعمل الرسالي لا يسوِّغ لك أَنْ تقوم
بكل ما تريد وتشتهي، وَأَنْ تبرِّر أعمالك وتصرفاتك
بانك مجاهد في سبيل الله، بل إِنَّ العكس هو الصحيح،
فأنت مجاهد في سبيل الله لانك تعمل ضمن الاطار
الاسلامي المرسوم لك، ووفق السلوكيات الخلقية الصحيحة

ثم يقول عزّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١)، فالمؤمنون حقاً يحولون
حياتهم الى قطعة من الجنة يعيشون عليها في الدنيا، ومن كانت دنياه جنة،
فإنّ آخرته ستكون جنة ايضاً، فهم يجعلون من بيوتهم وأولادهم والأجواء
التي يعيشون فيها نظائر للجنة وما فيها من أجواء الرحمة والبركة، وذلك
من خلال حُسن تعاملهم وتضحياتهم والتعاون البناء مع بعضهم البعض،
حتى يصبحوا قدوة صالحة للآخرين، أفلا يستحقون بعد ذلك أن يكونوا
أئمةً للمتقين، وأن يثابوا بأفضل العطاء كما يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا. خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا﴾^(٢).

١- سورة الفرقان، آية ٧٤.

٢- سورة الفرقان، آية ٧٥.

ضرورة الدعاء في كل حال

إنَّ الوصول الى هذه القمة السامقة يزيدهم توكلًا على الله تعالى، فيتضرعون الى ربهم بالدعاء، في حين يقف المكذبون بالله، والمستكبرون، دون أن يدعوا ربهم، ويتضرعوا اليه بالتوبة والاستغفار، وهؤلاء سيدخلون جهنم داخرين.

إنَّ على الانسان أن يدعو الله سبحانه في كل حين، وعلى آية حال، ولكل شيء، فقد أمر الباري عزَّ وجل نبيه موسى بن عمران عليه السلام أن يدعو له ولو لملمح الطعام في قوله: «يَا مُوسَى! سَلْنِي كُلَّمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، حَتَّى عَلَفَ شَاتِكَ، وَمَلَحَ عَجِينِكَ»^(١)، فكل شيء في هذا الكون مرتبط بالخالق تعالى، صغيراً كان أم كبيراً، فادعوا ربكم ولا تستشعروا الإستصغار فإنه سميع الدعاء.

ويبدو من سياق الآيات السابقة أنَّ الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم إنما هم في الحقيقة الطليعة الرسالية، لأنَّ هذه الآيات لا تتحدث عن شخص واحد وإنما تعبر عنهم بصيغة الجمع: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، وهذا دليل على أنَّ الأمة بحاجة في جميع مراحلها إلى الطليعة الذين يكونون فئة (الأئمة) الذين يمثلون القدوة للآخرين، سواء قبل الانتصار أم بعده، وفي جميع المجالات.

النضال بين الوسيلة والهدف

وفي هذا المجال هناك رؤيتان للنضال تقول إحداهما: إنَّ النضال شريعة

١ - عدة الداعي ونجاح الساعي، ص ١٣٢.

المناضلين، وبعبارة أخرى فإن النضال هو الشرعية ولا يحتاج العامل في سبيل مجتمعه الى اكتساب الشرعية من مصدر آخر. أما الرؤية الأخرى فترى أنَّ النضال ليست له شرعية ذاتية، بل ينبغي أن يكون مشروعاً، أي إنّه - بحد ذاته - ليس قيمة لكي يستمد الشرعية من ذاته، بل ينبغي ان يستمد هذه الشرعية من قيمة ثابتة أعلى وأسمى؛ ألا وهي الحق، فالحق قيمة وشرعية بذاته، فاذا ارتبط النضال به فانه مشروع وإلا فهو ليس كذلك.

إنَّ الجهاد والعمل الرسالي لا يسوّغ لك أن تقوم بكل ما تريد وتشتهي، وأن تبرّر أعمالك وتصرفاتك بانك مجاهد في سبيل الله، بل إنَّ العكس هو الصحيح، فأنت مجاهد في سبيل الله لانك تعمل ضمن الاطار الاسلامي المرسوم لك، ووفق السلوكيات الخلقية الصحيحة، فليس في الإسلام أن الغاية تبرر الوسيلة، فكما يجب أن تكون الغاية شريفة، فإن الوسيلة هي الأخرى يجب أن تكون شريفة ومشروعة.

وبناءً على ذلك فانه ليس كل من حمل سلاحاً هو مجاهد، وليس كل من هاجر من بلده الى بلد آخر هو مجاهد، فقد يشترك الإنسان في الحرب ولكن لغنيمة يريد أن يغنمها، وقد تكون الهجرة ولكن ليس لله، وإنما لإمرأة يريد أن يتزوجها، أو مال يصيبه، أو منصب يبلغه، فالهجرة الإلهية لا تكون إلا ضمن إطار تعاليم الله تعالى.

فلا تعط لنفسك الحق أن تتصرف كيفما تريد بحجة أنك مجاهد أو رسالي، وإذا أردت أن تُسقط الطاغوت فينبغي أن يكون نضالك ضمن

الإطار الإلهي. صحيح إنَّ التنظيمات، والحركات، والأحزاب المؤطرة بإطار الإسلام تمثل كلها سلوكيات صحيحة ومطلوبة، ولكنها جميعاً يجب أن تكون في حدود ولاية الله، لا في حدود ولاية الطاغوت، أو ولاية الجبت والنفس الأمّارة بالسوء.

شريعة النضال في القرآن

والله - جلت قدرته - يرسم لنا في الآيات السابقة الطريق الصحيح والسليم للنضال، ويذكر لنا المواصفات التي يجب أن تتوفر في الإنسان الذي يدعو ربه ليكون (امام المتقين) وهذه المواصفات هي كالتالي:

١- إنَّ إمام المتقين يجب أن يكون من الذين يتصفون بصفات التائبين، ويعمل صالحاً، ولا يشهد الزور، أو يبالغ في الدعوة الى نفسه ومجموعته، وهو لا يلهو، ولا ينفق عمره فيما لا ينفع امته، وهو أيضاً يبادر الى خدمة قضيته، وإن ذكرته بانه على خطأ لا تأخذه العزة بالاثم بل يستجيب برحابة صدر للتذكرة والاصلاح من قبل الآخرين، ولا يتكبر أو يلوي عنقه ترفعاً بحجة أنه إمام، وأنه طليعي.

٢- إنَّ الشخص الذي يريد أن يكون إماماً للمتقين يجب عليه أن لا ينسى حق أهله، وذوي قرباه، ورحمه، وذوي الحق عليه؛ فحقوقهم محفوظة عنده، فهو لا يريد أن يناضل ويجاهد على حساب علاقاته العائلية إلا إذا تعارضت مع الجهاد في إطار الإسلام.

٣- إنَّ الانسان المؤمن المجاهد يظل مشعاً بنوره مهما كانت الظروف حتى وإنَّ كان سجيناً، فان السجن يعتبر بالنسبة اليه عبادة، لانه انما اعتقل في السجن في سبيل الله تعالى، فهو - اي السجن - محراب للعبادة عند الانسان المؤمن المجاهد، كما أنَّ النظر الى الكعبة عبادة، والبقاء في المسجد عبادة، فتراه يقرأ القرآن في السجن، ويصلي الصلوات المستحبة، ويقضي الفائتة منها، ويصوم، وقد سمعت في هذا المجال أنَّ بعض الإخوة المجاهدين كان يكره أن يغادر السجن عندما افرجوا عنه لأنَّ هذا السجن كان عنده بمثابة المسجد والمدرسة الروحية والاخلاقية، فقد كانت تقام فيه صلاة الجمعة، وتُقرأ الأدعية، وتُلقى المحاضرات، وتُقام الدورات الدينية وكأنها كانوا يعيشون في حوزة علمية.

إنَّ هذا يعني أنَّ الإنسان المؤمن لا ينسى دوره الرسالي أينما كان. وخاصة الإلتزام بكل الواجبات في جميع الظروف والأحوال تعطي المؤمنين عدة مزايا من ضمنها:

١- أنَّ حركة المؤمنين حركة اسلامية تجمع بين المتانة، والإستقلال، والإستقامة.

٢- إنها بعيدة عن الأنانيات والشهوات والأهواء والمزلق.

٣- إنها مستمرة لا يمكن أن تتوقف، لأنها تمتلك الأسس والجذور الممتدة في أعماق المجتمع والتاريخ والدين، وهذا ما يجعلنا نطمئن لمستقبل الحركة الإسلامية في العالم، لأننا واثقون من تحقق وعد الله سبحانه بأن يُظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

الحركة الإسلامية ومؤامرات الأعداء

إنَّ ما عانتَه أمتنا الإسلامية في العصور الأخيرة من الدسائس الإستعمارية والمكائد والمؤامرات كان أكثر بكثير مما عانتَه من وسائل البطش الظاهرة كالجيوش ووسائل تدميرها، وذلك لأنَّ تلك الدسائس كانت خفية إستغلت جهلنا وتخلفنا وتشتتنا، بالإضافة الى العوامل الذاتية التي ساعدت المستعمرين على توجيه الضربة اليها، هذا في حين أنَّ الوسائل الأخرى الظاهرة كانت معروفة لدينا، وكنا نواجهها بوعي وبإصرار في بعض الأحيان.

إنَّ تلك كانت تجري عادة في غفلة منا، وهي كثيرة ولكننا سنركز حديثنا على مثال واحد مهم من تلك الامثلة، وهو أنَّ الافكار المتلصصة التي تسربت الى عقول شبابنا في بداية القرن العشرين عبر المناهج التربوية، وعبر الذين كانوا يُسمَّون بالمفكرين، والمصلحين، وبواسطة الصحفيين والكتاب، ومن خلال الافلام والوسائل الاعلامية، كل ذلك كان مدخلاً من مداخل الكيد

الشيطناني للدوائر الاستعمارية، هذا الكيد الذي كان أشد فتكاً من القنابل الذرية والهيدروجينية إستهدف القضاء على الاسلام وإبعاد الأمة عن سرّ قوتها، ولذلك فإن آثاره ما تزال باقية في عقول الكثير من أبنائنا.

وهكذا فان وسائل الاستعمار واساليبه كثيرة ومتعددة، وفيما يلي نذكر بعض الامثلة من التاريخ المعاصر على هذه الاساليب والمخططات الهادفة للقضاء على الاسلام وصحته.

تسليط الانظمة الارهابية وبث الاختلافات

فمن الوسائل الإستعمارية تسليط الأنظمة الإرهابية على المسلمين، ومحاولة محو وسحق الحضارة الإسلامية من خلال هذه الأنظمة؛ فقد عادت الدوائر الإستعمارية الى طريقة كانت تستخدمها ونجحت فيها نجاحاً باهراً، وتتمثل هذه الطريقة في بث الخلافات داخل الحركة الإسلامية العالمية الواحدة.

وقبل أن نبين أبعاد هذه المؤامرة الشرسة لا بأس أن نذكر بأسلوب الإستعمار ودوائره المختلفة في تنفيذ هذه المؤامرة التي تُسمى بمصطلح رمزي في الدوائر الإستعمارية هو (المبادرة السياسية)؛ وهذه هي سياسة الإستعمار الآن بالنسبة الى الحركة الإسلامية الواحدة، ونؤكد على أنه إذا اصطبغت حركةً ما بالاسلام فإنها لن تستطيع أن تنفصل عن مجمل الحركة الإسلامية في العالم، ولا يمكنها أن تصبح متعددة ومختلفة ما دامت تنشُد حكومة الإسلام،

وتحقيق مفهوم الأمة الإسلامية.

إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَاحِدَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١). وما دامت هذه الأمة واحدة فإن الحركة التي تنشُد إقامتها وتحقيق حكم الله تعالى عليها لا بد أن تكون حركة واحدة، ولكن الاستعمار الذي يعرف مدى قوة هذه الحركة وفاعليتها يبدأ ببث الخلافات داخل هذه الحركة الإسلامية الواحدة.

اننا اذا لم نلتف حول الراية الاسلامية، ولم ندع خلافتنا
الهامشية جانباً ونوحد صفوفنا، ونفضح تلك الخطوط
الإستعمارية، وأولئك الجبهة المتعصبين،
وغيرهم من الحاقدين الممثلين بالعقد النفسية،
فإننا سرعان ما سنُفاجأ بالبدايل الدكتاتورية

و(بريجنسكي) وزير الخارجية الأميركية الأسبق يعترف في مذكراته
عن الثورة الإسلامية في ايران بهذه الحقيقة قائلاً: إِنَّ هذه الثورة لا تقتصر على
ايران بل هي بعث إسلامي أصيل في العالم كله.

فهم يدركون أَنَّ هذا البعث الإسلامي له قوته العظيمة، وقدرته الهائلة،
وإمكانياته الكبيرة، وبالتالي فإن هذا البعث من شأنه أن يفجّر العالم في وجه
المستكبرين والمستغلين الذين يخططون لعمل مضاد، وهو السعي الدائب من

١- سورة الانبياء، آية ٩٢.

أجل تفتيت هذه الأمة والحركة الإسلامية الواحدة، وبالتالي السيطرة على هذا الإنبعث الأصيل.

الطائفية المؤامرة القديمة الحديثة

وهكذا تبدأ المؤامرات والخطط، فكل الخلافات التي كانت قائمة قبل عدة حقب ماضية عندما انطلقت الصحوة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى أعيدت الآن ملفاتها، والذي يدرس التاريخ يدرك كيف أنه يعيد نفسه الآن؛ اذ بدأت المؤامرة في بداية إنتصار الثورة الإسلامية في ايران بالضرب على وتر الطائفية.

ونحن نلفت أنظار أبناء الحركة الإسلامية الى هذه المؤامرة لشراستها وأبعادها الواسعة، فهي تكاد أن تخنق الحركة الإسلامية العالمية، فقد توجهوا الى الأقليات المذهبية والدينية، ونفخوا في أبواق الأفكار التمييزية السابقة، وشجعوا كل إنسان متعصب وحاقد على أن يثير ويؤجج هذه الخلافات، ولكن علينا أن نكون يقظين، ولا نقع في حبال هذه الخطة التي رسمها الإستعمار.

وعلى هذا المجال أن ندرس التاريخ وننتعظ به؛ وعلى سبيل المثال فإن الخوارج الذين ظهوروا اثناء خلافة الإمام علي عليه السلام كانوا أناساً حاقدين لا يعرفون من الإسلام إلا الصلاة والصيام، ويروى عنهم أنهم كانوا يسألون كل مارٍ بطريقهم إن كان من شيعة علي عليه السلام أم من شيعة معاوية، فيقول هذا

المار المسكين خوفاً من القتل والتمثيل أنه مسيحي، رغم أنه قد يكون من أصحاب النبي ﷺ!

وقد كان هؤلاء المنحرفون يقتلون المرأة المسلمة الحامل، ويبقرون بطنها، ويُخرجون حملها، ثم يمر أحدهم واذا بتمررة في الطريق فيأخذها ويضعها في فمه، ولكن الآخر يخرجها من فمه ويقول: إنَّ عملك هذا حرام! أمّا أن يقتل امرأة مسلمة ويمثّل بها فليس بحرام!

إنَّ الحكام الطغاة كانوا يفتشون عن مثل هذه العناصر، كما فتش عنها معاوية ودسها في الجيش الاسلامي؛ جيش علي عليه السلام، فشتت بذلك هذا الجيش.

ضرورة تحدي المؤامرات

وهكذا فاننا اذا لم نلتف حول الراية الاسلامية، ولم ندع خلافاتنا الهامشية جانباً ونوحد صفوفنا، ونفصح تلك الخطوط الإستعمارية، وأولئك الجهلة المتعصين، وغيرهم من الحاقدين الممتلئين بالعقد النفسية، فإننا سرعان ما سنُفاجأ بالبدائل الدكتاتورية وهي تستولي على الحكم لتضرب المتدينين، وتزهق أرواحهم، وهذا بحاجة الى وعي، وقد منحنا الله تعالى هذا الوعي كما أشار إلى ذلك في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْءَ وَلَكِنَّ الْقَوْمَ أَنْفُسُهُمْ يَهْدِيهِمْ﴾^(١).

١- سورة يونس، الآيات ٤٢-٤٤.

فالله سبحانه وتعالى لا يمكن ان يغفر لأحد من ابناء الحركة الاسلامية في هذه المرحلة بالذات ذنبه؛ فعليه أن لا يستمع لكلام أي كان ضد هذا أو ذاك، لانه في هذه الحالة سيتحول الى اداة للاستعمار دون أن يشعر.

وهكذا فان علينا أن لا نتكلم ضد شخص ما من ابناء الحركة الاسلامية إعتباطاً، بل علينا أن نبحث عن الحقيقة ولا سيما القاعدة الاسلامية العريضة، فهي تضحي من أجل الاسلام لا من أجل احد.

علينا أن لا ندافع عن الاشخاص،
فدفاعنا يجب أن يكون عن الرسالة والعمل،
فالانبياء والائمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، والمصلحون
العظماء ضحوا بأنفسهم في سبيل العقيدة والدين،
ونحن بدورنا يجب أن نضحي بكل شيء في سبيل رسالتنا

ولقد قلنا إن جماهيرنا يجب أن تكون شاهدة على هذه الوحدة؛ فالوحدة هي وحدة القيادات، وهذه الجماهير يجب أن تكون شاهدة عليها، وحارسة لها، فعليها أن تقف في وجه اي انسان يحاول أن يفتت هذه الوحدة في اي ثوب أو صفة كان.

الرسالة اسمى من الاعتبارات الشخصية

وفي هذا المجال علينا أن لا ندافع عن الاشخاص، فدفاعنا يجب أن

يكون عن الرسالة والعمل، فالأنبياء والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، والمصلحون العظماء ضحوا بأنفسهم في سبيل العقيدة والدين، ونحن بدورنا يجب أن نضحى بكل شيء في سبيل رسالتنا حتى لو كان هذا الشيء متمثلاً في كرامتنا التي تعتبر هبة إزاء كرامة الإسلام.

فلنبذ الأنانيات والحدود والاطر الضيقة، ولننطلق في رحاب هذه الامة الواسعة، ولنعمل وننهض لله تعالى ونستشهد في سبيله.

وهنا أعود لاؤكد على أنَّ المؤامرة واسعة وشرسة وهي تتركز على الحركات والشعوب الإسلامية في كل مكان، فهناك مؤامرة في كل بُعد، وعلى كل ساحة، وعلينا أن نفكر في إفشال هذه المؤامرة من خلال التزود بالمزيد من الوعي، والمزيد من التجرد عن الأنانيات والاتجاهات الفئوية والطائفية، والمزيد من التلاحم الرسالي بين الحركات الإسلامية من جهة، وبين جماهيرنا المؤمنة من جهة أخرى.

الحركة الاسلامية في مواجهة التحديات

في التجارب علم مستحدث، والسعيد من اتعظ بتجارب الآخرين،
والمؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ مرتين، وما جرى ويجري في بلادنا من مآسٍ ينبغي
أن تكون درساً لآبناء الامة الاسلامية كلها.

وفي هذا المجال يطرح السؤال التالي نفسه: كيف ينبغي أن تخطط الحركة
الاسلامية في العالم لنفسها خطة تتجاوز من خلالها العقبات التي اعترضت
طريق مسيرتها الاسلامية؟

إنَّ هذه القضية ليست قضية بسيطة نستطيع أن نتغافل عنها، فورها
دماء ودموع ومآسٍ وكوارث، فلا يمكننا بسهولة أن نمرَّ على هذا الوضع
المزري الذي يجري في العالم الاسلامي، وعلى ما يخطط له الاستعمار، فليس من
المعقول أن نتنظر حتى يختار لنا الاستعمار طريقاً يدفعنا باتجاهه دفعاً، بل لا بد
أن نعي تجارب الآخرين ونتَّعظ بها، وأن نجعل فكرنا مرآة صافية للحقائق،

فلا نخطو خطوة إلا بعد تفكير دقيق.

آفة تحول الحركة الى النظام

ومن أجل الاجابة على السؤال الذي طرحناه نقول:

١ - لا بد أن نعرف أن الحركة، وبالاخص الحركة الاسلامية التي تتسلح بالايان والكتاب والميزان، هذه الحركة آفتها أن تتحول من حركة الى نظام أو الى قمر يدور في فلك نظام، لأن شرعية العمل الثوري التغييري تكمن في استمرار حالتها الثورية، وتحديها للوضع القائم، ورفض القوانين السائدة، أما الحركة التي تدعن للإطارات الضيقة فإن من السهل على أعدائها أن يخنقوها، ويقضوا عليها في المهد.

وعلى سبيل المثال فإن الحركة المسلحة للشعب الفلسطيني المسلم قبل تفجر الانتفاضة، عندما ارتبطت بالانظمة العميلة التي لم تستطع أن تفعل شيئاً في مقاومة اسرائيل، وعندما تحولت الى نظام، بل الى رقم في حساب نظام، فان هذه الحركة حكمت على نفسها بالموت ولا شك، رغم أن أبناء الشعب الفلسطيني المسلم حاولوا تجاوز سلبات الامة، وقدموا التضحيات وعملوا. ولكن لا بد أن ندرس التجربة كتجربة، ولا بد أن نعتبر بحوادث التاريخ من أجل المستقبل البعيد.

وهكذا فان الحركة الإسلامية ينبغي أن تبقى حركة، والثورة يجب أن تستمر ثورة، وأن لا تتأطر ضمن نظام، وتصبح رقماً في حسابه، والحركات

الإسلامية في سائر أنحاء العالم الإسلامي لا بد لها هي الأخرى أن تتجاوز هذا الخطأ، وأن لا تُلدغ من هذا الجُحر مرتين.

إِنَّ مَنْ يَعْتَمِدُ عَلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَانْهَ سَيُخَيَّبُ ظَنَّهُ،
فَلَقَدْ آلَى الْخَالِقُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُخَيَّبَ
ظَنَ أَيِّ إِنْسَانٍ يَتَكَلَّمُ عَلَى غَيْرِهِ، فَلَا بَدَّ أَنْ نَقْطَعَ أَمَلَنَا
بِأَيِّ إِنْسَانٍ وَتَجْمَعَ وَفْتَةٌ وَنِظَامٌ،
وَأَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَلَى مَنْ أَمَرَ بِالتَّعَاوُنِ مَعَهُمْ

الحركة الإسلامية تتحدى مؤامرات الاستكبار

ولقد راهن الاستعمار كثيراً على تطبيق مجموعة من الأساليب الخبيثة وغير الشريفة ضد الحركات الإسلامية؛ فقتلوا قادتها، وابعدوا قاعدتها، وسجنوا شبابها، وحاولوا التفريق بين أبنائها، وبثوا الخلافات فيما بينها، وحاولوا مقاومتها، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك.

وأنا أؤكد هنا أن الحركة الإسلامية في العالم في هذه المرحلة هي أقوى منها في أي مرحلة مضت، فهي اليوم قد تجاوزت كثيراً من العقبات، واستفادت من الدروس، واستوعبت تجارب المرحلة، وتجاوزت مرحلة الخلاف على القشريات، وهي الآن تدخل مرحلة جديدة هي مرحلة التعاون والتلاحم والذوبان في بوتقة واحدة هي بوتقة الجهاد، والعمل، والتضحيات.

كما أنَّ هذه الحركة استطاعت اليوم أن تتحدى ضعف الانسان في العالم الثالث، وأن تتقدم تقنياً كما تقدمت ايدولوجياً وسياسياً، ومع ذلك فان ما يُخشى عليها في هذه المرحلة أن تتحول الى نظام؛ وعليها الآن أن تتجاوز أيضاً هذه المرحلة بنجاح كما تجاوزت المراحل السابقة، وعليها أن توثق علاقاتها بالجمهير، وأبناء الأمة بعد أن تمتن علاقاتها قبل ذلك بالله سبحانه وتعالى.

وعلى الحركات الاسلامية أن تعلم في هذا المجال أن من يعتمد على أحد غير الله عزَّ وجلَّ فانه سيخيب ظنه، فلقد آلى الخالق تعالى على نفسه أن يخيب ظن أيِّ إنسانٍ يتكل على غيره، فلا بد أن نقطع أملنا بأيِّ إنسان وتجمع وفئة ونظام، وان نعتمد على الله وحده وعلى مَنْ أَمَرَ بالتعاون معهم.

تجاوز عقبة التجزئة مقياس القوة

٢- إنَّ قوة الحركة الاسلامية لا تكمن فقط في قدراتها التنظيمية، لأنَّ هذه القدرات قد تكون أقوى عند سائر الحركات، كما أنَّ هذه القوة لا تكمن أيضاً في تقديمها للتضحيات، لان ابناء الحركات الاخرى يقدمون التضحيات أيضاً في سبيل مبادئهم، بل إنَّ قوة الحركة الاسلامية الحقيقية تتمثل في مدى قدرتها على تجاوز مشكلة عويصة ومعقدة تعاني منها الامة الاسلامية ألا وهي مشكلة التجزئة.

إنَّ الحركات القومية والوطنية، والحركات التي تحارب تحت أُلوية غير لواء الاسلام، هذه الحركات مبتلاة بالاطر الضيق؛ أي اطار التجزئة

والانفصالية، والحركة الخاضعة لهذا الواقع الفاسد هي حركة ضعيفة.

ومن جهة أخرى فإنَّ الانظمة المسيطرة على الشعوب بالرغم من ادعائها للاستقلالية هي أنظمة متصلة من فوق بالانظمة الإستكبارية، ومن المعلوم أنَّ الانظمة تتعاون مع بعضها، وتتبادل الخبرات والتجارب في مجال ممارسة الارهاب ضد الشعوب، واخضاعها لواقع التجزئة، وبذلك تصبح هذه الانظمة اقوى من الشعوب، وهذه الشعوب لا يمكنها أن تتحدى الانظمة تلك إلا عندما تتلاحم مع بعضها، وتتجاوز واقع التجزئة. والحركة الإسلامية هي التي تستطيع أن تتجاوز هذا الواقع من خلال الممارسات والشعائر الإسلامية التي يقف الحجب في مقدمتها، ففيه تتجلى الوحدة الإسلامية، ويجد الانسان أن المسلم الافريقي - مثلاً - يتصافح في صلاة الجماعة في مكة المكرمة وفي حرم الله مع المسلم الاوروبي، فهما يختلفان في كل شيء ولكنهما يتفقان في شيء واحد وهو انهما يوحدان الله، ويصليان باتجاه الكعبة، ويطوفان حولها، ويؤمنان بالقرآن الواحد، والاسلام الواحد.

الحركة الإسلامية بنت النظام الاسلامي

ترى؛ أيُّ دين في العالم يستطيع أن يعقد مؤتمراً سنوياً قوامه الملايين من البشر الذين يفدون من كافة انحاء الارض؟

إنَّ الحركة الإسلامية هي بنت هذا النظام والمبدأ وهذه الأمة، ولذلك فإنَّ بإمكانها أن تتجاوز واقع التجزئة، إلا أنَّ هذه الفكرة ينبغي أن تدخل

حيّز العمل، ولا تبقى مجرد حلم وخيال، وهذا لا يكون إلا من خلال ارتباط وتلاحم الحركات الاسلامية مع بعضها، فالإنسان الرسالي المسلم هو أخو الإنسان الرسالي المسلم الآخر، وعليه أن يفتش عنه ليتلاحم معه.

إنّ كل المؤامرات التي تحاول تجزئة عالمنا الإسلامي
باسم القومية أو الطائفية، انما هي مؤامرات مرفوضة
غير قادرة على ان توقف مسيرة المسلمين الصاعدة،
ومسيرة أمتنا التي عرفت طريقها،
وشقته عبر المآسي والآلام والدماء والدموع

الوحدة سر قوة الحركة الاسلامية

ولو أنّ الحركات الإسلامية تعاونت مع بعضها، وتجاوزت خلافاتها، ورفضت حالة التجزئة في العالم الاسلامي، ولم تعترف بالحدود المصطنعة، فانها ستكون اقوى بكثير من الانظمة المتسلطة على الشعوب، ولذلك فاني أنصح كافة الحركات الاسلامية بجميع فصائلها أن لا تخضع للاعلام الجاهلي المضلل، ولرواسب التخلف التاريخية، والنعرات والحساسيات، وأن تسير باتجاه الوحدة لكي يكون سقوط الانظمة الطاغية شيئاً طبيعياً، لأنّ تلاحم هذه الحركات هو تلاحم العمق، اما الانظمة الطاغية فانها تتحالف في الظاهر ولكن قلوبها مشتتة في الواقع، كما يقول القرآن الكريم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى^(١).

في حين يقول عن المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ^(٢)﴾.

فهناك أخوة الايمان، بالاضافة الى أخوة العمل الرسالي، وأخوة الهدف، وهذه العوامل تجتمع معاً لتجعل التلاحم عميقاً مرصوفاً.

الانسان الحركي مستعد للتضحية

٣- إنَّ الحركة الإسلامية تعني أنَّ الانسان المنتمي اليها يجب أن يكون مستعداً للتضحية والعطاء، وأن لا يأبه بما يحدث حوله، في حين أنَّ الأنظمة تخضع لمعادلات معينة، وبذلك فان الحركة ستكون اقوى من النظام، وبالتالي فان الحركة الإسلامية هي حركة تخدمها حوادث التاريخ؛ اي ان الزمن يكون في عونها دائماً لانها حركة تسير في مسيرة السنن الكونية وفي طريق الحق.

وفق كل ذلك، فان يد الله سبحانه وتعالى تكون مع الحركة الإسلامية عندما تتحد، كما جاء في الحديث الشريف: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^(٣)، وهذه العبر والدروس نستفيدها من الواقع السائد في بلادنا، وعلى الحركة الإسلامية أن تتنبه الى المؤامرات التي تحاك ضدها.

إننا كشعوب إسلامية لا نرضى إلا بعالم إسلامي واحد يحكمه الاسلام،

١- سورة الحشر، آية ١٤.

٢- سورة الحجرات، آية ١٠.

٣- شرح نهج البلاغة [لابن ابي الحديد]، ج ١٠، ص ٢٨٠.

وتعيش مختلف الفئات في ظله دون تمييز، وإنَّ كل المؤامرات التي تحاول تجزئة عالمنا الإسلامي باسم القومية أو الطائفية، إنما هي مؤامرات مرفوضة غير قادرة على ان توقف مسيرة المسلمين الصاعدة، ومسيرة أمتنا التي عرفت طريقها، وشقته عبر المآسي والآلام والدماء والدموع.

الحركة الاسلامية والضرورة السياسية

قبل كل شيء لا بد أن نعرف اننا كلما توغلنا في المستقبل كلما وجدنا أن المساحة التي تشغلها السياسة في حياة البشرية آخذة في النمو والتصاعد؛ فبعد أن كانت السياسة من شأن رجال معدودين وقضايا محدودة، نرى انها اليوم بدأت بالانتشار حتى نفذت الى كافة مجالات الحياة.

ضرورة معرفة السياسة

ولذلك فان العلم بالسياسة ومعرفة أبعادها والعوامل المؤثرة فيها، أصبحا من الامور الضرورية بالنسبة الى كل إنسان، سواء كان قيادياً ام انساناً عادياً. فالسياسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتنا وسعادتنا وكرامتنا، ومن هنا فقد كانت مهمة علماء الدين - مثلاً - في السابق معرفة الفقه واصول الفقه وقواعد اللغة وما شاكل، أما الآن فان عليهم - بالاضافة الى ذلك - ان يتعمقوا اكثر فاكثري في معرفة العصر وما يجري فيه من أحداث، وما يختفي وراء هذه

الأحداث من عوامل سياسية، فكلما كانت معرفتهم بالزمان - حسب تعبير
الائمة عليه السلام - أو بالسياسة - حسب تعبيرنا - أكثر كلما كانت فرص نجاحهم
في إدارة شؤون الامة اكثر، واستقامتهم على الخط مضمونة بنسبة اكبر.

إنَّ هناك الكثير من علمائنا وقادتنا ضلوا الطريق لانهم لم يكونوا عارفين
بالسياسة، وعلى سبيل المثال فان بعضهم كان يعارض بشدة الحكم الدستوري
في ايران، ويصر على استمرار السلطات الطاغوتية لعدم معرفته بالسياسة
وجعله بها.

ومع ذلك فان الثورة الإسلامية التي قادها العلماء العارفون بالسياسة في
ايران إنتصرت على النظام الطاغوتي الذي تشبَّث به بعض القادة غير العارفين
شيئاً عن عالم السياسة. وعندما نرى في التاريخ هذه الحقائق المؤلمة نقف
لحظات لنعتبر بها، ونستنتج انه من الممكن ان يأتينا رجال ويزينوا لنا الباطل
في السياسة، فإن لم يكن لنا علم بها، وبصيرة بخصوصياتها فان المطاف سينتهي
بنا الى ما انتهى باولئك الرجال الذين كانوا اكثر منا علماً في المجالات التقليدية
إلا أنهم سقطوا بسبب عدم معرفتهم بالزمان وبالسياسة.

النظرة التحليلية للاخبار

ومن هنا فان علينا أن ندرس السياسة، فعندما نجلس الى المذيع وهو
ينقل لنا اخبار الغرب والشرق فان علينا أن لا نستمع الى هذه الاخبار لغرض
قضاء اوقات الفراغ، وانما للتعلم في معرفة الحقائق، كما وعلينا عندما نطالع

الصحف أن لا نمر على أخبارها وتعليقاتها مرور الكرام، بل علينا أن نفكر ونكتشف ما وراء هذه التعليقات والأخبار، وأي خبر من هذه الأخبار هو الصحيح وأيها كاذب.

إنَّ مواقفنا يجب أن تكون مبنية على قواعد من العلم السليم، والتحليل الصحيح والدقيق.

نحن لا نستطيع ان نستورد الثورة الإسلامية من هنا وهناك،
ولا يمكن لأصحابها أن يصدّروها
إذا لم يسبق هذه العملية وعي كاف بطبيعة الثورة
والظروف التي مرت بها
وكيفية استلهاام الدروس والعبر منها

اعدائونا يتابعون اخبارنا بدقة

وانني هنا أعلن وأنا متأكد من إعلاني هذا أن أجهزة المخابرات في البلدان الاستكبارية مكبة على دراسة اوضاع الحركات الإسلامية، فلقد قرأت في تقرير صدر قبل بضع سنوات انه يوجد في الولايات المتحدة الامريكية اكثر من ثلاثين معهداً لدراسة الحركات الإسلامية، وأن هنالك اكثر من اربعمئة ألف عالم ومفكر يعملون في مؤسسات وزارة الدفاع الامريكية يشغل عشرون ألفاً منهم في دراسة الحركات الإسلامية في مؤسسات منتشرة في انحاء العالم،

وانا متأكد انهم يدرسون كل قصاصة ورق تصدر من هذه الحركة الاسلامية أو تلك ليكتشفوا خلفياتهم بامعان.

وهم يفعلون كل ذلك ليمنعوا دون إتساع نطاق هذه الحركات، وليقفوا امام إمتداداتها.

ترى كم صرفت الحركات الاسلامية في العالم الاسلامي من الجهد لدراسة المؤامرات الغربية والتعمق فيها؟ ومن جهة أخرى هل كلّفت نفسها عناء دراسة الثورة الإسلامية في ايران مثلاً؟ ترى هل قرأ أحدا ولو كتاباً واحداً عن تاريخ هذه الحركة؟ وهل حاولنا ان نفتش عن ما في هذه الثورة من اعماق، وما فيها من دروس وعبر؟

إنّ علينا نحن الذين عاصرنا هذه الثورة أن ندرسها - الى جانب سائر الثورات والحركات - دراسة جيدة واعية، وندرس المؤامرات التي حيكت ضدها فنحن قد نواجه ظروفًا مشابهة، فعلينا أن نعرف هذه الظروف، وكيفية معالجتها، يجب أن ندرس كل ذلك و أن نوسّع من آفاق معرفتنا، ونلاحظ مسيرة الحركات المتنامية، ونفتش عن خباياها، وكيفية انتشارها.

من اساليب وتكتيكات الثورة الاسلامية

وفيما يلي ومن أجل إستلهم الدروس من هذه الثورة نذكر بعضاً من الاساليب التي اتبعتها في سبيل القضاء على حكم الطاغوت وايصال بلاغات الامام الخميني (رض) الى الجماهير المسلمة في ايران، وانا اذكر في هذا المجال أنّ

مجلة (المستقبل) البيروتية كتبت تقول: إنّ حرب الكاسيتات (الشرطة) تمثل اسلوباً اكتشفته الثورة الإيرانية، وقد أدرك الأعداء خطورة هذا الأسلوب، وأخذوا يفتشون عن طريقة لمقاومة هذه الحرب، فما كان منهم إلا أن منعوا بيع الشرطة في بعض البلاد.

وهناك اسلوب آخر اتبعته الثورة الإسلامية في إيران قبل الانتصار وهو اسلوب الاناشيد الثورية التي كان الثوار يستخدمونها لسنين في سبيل إلهاب حماس الجماهير، فقد لا يستطيع كتاب ضخّم يحتوي على معلومات مكثفة ومركّزة أن يوجه انساناً في عنفوان شبابه بقدر ما تستطيع أنشودة واحدة أن تحركه وتدفعه الى الامام.

ترى هل استفادت الشعوب المسلمة في البلدان الإسلامية الاخرى من تجربة الثورة الإسلامية في إيران فيما يتعلق بلجان دراسة القرآن؟ لقد كانت هناك اكثر من (١٦٠) لجنة منتشرة في مساجد قم، وكل لجنة تتألف من عشرة أو خمسة عشر عضواً يدرسون القرآن، ويفسرونه وكأنه قد انزل عليهم.

الثورة لا تُستورد وإنما تُدرس

إنّ هذه تجارب قيمة علينا أن ندرسها دراسة وافية، فنحن لا نستطيع ان نستورد الثورة الإسلامية من هنا وهناك، ولا يمكن لاصحابها أن يصدّروها اذا لم يسبق هذه العملية وعي كاف بطبيعة الثورة والظروف التي مرت بها وكيفية استلهاام الدروس والعبر منها، ومن جهة أخرى فان الاستفادة

من الثورة ليست كعملية استيرادها، فالثورة لا تُستورد ولا تُصدَّر؛ فلكل منطقة ظروفها، ونحن نرى أنَّ الثورة التي تفجرت في ايران هي اسلامية الخصائص، ايرانية المكان، فالثورة هي للامة الاسلامية كلها، إنها امتداد للثورات والحركات الاسلامية التي حدثت في العصور القديمة والحديثة، وامتداد للجهود الاصلاحية لقادة وعلماء رساليين قادوا حركات التغيير في بلادهم وشعوبهم.

من أجل حركة اسلامية عالمية

يعيش العالم الاسلامي منذ سنوات صحوة متنامية، ففي كل يوم تأتينا الانباء عن تحركات المسلمين هنا وهناك مطالبين تطبيق أحكام الإسلام ورافضين الحكومات الذيلية التابعة للمستكبرين.

واجبنا ازاء الصحوة الاسلامية

إنَّ هذه النهضة الاسلامية تطرح امامنا تساؤلات عديدة ابرزها: ما هو الدور الذي يجب ان يقوم به كل واحد منا تجاهها؟

فنحن عندما ننطلق للقيام بعمل اسلامي فاننا نقوم به استناداً الى منطلقات دينية قبل أيّ شيء آخر، فلا الارض ولا الشار ولا الحمية ولا أيّ دافع آخر من هذه الدوافع غير الالهية يثير حفيظة الانسان المؤمن بقدر ما يثيره ايمانه ووجدانه الديني وارتباطه بالله سبحانه وتعالى. فلأنني مسلم، ولأنَّ الله قد أخذ مني العهد بأنَّ أحمّل الأمانة فانني لا بد أن انطلق واتحرك لتغيير الأوضاع الفاسدة والمنحرفة سواء في بلدي أو في أيّ بلد آخر يُضطهَد فيه

المسلمون.

ولذلك فان الانسان المؤمن لا يميز بين ارض واخرى، وبين شعب وآخر، وبين مستضعفٍ ومستضعفٍ، بل ينطلق من أجل انقاذ المستضعفين جميعاً اينما كانوا، فمن أهم ما يطرحه الاسلام بل ورسالات السماء كلها على الانسانية عبر التاريخ هو إسقاط هذه الحواجز، والنظر الى الانسان بصفته مخلوقاً من قبل الله تعالى، وما دام الامر كذلك فلا بد أن يقع في دائرة اهتمامنا، وهذه الصفة هي المقياس الذي يختبر الله عزَّ وجل به عباده الصالحين بأن لا يكون اقرب الناس اليه احب اليه من اخيه في الايمان.

إسقاط القيم الجاهلية

إنَّ الاسلام جاء ليحذف الفوارق العرقية واللغوية والقومية والطبقية وما الى ذلك، فاسقاط هذه القيم الجاهلية يعتبر الخطوة الاولى نحو تحقيق اهداف الاسلام، وتحقيق اهداف رسالات السماء جميعاً.

ومن هذا المنطلق يجدر بنا ان نحذر من ان يكون هناك امران يتدافعان في قلوبنا، لان هذه الحالة من شأنها أن تشوّه قربتنا الى الله تعالى، فان ألقينا خطاباً، أو ألفنا كتاباً، أو قمنا بأي واجب شرعي وديني آخر ثم لم نجد في انفسنا قربى الى الله، وخشوعاً جديداً، فلتتهم انفسنا، لأنَّ نيّتنا لم تكن خالصة، وكانت مشوبة ببعض الدوافع غير الالهية التي هي المسؤولة عن وضع الحجب بين أعمالنا وبين الله تعالى.

النية صبغة العمل

إنَّ الله لا يمكن أن يقبل منا أعمالنا إلا إذا كنا أتقياء، طاهرين، حنفاء. والمشركون عبر التاريخ كانوا يعبدون الله ولكنهم كانوا يضيفون الى عبادتهم لله تعالى عبادةً أخرى، فرفضهم الخالق وأذاقهم أشد العذاب وأدخلهم ناراً خالدين فيها أبداً، لأنهم لم يكونوا يمتلكون نيات خالصة.

إنَّ التفكير الشمولي لا يتنافى مع التركيز، فالتركيز ضروري، وكذلك الحال بالنسبة الى وضع الاستراتيجيات والاهتمام بالمسائل الحياتية، كل ذلك ضروري، ولكن عليك أن تعمل كما لو كنت تريد أن تنطلق لتحرير العالم

ونحن عندما نعمل في سبيل الله عزَّ وجل لا بد أن نحسب حساباً لنيَّاتنا، فالنية هي صبغة العمل، وهي التي تجعله عملاً يتقرب به الانسان الى الله، وفي نفس الوقت فإنَّ العمل قد يكون مبعداً للانسان عن ربه، لأنَّ الإنسان قام به بنية فاسدة، ولذلك فاننا عندما نقوم بالعمل في سبيل الله لا بد أن تكون قلوبنا طاهرة سليمة بحيث نعتبر كل بلد بلدنا، وكل وطن وطننا، وكل ارض فيها مظلوم وداعية الى الله وحركة اسلامية هي ارضنا، فالقضية الجوهرية هي قضية العبودية لله عز وجل، وهذه العبودية تفرض علينا أن ننطلق نحو الاهداف من منطلق الايمان بالله والاعتقاد به، وتطبيق اوامره.

التفاعل مع قضايا المسلمين

ومن هنا لا بد أن لا نفقد تفاعلنا وحساسيتنا تجاه الامور، فاذا قيل لك: إنَّ افغانستان قدمت مليون شهيد في طريق مقاومة الظلم والطغيان، فلا تقل: إنَّ هذا الامر لا يعنيني، واذا قيل: إنَّ هناك في فلسطين شباباً بعمر الورود يتساقطون كاوراق الخريف بفعل الرصاصات الاسرائيلية الغادرة، فلا تقل: مالي وما للشعب الفلسطيني، وتبرّر ذلك بأنَّ التفكير في جميع قضايا المسلمين سوف يفقدني التركيز، والاهتمامات العامة سوف تبعدني عن استثمار طاقاتي في عمل مثمر واحد!.

إنَّ التفكير الشمولي لا يتنافى مع التركيز، فالتركيز ضروري، وكذلك الحال بالنسبة الى وضع الاستراتيجيات والاهتمام بالمسائل الحياتية، كل ذلك ضروري، ولكن عليك أن تعمل كما لو كنت تريد أن تنطلق لتحرير العالم. ولعلك تسأل في هذا المجال: ما فائدة أن اعمل للعراق بروح تحرير فلسطين، وما فائدة أن اعمل في الجزيرة بمنطلق تحرير افغانستان؟

وللجواب على ذلك نذكر الوجوه التالية:

بذل المزيد من العطاء

١ - عندما تعمل في العراق - مثلاً - بروح عالمية، ورؤية كونية، فانك سوف تبذل المزيد من العطاء والجهاد، لانك تعلم انك عندما تحرر العراق،

فانك ستحرر بعد ذلك فلسطين وغيرها من البلدان، فهذه الروح تجعلك أكثر إصراراً، وأشدّ عزمًا، وأكثر استعداداً للتضحية، لأن قلبك سيصبح كبيراً، ونفسك واسعة، وهكذا سيصبح إيمانك شديداً، وعزمك راسخاً.

وعلى العكس من ذلك فانك عندما تريد أن تحرر بلداً من البلدان ثم يقتصر تفكيرك عليه فلعلك تسأل نفسك بعد ذلك: هل هذا هو كل الجهد والعطاء، وهل هدفي محدود بتحرير بقعة صغيرة؟ ولكنك عندما تمتلك رؤية عالمية فانك حينئذ سوف تستمر في انطلاقتك، لأن تحرير بلدٍ ما يمثل بالنسبة اليك خطوة في طريق طويل.

ضمان الاستقامة

٢- عندما ننطلق من أجل قضية محلية بروح عالمية، فاننا سنضمن بذلك عدم انحراف استقامتنا، لكي لا تتحول السياسة الى معبد لنا، ولا تصبح التكتيكات الجزئية والاهداف الهامشية محراباً نتعبد فيه، وبهذه الروح العالمية نضمن براءة قلوبنا، وصفاء نفوسنا، واستقامة خطنا، وسلامة منطلقاتنا.

كثيرة هي تلك الحركات التي بدأت رسالية وانتهت سياسية، وبعبارة أخرى فانها بدأت في سبيل الله وانتهت في سبيل بقعة جغرافية محدودة.

وهكذا فاننا عندما نمتلك البصيرة الكونية فاننا سنستمر في خطواتنا الى الامام.

توظيف فائض الماقات

٣- عندما ننطلق بروح ايمانية فان فائض طاقتنا يمكننا أن نوظفها لخدمة حركات أخرى، وإلا فاننا سنستهلكها في امور دنيوية تافهة، فهل تعلم أن الدرهم والدينار اللذين تنفقهما في سبيل تأمين حاجة كمالية في حياتك يمكنهما أن يقوموا بدور فعال في البلدان الاسلامية الاخرى لإنقاذ أناس مظلومين من الإضطهاد والقمع؟ فعندما تنام وأنت تشعر بأن في افغانستان دماء تُراق، وفي العراق حرما ت تُنتهك، وفي فلسطين شباباً يتساقطون، وأن الكيان الغاصب ينتهك كافة الحقوق والقوانين، فحينئذ فانك سوف لا تشغل ذهنك بالامور الثانوية التي لا تخدم الرسالة.

إنَّ أئمة التغيير والاصلاح في التاريخ لم يصلوا
الى تلك المكانة السامية التي وصلوا اليها
إلا من خلال التحرك، وتغيير مجرى التاريخ،
وذلك عبر تفجير طاقتهم وقدراتهم،
لأنَّ اهدافهم كانت سامية، وطموحاتهم عالية

فلندعم اخواننا المسلمين في البلدان الاخرى ولو من خلال الاشتراك في مظاهرة، أو كتابة رسالة، فنحن لم نتعرض لغزو الأعداء إلا من خلال ثغرة الاختلافات بين البلدان الاسلامية، فهذه العصبية الجاهلية، والشرائع التي ما انزل الله تعالى بها من سلطان، هي التي فتحت الطريق للغزو الاستعماري.

فالاستعمار لم يستطع السيطرة علينا إلا بعد أن فرقنا، وبعد أن تفرقنا بأنفسنا اتباعاً للشهوات والأهواء.

وهنا علينا أن لا نغفل عن قوله تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، مما يعني أن يكون المؤمنون في العالم اخوة، والمسلمون امة كما يقول تعالى في آية اخرى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

فلو فقدنا الاحساس بالتألم لاخواننا المسلمين هنا وهناك فقد نقص ايماننا، فهل يمكن أن يصبح الانسان مسلماً ولا يهتم بأمور المسلمين؟ واذا أردنا الانتصار والتقدم لا بد لنا أن نشعر بالمسؤولية والاهتمام ازاء أمور وقضايا المسلمين.

وقد تدعو الضرورة أن نعمل ونتحرك من أجل بلد آخر غير بلدنا، فاذا كانت اهتماماتنا اقليمية ضيقة أو حزبية طائفية فان هذه الحالة ستمنع المسلمين من أن يتعاونوا فيما بينهم.

مسؤوليتنا في هذه المرحلة

ترى ما هي الان وظيفتنا ومسؤوليتنا؟

سأحاول فيما يلي أن أُلخّص هذه الوظائف والمسؤوليات في كلمة تمس كل واحد منا.

١ - سورة آل عمران، آية ١٠٣.

٢ - سورة الانبياء، آية ٩٢.

نحن نستطيع أن نقوم بدور كبير وتاريخي اذا عقدنا العزم على ذلك، فنحن لسنا اناساً عاديين، ولا ينبغي أن نسمح لانفسنا بأن نعيش ونموت كأناس عاديين، ولذلك فإن علينا أن نقوم بدور تاريخي من خلال إستنهاض انفسنا والتخطيط للعمل الرسالي، فنحن بشر أودع الله فينا عالماً كبيراً، فلنستفد من هذا العالم، ولنخطط من أجل أن نصبح عظماء ومغيّرين.

إنّ أئمة التغيير والاصلاح في التاريخ لم يصلوا الى تلك المكانة السامية التي وصلوا اليها إلا من خلال التحرك، وتغيير مجرى التاريخ، وذلك عبر تفجير طاقاتهم وقدراتهم، لأنّ اهدافهم كانت سامية، وطموحاتهم عالية. وفي هذا المجال لندرس قصة يوسف الصديق عليه السلام عندما عقد العزم على أن يصبح ذلك الانسان العظيم الذي تهيأت له كل الاسباب، ولكنه ومن أجل تحقيق هذا الهدف الالهي دخل السجن بعد أن رفض تلويث نفسه بأحوال الخيانة والفساد، ولكن حادثة بسيطة، هي الرؤيا التي رآها عزيز مصر في منامه، أدّت الى أن ينتقل يوسف الصديق من السجن الى الرئاسة، ومن رجل سجين مطارد الى رجل يمسك بيده أزمة الامور.

فلنسأل أنفسنا: ما هو الجسر الذي عبر من خلاله يوسف الصديق عليه السلام من السجن الى الرئاسة في مصر؟

إذا دققنا في الامر نجد أن هناك قضية حياتية عرفها يوسف ولم يعرفها أحدٌ غيره؛ وبتعبير آخر فقد دخل يوسف الحياة السياسية من باب حل مشكلة قائمة في مصر آنذاك، هي مشكلة الجفاف والقحط والفيضانات، وبالفعل فقد

استطاع عليه السلام أن يحل هذه المعضلة لتصبح خزائن مصر كلها تحت إشرافه.
إنَّ هذه القصة تعني أنَّ بإمكاننا أن نقوم بدور أساسي في الحياة، وذلك
من خلال معرفة الحياة وعدم تبذير أوقاتنا دون أن نحقق مكسباً. فإذا أصبح
الواحد منا عظيماً فإنه سيستطيع أن يحقق مكاسب عظيمة يغير من خلالها
التاريخ.

من أجل حكومة الصالحين

في آيات الذكر الحكيم نقرأ الآية بعد الآية، والتذكرة بعد التذكرة عن الأنبياء والمرسلين، وعن عباد الله الصالحين، فنقرأ عن شخصيات رسالية عظيمة مثل نوح شيخ المرسلين، وإبراهيم محطم الاصنام، وموسى بن عمران كليم الله، وعيسى ابن مريم روح الله، وسيدنا ونبينا محمد ﷺ حبيب الله، وذو القرنين هذا الملك الصالح الذي سار شرقاً حتى بلغ من الأرض مشرقها، وتوغل غرباً حتى بلغ من الأرض مغربها، وأصحاب الكهف الذين خرجوا بدينهم والتجأوا إلى الكهف لكي يتعدوا عن طاغوت زمانهم.

دور ارادة الانسان في التغيير

اننا نقرأ في القرآن الكريم كل هذه القصص لكي نعرف أن الفرد بالرغم من انه قد يكون ابن المجموع، ومتأثراً بأفكار المجتمع، إلا انه في الوقت ذاته يستطيع أن يكون مؤثراً في المجتمع، شاهداً عليه، مغيراً له، ولا يتغير هو بقدر ما يغير، ولا تنعكس عليه سلبيات المجتمع الذي يعيش فيه إلا لكي يغيرها

ويصلحها ويحولها الى ايجابيات.

إنَّ الدور المؤثر في الحياة هو دور إرادة الانسان، ودور أمانة الله التي حملها هذا الانسان الضعيف فاحتملها، فكان من بين أبناء الانسانية رجال كنوح عليه السلام، هذا الرجل الذي مكث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه بشكل مستمر، ولكنهم مع ذلك لم يهتدوا به، ولم يؤمنوا إلا قليلاً، وربما لم يبلغ عدد المؤمنين به اكثر من سبعين انساناً، ولكنه على الرغم من ذلك إستمر في ثباته وصموده حتى نصره الله سبحانه وتعالى على أولئك القوم بالطوفان.

إنَّ هذا الرجل هو الذي حمل أمانة الله، هذه الامانة التي عجزت عن حملها السماوات والارض والجبال واشفقن منها، وخشين من حملها، وحملها الانسان، فلإنسان هنا رمز، ورمزه نوح.

وكذلك ابراهيم الذي قاوم كل الضلالة المنتشرة في زمانه بمفرده، فعندما قيل: من فعل هذا بالهتنا، ومن الذي سولت له نفسه أن يتجرأ عليها؟ اذا بشخص واحد يبرز يقال له ابراهيم، واذا به يتحدى كل تلك الضلالة.

لا بد لنا من رمز

فهذا الرجل هو رمز الانسان الصالح، وكل الانبياء عليهم السلام يمثلون هذه الرمزية، وهذا الانسان الصالح هو الذي ينبغي ان يحكم، فالحكومة لا يمكن أن تكون إلا للصالحين، ولكن الصالحين بدورهم لا بد أن يكون لهم رمز، ورمزهم ذلك الشخص الذي اجتمعت فيه خصال الانبياء. وهذا منهج

من مناهج السوء أن نختار للحكم شخصاً تكون خلفيته الثقافية والدينية والسلوكية نقية، ويكون من الصالحين الذين لم تدنّس الجاهلية أرواحهم، ولم تستطع سلبات المجتمع التأثير في نفوسهم.

إنّ الحكومة لا بد أن تكون فيها قوانين صالحة، وتعتبر فيها الحرية الاجتماعية ضماناً لصلاحها واستمرارها، ولا بد أيضاً أن يكون كل واحد من أبناء المجتمع مهتماً بهذه الحكومة، ومتواجداً في ساحة الاحداث السياسية غير متهرب منها.

اننا حين نقول بوجوب التحرك لتغيير الحكومات الباطلة
والفاسدة لا لأنّ قوانينها باطلة فحسب، وانما لأنّ
الحكام الذين يديرون هذه الحكومات ليسوا صالحين،
ولا يجدر بهم وليس من حقهم أن يجلسوا على اريكة
هي من حق الانبياء ومن يسير على خطى الانبياء

إنّ هذه الشروط هي ضرورة بل واكثر من ضرورة بالنسبة الى الحكومة، ولكنها - مع ذلك - لا تكفي؛ فنحن لو اخترنا رجلاً فاسداً، خلفيته الجريمة، وثقافته الدنس والانحراف والضلالة، فان هذا الانسان لن يستطيع بالطبع أن يقودنا الى الخير والصلاح لانه هو نفسه فاسد، وفاقد الشيء لا يعطيه.

القائد هو الاساس

إنّ النظام بمن يطبقه، والشرعية بإمامها، فالشرعية الصالحة لا تستطيع

لوحدها أن تخلق المجتمع الصالح إن لم يكن فوق المجتمع شخص يقوده الى تلك الشريعة ويطبقها على أبنائه، ولذلك فان الله عزَّ وجل لم يبعث الرسالة الالهية بصورة الواح وكتب.

ذلك لأنَّ الكتاب وحده لا يكفي، فهو بحاجة الى رسول يحمله، والرسول هو إنسان صالح تتجسَّد فيه كل قيم الصلاح الالهية، وهذه نقطة مهمة، ولذلك فاننا حين نقول بوجوب التحرك لتغيير الحكومات الباطلة والفاسدة لا لأنَّ قوانينها باطلة فحسب، وليس فقط لأنَّ هذه الحكومات لم تطبق شريعة السماء، وانما لأنَّ الحكام الذين يديرون هذه الحكومات ليسوا صالحين، ولا يجدر بهم وليس من حقهم أن يجلسوا على اريكة هي من حق الانبياء ومن يسير على خطى الانبياء.

مقعد الحكم مقعد الانبياء

وهكذا فان كرسي الحكم والسلطة انما هو خاص للانبياء والاصياء ومن يسير على خطاهم، ولذلك فان الامام علي عليه السلام قال لشريح القاضي عندما جلس على مسنده القضائي في الكوفة: «يَا شُرَيْحُ قَدْ جَلَسْتَ مَجْلِسًا لَا يَجْلِسُهُ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيٌّ نَبِيٍّ أَوْ شَقِيٌّ»^(١).

وعلى هذا فان الخلافة والسلطة والقيادة ليست لكل انسان، وللاسف فان بعض الناس ينشرون ما يعاكس هذه الرؤية، فهم يقولون: إننا نريد

١ - الكافي، ج ٧، ص ٤٠٦.

حكومة الله، وحكومة القرآن، ولا فرق بين أن يطبق القرآن هذا الشخص أو ذاك. أما نحن فنرفض هذا المنطق ونقول: إنَّ هناك فرقاً شاسعاً. صحيح اننا لا نريد الحكومة لذواتنا، ولا نستهدف السلطة للسلطة، ولا نقول للناس اتبعونا واطيعونا واعبدونا من دون الله، نحن لا نفعل ذلك، ولكننا - في نفس الوقت - لا نعطي الشرعية لانسان فاجر خائن يدّعي أنّه يريد أن يطبق الاسلام.

فمن هم الصالحون للحكم؟

يقول الله جل وعلا في سورة الانبياء عن الاشخاص الصالحين للحكم والقيادة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١).

ترى من هم الذين جعلهم الله تعالى أئمة؟

الآية السابقة هي التي تعيّن لنا هؤلاء الاشخاص المؤهلين للقيادة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(٢).

وهكذا فان الله تعالى قد جعلهم صالحين اولاً، ثم اعطاهم الامامة بعد ذلك، وفي سورة البقرة نقرأ ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله ان يجعل الامامة والحكومة في ذريته: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؟ ولكن الخالق عز وجل اجابه قائلاً:

١ - سورة الانبياء، آية ٧٣.

٢ - سورة الانبياء، آية ٧٢.

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١). فالظالمون لا يستطيعون أن ينالوا عهد الله سبحانه في الإمامة والقيادة.

إن علينا أن نتدبر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، حيث نستنتج أن مهمة هؤلاء الأئمة والقادة أنهم يهدون الناس بأمر الله، فهل يعرف الحكام الطغاة أمر ربهم، وكم آية قرآنية تلوها، وإذا تلوها كم طبقوا منها؟!

ثم يقول عز وجل بعد ذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وهذا الخير يتمثل في (اقام الصلاة) و(ايتاء الزكاة)، فأين هؤلاء الاناس التقاة المطهرون من اولئك الحكام الطغاة الذين اذا راجعنا تاريخهم لراينا أن اكثرهم لم يفتحوا عيونهم إلا في بيوت الدعارة والفساد والميوعة، وفي بيوت لا يُرفع فيها اسم الله، في مثل هذه البيوت الحافلة بالانحراف والرذيلة نشأوا وشبوا، وبعد أن بلغوا مبلغاً من العمر وضعهم آبائهم في مدارس معادية للإسلام كالمدارس التبشيرية.

ومن الجديد بالذكر أن نقول هنا: إن الغالبية العظمى من رؤساء البلدان الاسلامية هم خريجوا الجامعات الغربية، كالجامعة الاميركية في بيروت، وجامعة (هارفارد)، كما أن الكثير منهم خريجو الكليات العسكرية التي يشرف عليها اشرافاً مباشراً المستشارون الاجانب. أما خلفيتهم الثقافية فهي علمانية، قومية، شوفينية الى أبعد الحدود، وأما عن خلفيتهم السلوكية والاخلاقية فاسأل عنها حانات اوروبا وامريكا ومراكز الفسق والفجور فيها.

١ - سورة البقرة، آية ١٢٤.

إنَّ مثل هذا الانسان الذي تربى في حجر الاجنبي، وتحت اشراف المستعمر لا يستطيع أن يفكر في الاستقلال، ولا يمكنه أن يهتم ببلاده وشعبه، فالحكام البعيدون عن الاسلام هم خلاصة عصر التبعية، والانحلال الخلقي، والانحراف الفكري، وهم خريجو عصر الانحطاط والتخلف، فهم يعانون من عقدة الضعة والتخلف، وينظرون الى الرجل الغربي المعادي نظرة احترام واكبار، ويتصورون أنَّ البريطاني - مثلاً - يتميز عليهم طبيعياً، وأنهم لا يستطيعون تغيير هذه المعادلة، فقصارى جهدهم هو تقليد الغرب، ونقل الافكار والثقافة الغربية منه الى بلدانهم.

إنَّ هذا هو واقعهم، وهو واقع التبعية، والانحلال الخلقي، فهل تربى احدهم في مدرسة القرآن والايان؟ وهل كان واحد منهم عضو هيئة رسالية؟ وماذا يعرفون عن الاسلام والقرآن؟ إنهم لا يصلحون بالطبع لقيادة الامة، فهل تتوقع من العقرب أن يعطيك غير السم، وهل تتوقع من العلقم غير المرارة؟

الفهرس

المقدمة	٩
الفصل الأول: خصائص الحركة الإسلامية	١٣
١ - مميزات الحركة الإسلامية	١٥
ميزات الحركات الرسالية	١٦
ضرورة دراسة سيرة القدوات	١٦
الانسان الرسالي يتشبه بالانبياء والائمة	١٨
صفات عباد الرحمان	١٩
لنحذر منطق القوة	٢٢
البناء افضل وسيلة للهدم	٢٤
الوحدة في القلب أولاً	٢٦
٢ - بين الحركة الإسلامية والحركة السياسية	٢٩
هدف الحركات السياسية	٣٠
الدوافع الالهية للحركات الرسالية	٣١

- ٣٢ ضرورة الثبات في الساحة السياسية
- ٣٤ لنحذر المواقف السياسية المرتجلة
- ٣- الايمان بالغيب منطلق الحركة الاسلامية ٣٧
- ٤٠ الدنيا ليست نهاية المطاف
- ٤١ الحركة الالهية باقية رغم الطغاة
- ٤٣ ثلاث مراحل أمام الانسان
- ٤٤ يوم زوال الحجب
- ٤- حقيقة التوحيد في الحركة السياسية ٤٥
- ٤٦ الايمان لا بد أن تكون له آثار
- ٤٨ توحيد الله وتوحيد الصفوف
- ٤٨ الرسول بريء من المتفرقين
- ٥١ الاهتمام بقضايا المسلمين أساس الوحدة
- ٥٣ المؤامرات الاستكبارية تفرق المسلمين
- ٥٤ التوحيد يجب ان ينطلق من النفس
- ٥٥ لندع الشعارات جانباً
- ٥- مبادئ الحركة الاسلامية من وحي القرآن ٥٧
- ٥٧ انواع المفاهيم القرآنية
- ٥٨ القيم غير الحدود
- ٥٩ العالم الغربي وأزمة القيم
- ٦١ الحركة الاسلامية وواجب استنباط القيم
- ٦٢ القرآن كتاب حياة
- ٦٣ بين القرآن وواقع الحياة

٦- دور الأخلاق في الحركة الإسلامية ٦٥

لماذا نحن أمة متخلفة؟ ٦٦

الأخلاق هي السبيل إلى السيطرة على الواقع ٦٧

الروح لا الظاهر ٦٨

الحذر من التعصب والفتوية ٧٠

لا .. للفخر والمباهاة ٧٢

٧- البعد الحضاري للحركة الإسلامية ٧٥

الحقائق الحضارية ٧٥

الشعوب رهن ثقافتها ٧٧

أهداف حضارية ٧٩

الثقافة الإيجابية تثمر النتائج الطيبة ٨٠

سلبات تواجه الحركة الإسلامية ٨١

ليبادر كل واحد منا إلى التطوير ٨٢

الفصل الثاني: معالم الحركة الإسلامية ٨٥

١- معالم في طريق الحركة الإسلامية المعاصرة ٨٧

الوعي السياسي من شروط الانتصار ٨٨

كيف يتجلى كيد الأعداء؟ ٨٩

كيف نواجه كيد الأعداء؟ ٩٠

من أجل المستضعفين جميعاً ٩١

الحركة الإسلامية حركة جماهيرية ٩٣

البعث الإسلامي الأصل ٩٤

- ٢- بين الرسالة والسياسة ٩٧
- هداية الانسان الهدف الاول ٩٧
- كيف قام الامام علي عليه السلام بدوره؟ ٩٩
- الامام علي عليه السلام ربان سفينة الامة ١٠٠
- دور الامام الحسن عليه السلام ١٠١
- دور الامام الحسين عليه السلام ١٠١
- بين الحركة الرسالية والحركة السياسية ١٠٣
- ثمار ثورة الحسين عليه السلام ١٠٥
- الفتوحات الاسلامية كانت رحمة للشعوب ١٠٧
- ولاية الفقيه تجسيد لقانون المساواة ١٠٨
- ٣- بين الهدم والبناء ١١١
- الحاجة الى شبكة تنظيمية متكاملة ١١٣
- ضرورة امتلاك امكانيات الهدم ١١٥
- التعاون بين الهدم والبناء ١١٦
- الانتصار لا يتحقق بالاحلام والتقايس ١١٧
- صفوة القول ١١٨
- ٤- بين الارادة والهزيمة ١٢١
- الارادة هي الجوهره الاعظم ١٢٢
- علينا أن لا نستسلم للهزيمة ١٢٣
- ٥- بين التمني والسعي ١٢٧
- معاجزة الله انتهاء للكفر ١٢٧
- عالمنا عالم السعي والجد ١٢٩

التفكير الشيطاني قرين التمني	١٣٠
الآثار السلبية للتمني	١٣١
الهجوم افضل من الدفاع	١٣٢
استراتيجية الاستكبار في محاربتنا	١٣٣
١- التغطية الاعلامية	١٣٣
٢- التحالفات	١٣٤
٣- تغيير الانظمة	١٣٤
الضغط الاقتصادي	١٣٤
اقامة الانظمة العميلة	١٣٥

٦- بين الصراع والتنافس

الرؤية الشاذة الى التنافس	١٣٨
البناء اقوى من الهدم	١٣٩
ضرورة توجيه التنافس	١٤٠
المجالات الصالحة للتنافس	١٤١
تحقيق شروط الانتصار	١٤٢
حرية العمل سنة الله في الحياة	١٤٣

٧- بين العنف واللاعنف

استيقاظ الضمير الانساني	١٤٥
لماذا نحن متخلفون عن مقتضيات العصر؟	١٤٧
العنف والمرونة كمقياس لحكمة الانسان	١٤٩
لنحذر الحاقدين والمعتدين	١٥٠
مواضع المرونة واللين	١٥٣

١٥٧..... الفصل الثالث: مهمة الحركة الاسلامية

١٥٩ ١ - منطلق التغيير في الحركة الاسلامية

١٥٩ سبب تخلفنا

١٦١ القرآن هو المقياس الأول

١٦٢ الانتصار الحقيقي

١٦٥ شروط النصر في القرآن الكريم

١٦٩ ٢ - اصلاح الذات منطلق العمل الرسالي

١٧٠ إحدروا خدع الشيطان

١٧٠ اصلاح الذات اولاً

١٧٣ السعي دواء التخلف

١٧٧ ٣ - مسؤوليتنا الذاتية في التغيير

١٧٧ الاطار لا يغني عن التحرك

١٨٠ السعي والاجتهاد سرّ التقدم

١٨١ عملنا ينقذنا من النار

١٨٣ الصبر سلاح لمكافحة الضجر

١٨٤ لندع التفاخر جانباً

١٨٧ ٤ - الانسان الرسالي وفن العلاقات العامة

١٨٧ العلاقة بين الطليعة والجماهير

١٨٨ معركتنا تدور حول الجماهير

١٩٠ ضرورة ممارسة فن العلاقات العامة

١٩١ الاركان الاساسية للعلاقات العامة

١٩٥	٥- الأمة بين القيادة الرسالية والقيادة الجاهلية
١٩٥	المجتمع المتكامل والنظرة الشمولية
١٩٦	علاقة المجتمع بقيادته من المنظور القرآني
١٩٧	نظرة المجتمعات الجاهلية الى القادة
١٩٨	نظرة المجتمع الرسالي الى القادة
١٩٩	نقاط افتراق القيادة الرسالية عن الجاهلية
٢٠١	كيف يجب أن تكون علاقتنا بالقيادة؟
٢٠٣	النوعية هي المهمة لا الكمية
٢٠٣	القيادات الجاهلية تستمد قوتها من ضعفنا
٢٠٤	ضرورة ايجاد التجمع الرسالي
٢٠٧	٦- الشروط الذاتية والموضوعية للقائد الاسلامي
٢٠٨	كيف نكون قادة جماهيريين؟
٢٠٩	الشروط الذاتية للقائد
٢١١	الشروط الموضوعية للقائد
٢١٢	عنصر الشجاعة
٢١٢	شروط موضوعية اخرى
٢١٤	العلماء الربانيون هم القادة الحقيقيون
٢١٧	٧- الحركة الاسلامية والجماهير
٢١٧	الحركة الاسلامية حركة جماهيرية
٢١٨	إستقطاب الجماهير
٢١٩	حاجة الجماهير الى اللغة المناسبة
٢٢١	١- الاستعانة بجميع الوسائل الاعلامية

٢٢١	٢- توظيف الفن
٢٢٢	٣- توجيه التشكيلات الجماهيرية
٢٢٤	٤- إضمار الحب للجماهير
٢٢٤	٥- اكتشاف مفاتيح الدخول الى الجماهير
٢٢٥	لا بد من نهضة
٢٢٧	٨- مسؤولية الجماهير تجاه الطليعة
٢٢٩	طلائع المجاهدين
٢٣٠	الكفر ملة واحدة
٢٣٢	كيف نسير على خطى المجاهدين؟
٢٣٥	الفصل الرابع: رسالة الحركة الاسلامية
٢٣٧	١- الرؤية الاسلامية في الصراع
٢٣٧	الغرض من هذه الرؤية
٢٣٨	الصراع سنة طبيعية
٢٤٠	الصراع سبب لتفجير طاقات الانسان
٢٤١	الصراع يجب أن يوجه للبناء
٢٤٤	الطواغيت لا يتحطمون بالكلام
٢٤٧	٢- البعد الاصلاحى للرسالة الاسلامية
٢٤٨	لا تموت أمة فيها فئة مصلحة
٢٤٩	خصائص الفئة المصلحة
٢٥١	الخلافات والعداوات سبب هزيمتنا
٢٥٤	لا بد من تجنيد الطاقات

٣- الحركة الاسلامية في مواجهة سلبيات الواقع ٢٥٥

- ٢٥٦ تخلف الامة أساس الإبتلاء
- ٢٥٧ ألف: التجمع السلبي
- ٢٥٨ مخالفة احكام الله كفر
- ٢٦١ باء: التجمع الايجابي
- ٢٦٣ الكيفية لا الكمية

٤- الحركة الاسلامية والتحديات الحضارية ٢٦٥

- ٢٦٥ الجمود هو سبب فشل الحركات
- ٢٦٨ العلاقات تنبع من القيم
- ٢٦٩ جوانب التعامل في الاسلام
- ٢٧٠ التملص من المسؤوليات سبب الانتكاسات
- ٢٧١ الحرية اساس التقدم الحضاري
- ٢٧٢ العلم أمضى سلاح
- ٢٧٣ الجهاد ليس بالقوة فقط

٥- لا لشرعية النضال، نعم لمشروعيته ٢٧٥

- ٢٧٥ ضرورة التوبة من الغفلة
- ٢٧٦ الموت ذلك الزائر الكريه!
- ٢٧٧ التوبة اساس الصفات المثلى
- ٢٧٩ المؤمن لا تأخذه العزة بالإثم
- ٢٨١ ضرورة الدعاء في كل حال
- ٢٨١ النضال بين الوسيلة والهدف
- ٢٨٣ شريعة النضال في القرآن

- ٦- الحركة الاسلامية ومؤامرات الأعداء ٢٨٥
- تسليط الانظمة الارهابية وبث الاختلافات ٢٨٦
- الطائفية المؤامرة القديمة الحديثة ٢٨٨
- ضرورة تحدي المؤامرات ٢٨٩
- الرسالة اسمى من الاعتبارات الشخصية ٢٩٠
- ٧- الحركة الاسلامية في مواجهة التحديات ٢٩٣
- آفة تحول الحركة الى النظام ٢٩٤
- الحركة الاسلامية تتحدى مؤامرات الاستكبار ٢٩٥
- تجاوز عقبة التجزئة مقياس القوة ٢٩٦
- الحركة الاسلامية بنت النظام الاسلامي ٢٩٧
- الوحدة سر قوة الحركة الاسلامية ٢٩٨
- الانسان الحركي مستعد للتضحية ٢٩٩
- ٨- الحركة الاسلامية والضرورة السياسية ٣٠١
- ضرورة معرفة السياسة ٣٠١
- النظرة التحليلية للاخبار ٣٠٢
- اعدائنا يتابعون اخبارنا بدقة ٣٠٣
- من اساليب وتكتيكات الثورة الاسلامية ٣٠٤
- الثورة لا تُستورد وانما تُدرس ٣٠٥
- ٩- من أجل حركة اسلامية عالمية ٣٠٧
- واجبنا ازاء الصحوة الاسلامية ٣٠٧
- إسقاط القيم الجاهلية ٣٠٨
- النية صبغة العمل ٣٠٩

٣١٠	التفاعل مع قضايا المسلمين
٣١٠	بذل المزيد من العطاء
٣١١	ضمان الاستقامة
٣١٢	توظيف فائض الطاقات
٣١٣	مسؤوليتنا في هذه المرحلة

٣١٧	١٠- من أجل حكومة الصالحين
٣١٧	دور ارادة الانسان في التغيير
٣١٨	لا بد لنا من رمز
٣١٩	القائد هو الاساس
٣٢٠	مقعد الحكم مقعد الانبياء

عندما تنحرف مسيرة البشرية عن الصراط المستقيم
انحرافاً كبيراً تظهر الحاجة الماسة الى عمل كبير، وتغيير
جذري، وتطور نوعي هائل لكي تعود الى رشدها. وما بعثة
الانبياء عليهم السلام إلا لهذا التغيير النوعي الكبير
والتطور الهائل، ذلك لأنَّ الانسان لو انحرف عن مسيرته
الحقة، فان من الممكن إعادته الى رشده من خلال الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر، أما عندما ينحرف مجتمع
بأكمله، فإنَّ بعضه سوف يدعم بعضاً في مسيرة الانحراف.
وحينئذ لا يمكن إعادة هذا المجتمع الى المسار الصحيح
عبر شخص واحد يدعو الى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى
عن المنكر، بل إنَّ القضية ستكون حينئذ بحاجة الى عمل
كبير، وجهود جبارة، واستمرارية في الجهاد.